اضل الكعبي

السلسلة التربوية



المداخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال





المداخل التربوية
ومرتكزات التجانس المعرفي
في ثقافة الأطفال

فاضل الكعبي

المداخل التربوية
ومرتكزات التجانس المعرفي
في ثقافة الأطفال



المداخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال.

- تأليف: فاضل الكعبي.
- سنة الطباعة 2020.
- تمت الطباعة في دار علاء الدين.
-

دار علاء الدين

للنشر والتوزيع والترجمة

سورية - دمشق

ص. ب: 30598 هاتف: 5617071 فاكس: 5613241

Web: www.zoyaala-addin.com E-mail: ala-addin@mail.sy

ISBN: 978-9933-18-729-3

هذا الكتاب

إن هذا الكتاب القيم والبالغ الأهمية جاء دقيقاً في مادته العلمية، رصيناً في محتواه، سلساً في أسلوبه، مترابطاً ومنطقياً في أفكاره وعرضه... وفيه بحق إضافة جديدة إلى المعرفة والمكتبة العربية... فهو يطرح قضية حساسة فيها من الجدة الشيء الكثير، ألا وهي قضية مرتكزات التجانس المعرفي في «الاندماجية الفن-أدبية»، التي تعني ترابط الأجناس الأدبية مع الأجناس الفنية الموجهة للأطفال وما تشكله مجتمعة من تأثير في وعي الطفل بشكل خاص...

أما بشكل عام، فهذا الكتاب يوفر للقارئ معرفة مرتكز الثقافة في شخصية الطفل، وخصائصها، وتفرعاتها، ودور المربي في موجهاتها ومحاورها، وقيمها في التوجيه، وما يجب أن تقوم به لغة الخطاب التربوي في أدب الأطفال، وخصوصية هذا الأدب الذي تناوله الكاتب الباحث بشكل متعمق يصعب نسيانه...

لقد أجاد الكاتب فاضل الكعبي إجادة تامة في اتباع المنهجية العلمية التحليلية، وفي الكتابة بلغة تتميز بالمقروئية الجيدة، والتي عبرت بوضوح عن شخصية الكاتب الإبداعية، وجهده الواضح في مجال ثقافة الأطفال، وترسيخه قيمها في دراساته وأبحاثه وعطائه المتواصل الذي شهدته ساحة أدب وثقافة الأطفال في العراق...

إن الكتاب يملأ فراغاً ملحوظاً في المكتبة العربية لقلة الدراسات في هذا الاتجاه، ويساعد على ترسيخ القاعدة العلمية لثقافة الأطفال، كما أنه يفيد

المعنيين بشؤون ثقافة الأطفال كالآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والباحثين في سعيهم الحثيث لتنشئة الطفل على وجه سليم... الطفل الذي هو حدقة عين الأمة... وأملها في غد ناهض ومزدهر...

أ. د. منى يونس بحري

كلية التربية ابن رشد - جامعة بغداد

بروفيسور علم نفس الطفل

قالوا في هذا الكتاب

(يسعى الكاتب والباحث فاضل الكعبي في هذا الكتاب إلى البحث في وضع ثقافة الأطفال في موضعها الصحيح... عبر البحث في الأجناس الأدبية والفنية التي تشكل عناصر ثقافة الأطفال وجوانبها الأساسية، وأبرزها فيها، مسرح الأطفال، سينما الأطفال، ودور هذه العناصر في العملية التربوية للطفل... وقد انطلق الباحث في محاور دراسته من العلاقة المشتركة بين هذه العناصر وما تفعله مجتمعة أو منفردة من تأثير ثقافي وتربوي في مخيلة الطفل... وما توصل إليه الكاتب في هذا الاتجاه، أن الفعل المشترك للأجناس الأدبية والفنية أكثر تأثيراً في الطفل من الفعل المنفرد، الذي يقوم به كل جنس أدبي أو فني مستقل في موجهات الثقافة والتربية لتكوين التجانس المعرفي للطفل...

من هنا تأتي أهمية الكتاب والجدوى منه، فهو يعطي فرصة لجميع الذي يتعاملون مع الطفل في مختلف مجالات التربية والتعليم والثقافة والفنون، من أجل معرفة أن ثقافة الأطفال تعتبر عاملاً أساسياً ومهماً في تكوين شخصية الطفل، ونموها بالشكل الذي يكفل نجاحها وتأثيرها في المجتمع)...

أديب الأطفال الكاتب والناقد

فاروق سلوم

يؤكد أحدث كتاب تيسر لنا الاطلاع عليه، في هذا الظرف الحصاري الصعب، وهو كتاب الباحث المتخصص في ثقافة الأطفال فاضل الكعبي... يؤكد (في أولى صفحات المقدمة) من كتابه المهم «المداخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال» حقيقة باتت مؤكدة، معتمدة (ونحن على مشارف الألفية

الثالث) وهي: إن الاهتمام بالطفل وثقافته، يعني الاهتمام بالمجتمع وإصلاحه وتقدمه، ليسهم ببناء الحضارة والإنسان والتقدم نحو تحقيق المستقبل المشرق... ويزيد الكعبي بقوله: إنه بواسطة هذا الفهم، أولت الدول المتقدمة ثقافة الأطفال ووسائلها المتكاملة والمهمة في إعداد الطفل وبناء شخصيته المؤثرة اهتماماً كبيراً، وقد سخرت هذه الدول كل الجهود والخبرات والإمكانات الكفيلة بإنجاح الخطط التربوية، والترويحية والتي جاءت بها ثقافة الأطفال، من أجل الاهتمام بالطفل وتربيته، وإعداده إعداداً جيداً ليأخذ دوره الإيجابي في المجتمع... وفي اعتقادنا أن هذا الذي يقوله الكعبي أمر في غاية الأهمية والخطورة، وهو ليس ترفاً، ولا خروجاً عن مهمتنا الأساسية كأدباء ومبدعين ومثقفين ملتزمين، بل هو تأكيد على دورنا الأساسي ومهمتنا المطلوبة في بناء الإنسان...

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب وفاعليته والحاجة إليه في تعميق ثقافة الأطفال في المجتمع، للإسهام جنباً إلى جنب مع دور المثقفين الآخرين في بناء شخصية الطفل بناء إيجابياً... لذلك فقد أفادنا وأبهجنا هذا الكتاب العلمي المتخصص، مثلما هو متوقع من صاحبه المبدع أديب الشفافية الإنسانية الكاتب والباحث الكعبي، الذي يظل يبهجنا بين وقت وآخر بعطايا كنوزه الإبداعية في الكتابة، لنظل دائماً ننهل من وليمته الإبداعية المتميزة التي جمعت بين دراسات أدب وثقافة الأطفال ككتابه هذا وبين قصائد في مجموعات رائعة نذرها لعالم الأطفال»...

الكاتب والباحث والناقد الأكاديمي

أ. د. جليل كمال الدين

أستاذ الأدب الروسي

والنقد الأدبي المقارن جامعة بغداد/كلية اللغات

(لم يكن فاضل الكعبي أكاديمياً في أدب الأطفال وثقافتهم، ولكنه يعد من أعلامه البارزين في العراق»...

الكاتب والناقد

رزاق إبراهيم حسن

(إذا كانت الأسماء التي كتبت للطفل كثيرة فإن فاضل الكعبي يبقـى أحـد الأسـماء اللامعـة والمؤثرة في مضمار الكتابة للأطفال، وعلى الرغم من أنه متعدد المواهب في أكثر من ميدان إبـداعي، إلا أن كتابته للطفل ذات مذاق خاص، ذلك لدرايتـه بهـذا المنهـاج، وتـوافره عـلى الأرضـية العلميـة اللازمة للانطلاق منها، والأهم في ذلك أنه طفل كبير لمن يقترب منه ويعرفه، وفي إمكانـك أن تلمـس ذلك في سلوكه وتصرفه وعلاقاته بل وفي نبرة صوته أيضاً، لقد أهلته كل تلك العوامل أن يقـترب مـن عالم الطفولة ويكتب لها الكثير من القصائد والقصص والسـيناريوهات والبحـوث والدراسـات التـي تخاطب عقل الطفل وتسهم في تربيته وصقل ذوقه وثقافته، وله الكثير من الأفكار التي يفيـد منهـا المتخصص وغير المتخصص)...

الكاتب والباحث والناقد

عيسى الصباغ

(لقد أطل علينا الأديب الكاتب والباحـث فاضـل الكعبـي بتحفـة جديـدة، بكتابـه الجديـد «المداخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال»... وهـو دراسـة وبحـث وتنظـير في عالم رائع وحساس ولموضوع جدير وجديد وشجاع، حيـث التـأليف فيـه قليـل جـداً، ويتطلـب مـن الخـائض فيـه الكثـير مـن الصـفات والسـمات والقـدرات: الحـب الكبـير، والـذكاء العـالي، والثقافـة التكاملية، والفطنة والتحليل، والخيال الواسع، والأسلوب الرصين، والحكمة المتشـعبة، والقـدرة عـلى رؤية الجذور والتفرعات، وتأثير كل شيء في الشيء الآخر، والإمكانيـة المسـيطرة على حركـة ونشـاط هـذه التفـاعلات، والتوصـل إلى الصـور والوضـوح، وبالتـالي إقنـاع الآخـرين في الطروحـات النظريـة والتاريخية، وبكل ذلك استطاع فاضل الكعبي الإلمام بمدة ثلاثين سنة، كان هو أحد المساهمين فيهـا، ومعه آخرون، يعانون على مضض بالذي يجري في عالم ثقافة الأطفال... ومع شكري للكاتب وفرحي بالكتاب، فهو تحفة ثقافية، وتأكيد لتاريخ أدب الأطفال وثقافتهم...

إن فاضل الكعبي - 1955 - الذي بـدأ في عـالم الأدب والثقافـة منـذ عـام 1974، لم يكـن قبـل تأليفه هذا الكتاب قد تخرج في قسم أكاديمي متخصص في ثقافة الأطفال، حيث إن عالم الأطفال، هـذا العالم الرحب، والموضوع الزاخر، لم يجرؤ حملة الشهادات العليا على التأليف به... وإذا كان يقدر لهذا الكتاب فإنه يستحق من ورائه شهادة الماجستير أو الدكتوراه الفخرية، حيـث إنـه يـوازي الأطروحـات، ويتغلب على الكثير منها... إذ جاء هذا الكتـاب إضـافة نظريـة وفكريـة وأكاديميـة، ويصـلح أن يكـون منهجاً علمياً في أقسام التربية والصحافة والأدب، فهو كتاب دقيق ومفيد)...

أديب الأطفال الكاتب والناقد

جمال السوداني

مقدمة

بتوفيق من الله أنجزت هذا الكتاب، الذي أراه إضافة جديدة ومتواضعة، إلى المكتبة العربية، التي تشكو من قلة الدراسات والبحوث الواسعة في مجال ثقافة الأطفال، والتي يتجاهل بعضهم وجودها، وأهميتها، دورها الفاعل في نشأة الطفل، وتنظيم سلوكه، وتنمية مداركه، وقدراته العقلية والذهنية وتطوير قابلياته ومواهبه، وتربيته بشكل سليم...

ومتعارف عليه، أن الاهتمام بالطفل وثقافته، يعني الاهتمام بالمجتمع وإصلاحه، وتقدمه، ليسهم ببناء الحضارة والإنسان والتقدم نحو تحقيق المستقبل المشرق...

وبواسطة هذا الفهم، أولت الدول المتقدمة ثقافة الأطفال ووسائلها المتكاملة والمهمة في إعداد الطفل، وبناء شخصيته المؤثرة اهتماماً كبيراً. وقد سخَّرت هذه الدول، كل الجهود والخبرات والإمكانات الكفيلة بإنجاح الخطط التربوية، والترويحية التي جاءت بها ثقافة الأطفال، من أجل الاهتمام بالطفل وتربيته، وإعداده إعداداً جيداً ليأخذ دوره الإيجابي في المجتمع.

فلا تقدم أو رقي لأي مجتمع دون الاهتمام بالطفل وثقافته، بوصفه - أي الطفل - القاعدة الأساسية لكل مجتمع... وإذا صلحت هذه القاعدة، صلح المجتمع، وإذا فسدت، فسد المجتمع...

ومن هنا تكمن أهمية ثقافة الأطفال وخطورتها في بناء الإنسان الجديد وتطور المجتمعات وتقدمها.

فبعد تجربة طويلة في مجال الكتابة للأطفال، والعمل في مجالات ثقافة الأطفال، وبعد الاطلاع الواسع على الجهود الكبيرة، والرائعة التي بذلها الكثير من الباحثين والدارسين والتربويين والأدباء من المهتمين بشؤون الطفل، من أجل وضع ثقافة الأطفال في موضعها الصحيح، وتسليط الضوء على الجوانب الخفية منها... وجدت نفسي مسؤولاً، مسؤولية إنسانية كبيرة تجاه الطفولة، وهذه المسؤولية تدعوني دائماً إلى بذل الجهود، والإسهام الفاعل مع من أسهم في إغناء ثقافة الأطفال، بالآراء والطروحات والمقترحات الجديدة، التي من شأنها أن ترسخ القاعدة العلمية، والدور الإنساني لثقافة الأطفال في حياتنا اليومية، وتفعل ما يجب أن تفعله الإسهامات المضافة، من دور مطلوب تجاه فلذات أكبادنا - زينة الحياة - الأطفال الأعزاء...

ومن هذا المنطلق، سعيت إلى البحث الطويل، والدراسة المضنية والجميلة، في الأجناس الأدبية والفنية التي تشكّل عناصر ثقافة الأطفال وجوانبها الأساسية، وأبرز ما فيها:

- مسرح الأطفال.

- سينما الأطفال.

- أغنية الأطفال.

- شعر الأطفال.

- قصص الأطفال..

ودور هذه العناصر في العملية التربوية للطفل...

وقد انطلقت في محاور دراستي، من العلاقة المشتركة بين هذه العناصر، وما تفعله مجتمعة، أو منفردة، من تأثير ثقافي وتربوي في مخيلة الطفل.

وما توصلت إليه في هذا المجال:

إن الفعل المشترك للأجناس الأدبية والفنية أكثر تأثيراً في الطفل، من الفعل المنفرد الذي يقوم به كل جنس أدبي أو فني مستقلاً، في موجهات الثقافة والتربية لتكوين التجانس المعرفي للطفل...

وفي هذا الجانب، تركت البحث التفصيلي في بعض العناصر الفنية والأدبية التي تدخل ضمن محاور ثقافة الأطفال، مثل:

- صحافة الأطفال.
- البرامج الإذاعية والتلفزيونية.
- كتب الأطفال ورسومهم.

وقد أجَّلت البحث فيها إلى مجال آخر أكثر سعة، وذلك لإتمام خطتنا في العناصر الثقافية التي ناقشها هذا الكتاب...

وعلى الرغم من ذلك سيجد القارئ الكريم أنني قد تطرقت إلى هذه العناصر بشكل سريع، ضمن مداخلات المحاور التفصيلية في فصول الكتاب.

المهم في الأمر أنني ناقشت العناصر البارزة والأكثر أهمية في ثقافة الأطفال، والتي لم تلق العناية الكبيرة من الدراسة والاهتمام...

إن أبرز ما تشكل منه هذا الكتاب، هو مجموعة من الدراسات والبحوث والمقالات والمحاضرات التي كنت قد ألقيتها في مناسبات عديدة، ونشرت بعضها في صحف ومجلات محلية وعربية منذ عام 1979، وبعد جمعها، والإضافة إليها، وإغنائها بالآراء الجديدة، وصلت إلى النسيج الحالي في هذا الكتاب، معتمداً بالدرجة الأساس أبرز ما كتبته في مجال ثقافة الأطفال، ومنها دراستي المسماة (مرتكزات التجانس المعرفي والخطاب التربوي في أدب الأطفال) التي نشرت متسلسلة في حلقات في مجلة (الطفولة) التي تصدرها الجمعية العراقية لدعم الطفولة، وابتداءً من العدد الأول من تشرين الأول عام 1994 حتى العدد السادس منتصف عام 1996، وكذلك معتمداً دراستي الطويلة التي نشرتها مجلة (الطليعة الأدبية) في بغداد، في عددها التاسع الخاص بالمسرح نهاية عام 1980 تحت عنوان (مسرح الأطفال في العراق، الواقع والطموح)...

وأطمح أن يكون هذا الكتاب عوناً للباحثين وهم يواصلون مسيرة البحث الجديدة في ثقافة الأطفال، وكذلك أن يكون عوناً للمربين والآباء وهم

يواصلون زرع الحياة بالجمال، وغرس الحب والخير والسعادة والإشراقة في نفوس الأطفال...

آمل أن تكون الصفحات الآتية جديرة بالاهتمام ومؤثرة لدى الجميع...

كما آمل أن تكون جهودي في كل ما سطَّرت هنا، ذاهبة إلى هدفها الصحيح، وتصب في خدمة الطفولة...

ومن اللـه التوفيق والنجاح...

الفصل الأول

مدخل إلى ثقافة الأطفال

مرتكز الثقافة

في شخصية الطفل

تعد ثقافة الأطفال عاملاً أساسياً، ومهما في تكوين شخصية الطفل، ونموها بالشكل الذي يكفل نجاحها وتأثيرها في المجتمع...

ذلك أن الثقافة نمط سلوكي منظم يشكِّل الكيان العقلاني للإنسان... ونظام حياة يلجأ إليه الإنسان، لتحسين أنماط حياته، ولتمييز وضعه عن الكائنات الأخرى...

ومنذ أن تطور وعي الإنسان... وترسخت إنجازات الحضارة، اختلف العلماء في تفسيراتهم، وتعريفاتهم للثقافة... فازدحمت «الثقافة» بالمفاهيم العديدة، والتعريفات المختلفة... فانحصر مفهومها في دائرة الإنجازات الإنسانية... على أنها الوعي العام الذي ينظم سلوك، الشخصية الإنسانية وتصرفها، في المستوى، المتقدم من الحياة... فيتشكل هذا الوعي من مجموعة المعارف والعلوم والتقاليد والفنون والآداب والقوانين والعقائد والأفكار والأخلاق والمقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من المجتمع... حيث (تشكل ثقافة أي مجتمع أساليب أفراد ذلك المجتمع في الحياة، وإن هذه الأساليب تكون وحدة متكاملة من المعلومات والمعتقدات وطرائق العيش واستخدام الوسائل التكنولوجية... وإن ثقافة أي مجتمع على الرغم من انتقالها من جيل إلى جيل إلا أنها تحصل عن طريق التعلم والاكتساب، ولا تحصل وراثة.. وإن الفرد الذي يعيش في أي ثقافة يمتص تلك الثقافة امتصاصاً «تدريجياً» حتى تمتلئ بها أعماقه... ولو ولد هذا الفرد في بيئة أخرى وتربى فيها فإن شخصيته سترسمها العوامل الثقافية في ذلك المجتمع... وهذا لا يعني أن أفراد المجتمع الكبير يملكون شخصيات متطابقة تماماً بل ليست متقاربة أحياناً، لأن المجتمع الواسع يشمل ثقافات فرعية متميزة تؤثر في بناء شخصيات الأفراد الذين تشملهم هذه القطاعات

مدة طويلة... فعلى الرغم من أن العراق له ثقافة عراقية متميزة واحدة... إلا أننا نجد في إطارها ثقافات فرعية متميزة.

ففي بعض المدن أو المحافظات ثقافة تمثّل حياة تلك المحافظات، فمن السهولة بمكان أن تميز بين شخصية قادمة من الموصل وأخرى قادمة من النجف على الرغم من أنهما عراقيان وقد تشربا بقسط كبير من الثقافة العراقية المشتركة...

والثقافات الفرعية قد يكون سببها أن يسود أسلوب التعامل الاقتصادي المتميز فيقلد الأبناء آباءهم فيه... أو قد يكون نمط الثقافة الفرعية هو التمسك بالقديم، والمحافظة عليه بنسبة من القطاعات الاجتماعية الأخرى ويصبح هذا النمط منتشراً بين أبنائه ويتمسكون به بشكل شعوري أو لا شعوري)[1]...

وضمن إطار الثقافة العامة، تتشكل مجموعة ثقافات فرعية تبعاً لخصائص كل مجموعة... أو قطاع... تنفرد عن غيرها وتتميز بمجموعة من الخصائص والأساليب...

وأخطر هذه الثقافات الفرعية، ثقافة الأطفال، التي تتعامل مع أدق التفاصيل الإنسانية وأكثرها حساسية، في التعامل والفهم... ألا وهي مرحلة الطفولة التي تتطلب من الموجه والدارس لها وعياً عالياً وفهماً كبيراً بخصائص هذه المرحلة وحاجاتها... والمنهج العلمي الصحيح في الدخول إلى دراستها وتحليل بنيتها الإنسانية، وكيانها السايكولوجي حتى يتمكن من الوصول إلى أعماقها والتجاوب معها...

لذلك فمرتكز الثقافة جانب مهم في بناء شخصية الطفل، ونقطة الانطلاق في تكوين التراكمات المعرفية في كيان الطفل، ومن ثم جعل الطريق سالكاً لكل المداخل التربوية التي تبغي تنظيم حياة الطفل ونموه على وفق المخطط الثقافي، والعلمي الذي تبغي ثقافة الأطفال تحقيقه في شخصية الطفل... وجعل الطفل يشعر بأهمية الوسائل الثقافية في حياته، بعد شعوره بالمتعة الكبيرة التي تؤطر الوسائل الثقافية... وبالتالي يشعر المربي أو المعلم بتحقق الفائدة والهدف الذي يبتغيه من وراء المسعى التربوي الذي تحمله ثقافة الأطفال...

1- جمال حسين الألوسي - علم النفس العام.

خصائص ثقافة الأطفال

وتفرعاتها

وثقافة الأطفال، بوصفها ثقافة فرعية، لها خصائصها، وأساليبها المتميزة التي تتبع خصائص حياة الطفل وأساليبها ونموه، وتنشئته ومستوى سلوكه وتصرفاته... ومن هنا تأتي أهميتها... بل تعد أهم ثقافة بين الثقافات الفرعية في المجتمع...

ومع أن ثقافة الأطفال، ثقافة فرعية في المجتمع... كذلك هي الأخرى تتفرع عنها ثقافات فرعية أخرى، تبعاً لاختلاف مراحل الطفولة، وخصائص كل مرحلة... فمرحلة الميلاد لها حاجات وخصائص تختلف عن حاجات مرحلة الطفولة المبكرة وخصائصها... والتي هي الأخرى تختلف خصائصها وحاجاتها عن مرحلة الطفولة المتوسطة... وهي الأخرى تختلف في خصائصها عن مرحلة الطفولة المتأخرة... وهكذا لكل مرحلة سمات خاصة، وطور نمو، وقيم وعادات، وسلوكيات وانفعالات، وطرائق تعبير، ووسائل إشباع حاجات مختلفة عن غيرها...

نستنتج من ذلك ثقافات فرعية مختلفة بحسب اختلاف مراحل النمو والسلوك نسميها:

ثقافة الأطفال في مرحلة الميلاد،

ثقافة الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة،

ثقافة الأطفال في مرحلة الطفولة المتوسطة،

ثقافة الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة،

وجميع هذه الثقافات الفرعية الصغيرة، تجمعها ثقافة واحدة وكبيرة هي ثقافة الأطفال...

وثقافة الأطفال بشكلها العام، وتفرعها تتباين وتختلف في سماتها وملامحها باختلاف طرائق الحياة، واختلاف البيئة في المجتمع الواحد...

فثقافة الأطفال في المدينة تختلف عن ثقافة الأطفال في الريف، وثقافة الأطفال في هذه المدرسة تختلف عن ثقافة الأطفال في مدرسة أخرى، وثقافة الأطفال في هذه الأسرة تختلف عن ثقافة الأطفال في أسرة أخرى... ونجد ثقافة الأطفال لدى طفل تختلف عن ثقافة الأطفال لدى طفل آخر... وهكذا تتباين الاختلافات، والمستويات... والوسائل... وطرائق الاهتمام...

وهذا ناتج عن اختلاف المستويات، وتباين درجات الوعي بين مكان، ومكان آخر... وبين بيئة.. وبيئة أخرى، وبين أسرة وأسرة أخرى..

فهناك بعض الأسر تهتم كثيراً بثقافة طفلها فتوفر له مكتبة منزلية خاصة به تتسع لكل الوسائل الثقافية، وتتابع قراءاته، وتقف على ميوله، وتشرف على تنمية مدركاته العقلية، واهتماماته الثقافية... في حين أن هناك الكثير من الأسر لا تهتم بهذا الجانب المهم في حياة الطفل... والذي يعده العلماء والخبراء مقوماً أساسياً لتكامل شخصية الطفل...

إذ أن المؤثرات الثقافية الموجهة للطفل، تسعى ضمن أهدافها الأساسية إلى بلورة شخصية الطفل... (مع أن شخصيات الأطفال في الثقافة الواحدة تتشابه في طابع عام، إلا أنها تتفاوت في خصائص وسمات أخرى، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة. من أبرزها اختلاف الأطفال في خصائصهم الموروثة بيولوجياً... واختلافهم في نوع وكم وطبيعة ما يمتصونه من عناصر الثقافة، وفي طبيعة انتظام تلك العناصر في سلالم عناصر شخصياتهم... حيث إن جوانب الشخصية تشكّل سّلماً مركباً تمتزج فيه العناصر الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية معاً... وتتأثر الواحدة بالأخرى.. إضافة إلى وجود فروق فردية تجعل لكل فرد نسقاً شخصياً خاصاً به)[1]. مع أن عناصر الثقافة واحدة ومؤثراتها واحدة في توجهها وهدفها... وهذا ما يجعل الكثير من الآباء يجهلون عملية

1- د. هادي نعمان الهيتي - ثقافة الأطفال.

الانتقاء الواعي للوسائل الثقافية التي تنسجم وخصوصية أطفالهم، فيعتقدون أن هذا الكتاب أو تلك المجلة... أو هذه القصة... وهذه الوسيلة، التي أنتجت للأطفال في هذا البلد أو ذاك، تصلح لمخاطبة أطفالهم وتربيتهم، ومدهم بالغذاء الثقافي الصحي...

ومن هنا تكمن خطورة المؤثرات الثقافية، وحساسية توجهاتها، وتأثيرها العكسي... إن لم تسبقها المعرفة الواعية لماهية الموضوعة وهدفها... والأسلوب... والطريقة التي تحملها الوسيلة الثقافية، ولا سيما «الوافدة»... والتدقيق في هدفها وغايتها قبل تقديمها إلى الطفل... وتحقيق غايتها...

ومع أن عالم الأطفال واسع، وله عناصر مشتركة يجمع حولها الأطفال في جميع البقاع... لا سيما ما يستهويه الأطفال ويقعون تحت تأثيره، من ألوان جميلة... وطرائق جذب في الوسيلة الثقافية التي يتأثر بها حتى تفعل فعلها في مخيلة الطفل وتؤثر في أفكاره... بغض النظر عن غايتها وهدفها. فهو - أي الطفل - يجهل الخصوصية، ولا يعي التأثيرات الجانبية لهذه الوسيلة الثقافية «الوافدة»... المهم عنده إطارها العام وأسلوبها المغري في جذبه إليها...

ومسألة التمييز... ومعرفة الأهداف والغايات والتأثيرات في هذه الوسيلة الثقافية أو تلك، تقع مسؤوليتها على الأب أو المربي والمراقب الثقافي... حيث (تستغل كثير من دور النشر ووسائل الاتصال الأخرى في الدول المتقدمة خصوبة عالم الطفولة. واستعداد الأطفال لتقبل كثير مما يتميز بالإثارة والجاذبية، لذا فهي تمطر الأطفال في البلدان النامية بفيض من العناصر الثقافية التي لا يتوافق الكثير منها مع سياق الأطفال، ولا تنسجم مع الخطط التي يرسمها الكبار لهذا السياق... ويراد ببعض من هذا الفيض زعزعة ثقافة الأطفال في بعض البلدان النامية)[1] وجعلها تقع تحت تأثيره وسيطرته في حالة أشبه بالغزو الثقافي غير المباشر...

1- د. هادي نعمان الهيتي - ثقافة الأطفال.

وكثيراً ما وقفنا على العديد مـن المطبوعـات والوسـائل الثقافيـة الموجهـة للأطفـال، مـن الدول المتقدمة إلى الدول النامية وقد تم تطعيمها بالأفكـار والقـيم التـي لا تتناسـب وطبيعـة وتطلعات أطفال الدول النامية وأفكارهم وقيمهم.

دور المربي في

موجهات ثقافة الأطفال

وهنـا يـأتي دور المـربي أو المعلـم أو الأب في التـدقيق والرقابـة والانتقـاء وتشـخيص مكـامكن الخطورة، أو أوجه التوافق مع العناصر الثقافية الوافدة.. ومدى بعدها أو قربها من خصوصية أطفاله، وانسـجامها الـواعي مـع موجهـات هـذه العنـاصر الثقافيـة، ومـدى انسـجامها مـع الخطـط التربويـة المرسومة...

كذلك فهناك انعكاسات جانبية من ثقافة المجتمع على ثقافة الأطفال، بوصف ثقافـة الأطفـال ثقافة فرعية تشترك مع ثقافة المجتمع في عناصر كثيرة وموجهاتهما واحدة في إخضاع الفرد إلى سـيطرة الوسيلة الثقافية...

فتؤثر ثقافة المجتمع تأثيراً مباشراً في الأطفال، وهـذا التـأثير لـه انعكاسـاته وتأثيراتـه الإيجابيـة والسلبية في نفوس الأطفال الذي يقعون تحت سيطرته بشـكل عفـوي... فتـأتي عنـاصر ثقافـة الأطفـال ووسائلها بكل موجهاتها لتنظيم وتنقية طريقة تسلمهم للموجهات الثقافية العامة... وتحديـد وسـائل اتصالهم على وفق خصوصيتهم ووعيهم وقدراتهم التي تجعل ميولهم تتجه لثقـافتهم الخاصـة... التـي هذبت بعـض جوانـب ثقافـة المجتمـع ونقلتهـا إلـيهم عـلى وفـق خصوصـيتهم وفهمهـم... وبطريقـة وأساليب تنطلق من عناصر ثقافة الأطفال ومفاهيمها وقيمها.

لذا فثقافة الأطفال (تشارك الثقافة العامة في صفات عدة، ولكنها لا تشكل نسخة مكررة منهـا بأي حال من الأحوال، كما أنها لا تشكل تصغيراً أو تبسيطاً لها، بل هي كيان متميز، ويتضـح ذلـك مـن استعراض ما بـين ثقافـة الأطفـال وثقافـة المجتمـع مـن فـروق... فلغـة الأطفـال وعـاداتهم في العمـل واللعــب، وتقاليــدهم، وطــرائقهم في التعبــير عــن أنفســهم وعــواطفهم وانفعــالاتهم، ومهــاراتهم

المختلفة، وطرائقهم في التفكير والتخيل، ومثلهم العليا، ونتاجاتهم الفنية، والقصص التي يتناقلونها، والأغاني التي يتغنون بها، والموسيقى التي تروق لهم... وأوجه سلوكهم الأخرى تختلف في مجملها عن تلك التي يختص بها الكبار، لا من حيث الدرجة، بل من حيث النوع والاتجاه، لذا فنحن نتحدث عن لغة الأطفال ولغة الكبار كموضوعين مختلفين، وهكذا بالنسبة إلى الجوانب الأخرى على أساس أن هذه الجوانب مختلفة)[1] في الصيغة والوسائل وعناصر العمل... وطريق الإرسال والتسلم...

وكما أن ثقافة المجتمع وسائل اتصال معروفة، تحقق الغاية المطلوبة، كذلك لثقافة الأطفال وسائل اتصال خاصة بها... أبرزها الإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والصحافة وغيرها... فضلاً عن وسائل الاتصال الأخرى المتمثلة بالاتصالات الشخصية بين طفل وآخر، وبين مجموعة وأخرى... يتم بواسطتها اكتساب معارف ومعلومات وآراء وقيم... تمثل جميعها بعض الوسائل الاتصالية في نقل العناصر الثقافية التي تدخل ضمن نطاق الخصائص التعليمية والتربوية والاجتماعية... وكلما تفاعلت هذه العناصر في شخصية الطفل أدت إلى رسوخ القيم الثقافية ووضوح التنشئة الثقافية السليمة...

ويمكننا تلمس ذلك ومعرفته، عبر إخضاع الطفل إلى جملة من الاختبارات، أبرزها مراقبة حديثه وميوله وطريقة انتباهه للأشياء وتأملها... ومتابعته لما يعرض له أو يقدم له من وسائل ثقافية... وصيغة السؤال والجواب التي يلح في معظم الأحيان لمعرفتها حول ظواهر الحياة والكون...

من كل ذلك وعبر ما تقدم نعي تماماً مؤثرات ثقافة الأطفال في وعي الطفل...

1- د. هادي نعمان الهيتي - ثقافة الأطفال.

محاور ثقافة الأطفال

لقد عرف إن ثقافة الأطفال يكتسبها الطفل من عناصر ووسائل عديدة، تربطها شبكة من العلاقات، تتحدد بواسطة اتصاله بالمجتمع... وكلها تتمثل بوسائل اللعب مع الآخرين، واكتساب المهارات والخبرات، والاطلاع والتعلم والتربية في البيت والمدرسة والنادي... وأسئلته الملحة حول الظواهر الطبيعية وألغاز الحياة ومحيطه الذي يدور فيه...

تلك الأسئلة التي تنتج عن ميوله في معرفة كل ما يراه مبهماً أمامه... ولإشباع غريزة الفضول لديه... وبالتالي تشكل هذه المبهمات بعد الوصول إلى حقيقتها حصيلة مهمة من القيم الثقافية، المضافة إلى معارفه... وتتضح معالم التنشئة الثقافية في شخصيته..

إلا أن ما عرف سابقاً وما تعارف عليه حديثاً وأصبح التعريف الثابت والشائع، والمألوف لدى الخبراء والعاملين والمهتمين بثقافة الأطفال في الوقت الحاضر هو:

إن ثقافة الأطفال تتشكل من محورين أساسيين هما:

المحور الأول: هو أدب الأطفال، الذي يمثل الإطار العام لمجموعة من العناصر المشتركة التي تعارف الناس على تسميتها داخل إطار أدب الأطفال، بالأجناس الأدبية الواضحة مثل:

- شعر الأطفال،
- قصص الأطفال،
- كتب الأطفال،
- صحافة الأطفال،

المحور الثاني: هو فنون الأطفال، وتشترك في إطارها عناصر فنية عديدة، لكل منها خصوصية في التجسيد والتعبير عن خطابها التربوي، ومجالها الفني في

محاكاة الطفل وتنمية خياله ومخيلته وتصوير مكامن الجمال في حياته... وعناصر فنون الأطفال وأشكالها هي:

- مسرح الأطفال.

- أغنية الأطفال.

- سينما الأطفال.

- رسوم الأطفال.

- تلفزيون الأطفال.

ومع اختلاف الشكل العام لعناصر المحور الأول، عن الشكل العام لعناصر المحور الثاني، لخصوصية الأسلوب وطريقة التعبير، ووسيلة الاتصال لكل عنصر من العناصر الأدبية والفنية... إلا أنها قابلة للاندماج، والاشتراك في بنية واحدة... وعلاقة مشتركة لأداء رسالتها التربوية، ومهمتها التعليمية، وغايتها الثقافية، بطريقة تمكن الطفل من التجاوب السريع مع خطابها التربوي...

والعلاقة المشتركة بين محور أدب الأطفال، ومحور فنون الأطفال، تشكل قيمة واعية، وطريقة ناجحة للمد الثقافي الموجه للأطفال، وهي وسيلة متقدمة تسهم بشكل كبير في إعداد الطفل وإنضاج مخيلته، ومداركه لتسلم المرسل الثقافي والتفاعل معه... والتأثر به...

لذلك نطلق على هذه العلاقة المشتركة بين المحورين بعد دمج البنية الأدبية وعناصرها، مع البنية الفنية وعناصرها في تشكيل واحد ينتج عنه وحدة موضوعية، وفنية متماسكة نسميها بنية (الاندماجية الفن-أدبية) أي الاندماج الأدبي والفني، وخلط المحورين، محور أدب الأطفال ومحور فنون الأطفال في محور أو دائرة واحدة تشكل الإشعاع الثقافي الكبير والقاعدة التربوية السليمة والناجحة في تكوين الخطاب التربوي لدى الطفل...

وعلى أساس هذه البنية... سنناقش وندرس العلاقة المشتركة بين الأجناس الأدبية والفنية وخصائص كل منها مجتمعة، ومنفردة... والحصيلة التي نتوصل لها في هذه العملية وانعكاساتها على وعي الطفل.

الفصل الثاني

مدخل إلى فهم الاندماجية

الفن - أدبية

مرتكز التجانس المعرفي

في أدب الأطفال

كثيراً ما نتحدث عن أدب الأطفال بمعناه الشمولي، المرتكز إلى الأساليب الإبداعية الخاصة في متونه الفنية والغرضية العاملة في منطقة توجيه الخطاب التربوي الموجه إلى الطفل.... فنستعين بوسائل ثقافية أخرى ووسائل تربوية متقاربة في التوجيه كعوامل مساعدة لإنجاح عملية التربية والتثقيف وإيصال الخطاب التربوي إلى أبعد منطقة في وعي الطفل...

فنلج عالم المسرح والمسرحية إلى جانب القصة والحكاية والقصيدة والأنشودة، فنتمثل بهذا الأدب، انعكاساته الموضوعية والجمالية والفنية في التأثير والتأثر، ضمن الميدان الصحي لعالم الطفولة... وقنوات توجيهه، وتربيته... وإعداده وفق المرجعية المنهجية في التوجيه والإعداد، المستنبطة من دروس الواقع ومنهجة هذه الدروس في الصيغ والأساليب الأدبية الواضحة في التعامل مع الطفل... منطلقين من قواعد تربوية، فنسمي مداخل تلك الثوابت العامة بالصيغ والدروس التوجيهية، والتنظيمية، للوظائف الحسية والذهنية والعقلية والنفسية للطفل.

ونطلق على العوامل المساعدة لتمكين هذه الدروس من أداء وظائفها وواجباتها، بالوسائل الأدبية والفنية الواعية... المكملة للصيغ الأولى في التوجيه والتربية..

ويتطور الوعي والتوجيه ووسائل التربية، يصار إلى معرفة أهمية التخصيص والتقنين ضمن أطر واضحة ودقيقة في التوجيه والتعليم، فنعكس مهمات وماهيات وصيغ ومفاهيم الأدب والفن والثقافة والفكر والوعي المتعارفة في عالم الكبار على عالم الصغار...

فنهتم بذلك ونسعى إلى الترسيخ والتخصيص العلمي... فنعكس كل ما يرافق مجسات الحياة ضمن العام على مجسات الحياة ضمن الخاص، فنستنتج من أساليب وتقنيات أدب الكبار، أسلوب وتقنيات أدب الأطفال، مع إضفاء الوعي والخبرة الخاصة في هذا الأدب..

فنجهد في الوعي والتمكين والدراسة فنعطي هذا الأدب الحساس، والخاص شخصيته المستقلة، ومفهومه الشمولي، في استيعاب متطلبات الطفولة ومراحلها وحاجياتها بحسب مراحل نمو الطفل العمرية، بشكل ذكي ومبدع... يعطي مسألة «الفن - أدبية» أهميتها وعمقها وصداها في عالم الطفل...

ومن هذا المفهوم نستطيع أن نؤسس لحالة تربوية وقاعدة ثقافية رصينة تكون بمثابة المدخل التربوي لبناء شخصية الطفل.

ولا ننسى في ذلك مهمة الخصوصية التي يحددها مفهوم وعناصر أدب الأطفال في ساحة التوجيه... وهدفية المدخل التربوي...

وهنا سيصبح أدب الأطفال الذي يشمل التوافق الموضوعي والغني الواعي بين أساليبه والأساليب الفنية الأخرى منهجاً للتربية والتثقيف والمتعة له تأثيره في وعي الطفل واستيعابه، والتأثير في سلوكه وروحيته... ويستطيع بذلك الارتقاء بإحساسه وسلوكه إلى آفاق رحبة، تجعل منه بذرة طيبة، تحمل كل معاني الخير والحب والجمال والخيال الواسع والشعور بالمسؤولية إزاء الحياة... ويتهيأ ليكون رجل الغد المشرق...

ومن هنا يمكن لهذا الأدب - بعد أداء مهماته الأساسية وأغراضه الموضوعية بنجاح - أن يكون فعلاً طاقة مؤثرة.. وأسلوباً ناجحاً في تكوين معارفه وكيانه... ومساعدته في النمو السليم واكتشاف أسرار الحياة... وشق طريقه بسلام، ونجاح ودراية، تمكنه من الاستقلالية وبناء الوعي المتدرج، والناضج، وامتصاص الغذاء الثقافي شيئاً فشيئاً...

ونستطيع عند ذلك أن نطلق تسمية «أدب الأطفال» على ذلك الأدب بجدارة.. بعد نجاحه ودوره الفاعل في إنضاج مراحل الطفولة وتأهيلها في التوجيه والتربية...

وابتداءً بالدخول إلى وعي الطفل اعتماداً على المداخل التربوية المختلفة، والتي تعتمد في مناهجها وطرائقها وأساليبها على مراحل التربية والتعليم والتوجيه والتثقيف والبناء الفكري للطفل... وأسس كل ذلك بالاعتماد أيضاً على عناصر أدب الأطفال... لا بد من الإحاطة الكاملة، بكل مرتكزات هذا الأدب وقنواته وعوامله المساعدة... انطلاقاً من تراكمات الخبرة الطويلة للمربي أو المرسل الثقافي في كيفية العمل وصيغ التوصيل والتأثير... فلا يمكن أن نجزئ هذا الأدب... أو نجعله مختصراً على أساليبه وأشكاله وأجناسه المستقلة، والمترابطة دون الاستعانة بأساليب وأجناس أسلوبية أو فنية أو تربوية غاية في الأهمية مع ماهية أدب الأطفال في أداء أغراضه الأساسية في مخيلة الطفل...

وفي كل الحالات، تعد تلك الأساليب المرافقة عوامل مساعدة وأساسية في إيصال المادة الأدبية إلى وعي الطفل وخياله وفهمه واستيعابه... وتسهم بشده إلى دائرة الارتكاز الاستيعابي لإشكاليات الفكرة وبساطتها وموضوعها وأهميتها في المخيلة الأدبية ومجسات الوعي... وتجعله أكثر قدرة على الاستيعاب والتفاعل الموضوعي والتربوي مع المادة الأدبية والفنية المشتركة... التي وجهت له... لتكتسب هذه المادة مشروعيتها في الوصول إلى فهم الطفل... وتلبية حاجياته الذهنية والعقلية والفكرية ونجاح عناصرها الأساسية في إيصال رسالتها التربوية والثقافية.. وتصبح بحق مرتكزاً قوياً للتجانس المعرفي في عقلية الطفل...

مظاهر وقيم

«الاندماجية الفن-أدبية» في التوجيه وأدب الأطفال

تأسيساً على ما سبق، نستنتج من ذلك أهمية «الاندماجية الفن-أدبية» وفاعليتها في مهمة أدب الأطفال.. إذ لا يمكن فصل القصة عن الصورة المرسومة التي ترافق القصة في غرضها... وتتشكل من روحها وأحداثها ومناخها، وتقوم هذه الصورة الجميلة بتحبيب القصة للطفل وجذبه إليها، وتساعده على فهمها واستيعابها بطريقة محببة تحرك في ذهنية الطفل مجسات الوعي والتأمل والذكاء، والخيال والشعور الجمالي الذي يعطي بدوره مجسه القوي لكل خلجات الطفل وأحاسيسه، عبر الكلمات المتناسقة، وتسلسل الرؤى والفكرة مع إشراقة تلك الألوان والحركات والخطوط والمعالم الجميلة، الواضحة المتشكلة من القصة والصورة المرسومة المرافقة لها...

كذلك، ضمن السياق ذاته لا يمكن فصل القصيدة الشعرية بكل موسيقاها الواضحة في تنقيحات كلماتها وبساطة لغتها، وخيالاتها الجميلة عن أهمية الإيقاع الموسيقي المؤثر والواضح في اللحن الراقص، في حالة التغني والإنشاد عندما نحيلها إلى روحية الأغنية أو الأنشودة، أو نعكسها في المشهد الغنائي والحركي، الموازي في التوجه والمخاطبة للمسرحية الشعورية أو الأوبريت الغنائي الموسيقي... فلا يمكن فصل الكلمات الشعرية في القصيدة عن إيقاع اللحن في حالة الموسيقى وهكذا...

فنجد بذلك استيعاب الطفل للقصيدة المجردة وتأثيرها في مداركه، غير حالة استيعاب وتأثير القصيدة المغناة أو المرافقة للمشهد التمثيلي. والموسيقي... والتي يكون إشعاعها الثقافي وزيادة معرفتها أكثر انتشاراً من الإشعاع الثقافي وزيادة المعرفة في القصيدة المجردة...

حيث تكون لكل حالة درجة معينة من الاستيعاب والتأثير في روح المتلقي الذي يعي تماماً التباين في الحالتين، وطريقة توجههما، وأهمية كل واحدة من الحالتين وتفاصيلهما في عملية التقديم والعرض والبنى الحركية التي تتشكل وتتنامى أمامه.. مع ميله الكبير وتوجهه لتوجيه وسيطرة العوالم الجميلة والمشتركة في «الاندماجية الفن-أدبية» ضمن المادة الأدبية والفنية المقدمة إليه...

ويمكن الوصول إلى ذلك الفهم عبر الرجوع إلى المخطط التوضيحي لشبكة العلاقات التي تجسدها «الاندماجية الفن-أدبية» واستقلالية «أدب الأطفال» و«فنون الأطفال» والذي جعلناه مرافقاً لهذه الدراسة مع مخطط توضيحي آخر عن شبكة علاقات «ثقافة الأطفال» في نهاية هذا الفصل...

وعبر هذا المفهوم في الخطاب والعرض... كثيراً ما يستشهد خبراء ثقافة وأدب وفنون الأطفال، بكل الوسائل الأساسية والمساعدة لها... ودمجها في بنية واحدة مشتركة...

ونجدهم في معظم الأحيان يستعينون في الحديث عن أدب الأطفال وأغراضه وفاعليته، بالمسرحية والمسرح إلى جانب القصة والرسم. والقصيدة، إلى جانب الفيلم والموسيقى والوسائل التعليمية ووسائل الإيضاح الأخرى... مع الأخذ بالحسبان خصوصيات كل واحد من هذه الفنون والوسائل التعبيرية، واستقلاليته بذاته...

وهم يعون تماماً أن فاعلية كل عنصر وفن وأسلوب تكون أنضج وأكبر لو دخلت في شبكة علاقات مشتركة ضمن «الاندماجية الفن-أدبية» والاشتراك الواعي في أداء مهمة مشتركة وأساسية في مخاطبة الطفل...

ويعد سلوك هذا المنحى «الاستشهادي والاستيعابي» من قبل هؤلاء الخبراء... سلوكاً صحياً مطلوباً... لم يأت من عجز الفن الواحد القائم بذاته أو فراغ في هذه الوسيلة الأدبية والفنية أو تلك... بل يأتي لإغناء أساسيات الخطاب والعرض في المهمة التي يقومون بها.. ومدى حساسيتها في العملية التربوية والتثقيفية... وأهمية كل «الاندماجية» واشتراك كل الطرائق التي تساعد على تقريب مساعيهم ونجاحها في عالم الطفل...

وهذا الاشتراك يشكل بمجمله جانباً حيوياً ومؤثراً في السلوك والتصرفات والتنشئة وحصول القيم البنائية في التربية والتعليم... ويوضح الارتباط الكبير بين الثقافة والطفل... ومدى علاقة الأجناس والأشكال الأدبية والفنية المشتركة، وفعلها بالجوانب السايكولوجية، والعقلية، والتربوية، ومراحل النمو الفسيولوجي والمجسات الحسية للطفل...

ونعي أهمية الفعل المشترك أو «الاندماجية الفن-أدبية» في كيان الطفل، عبر الاختبارات الثقافية وامتحانات الذكاء لكل مرحلة من مراحل الطفولة... ومدى تطور لغة الأطفال ومهاراتهم... لطرائق التعبير لديهم... وتكامل مواهبهم وتطلعاتهم للعوالم التي تحيطهم...

لغة الخطاب التربوي

في أدب الأطفال

تعد لغة الخطاب التربوي في أدب الأطفال، من الأهداف الأساسية المبتغاة في النتائج التي يهدف إلى تحقيقها أدب الأطفال في عملية الإرسال والتسلم...

وتتكامل البنية الموضوعية والفنية لهذه اللغة في موجهات الخطاب التربوي كلما كانت وسائلها محكمة وذكية في التعامل مع مراحل الطفولة والتأثير فيها... وكلما كانت استجابة الطفل لها سريعة ومؤثرة.. وفاعلة في تنشيط مخيلته وتحريكها في المستوى الذي يجعله ينساق إليها ويتابع بشغف كبير، وتصبح حاجة أساسية من حاجياتها ومتطلبات تنامي شخصيته...

وفي حالة الدراسة والبحث والتنظير والتقويم، لمجسات وعناصر الخطاب التربوي في أدب الأطفال التي يقوم بها الباحثون والدارسون، فضلاً عن استخدامهم «الاندماجية الفن-أدبية» في الكثير من الحالات، يقومون بحالات الفصل والتفصيل لكل جنس أدبي أو فني أو مفهوم اعتباري في دائرة ثقافة الأطفال للوقوف على قياسات لغة الخطاب.

فحالات الفصل والتفصيل لكل جنس أدبي أو فني مطلوبة وأساسية في الوقوف على الخصوصية والاستقلالية ومدى تقبل الطفل، وتفاعله معها... ومعرفة تأثيرها الفردي، لا سيما عندما نضعها في دائرة الاختبار، والعلاقة، والتأثير، لقياس مدى وصول لغة الخطاب التربوي...

أي معرفة الأثر والمؤثر في دائرتها... أو بمعنى آخر معرفة علاقتها، بين مهمتها في التوجيه، والموجه له - المتلقي -، أو بمعنى آخر (السالب والموجب« في دائرة الضوء»، وما يتوخى منها في مساحة الإضاءة التي أنتجتها الدائرة، فتتضح النتيجة المطلوبة ضمن خط بياني دقيق، لكل خطوة نخطوها في التأسيس الواعي لبناء

المفاهيم والمداخل التربوية في الدخول إلى عالم الطفل، والإحاطة الكاملة والمدروسة لجوانب حياته، وتوضيح معالم الخطاب التربوي، وبالتالي استيعاب متطلبات الطفل وحاجياته الثقافية والفنية والعقلية... والتصرف والتعامل معها وفق الفهم والوعي السابق، والمحدود ضمن إمكانات وحدود سنوات الطفل ونموها... سعياً للوصول إلى الفهم الشامل للمرتكزات العلمية في التجانس المعرفي لكل مرحلة عمرية من مراحل نمو الطفل...

والمسألة الأكثر حساسية ودقة في التأسيس للغة الخطاب التربوي، هي معرفة متطلبات وماهيات ودرجات مراحل النمو، وخصوصية كل مرحلة... والتي تتطلب من الباحث والدارس والكاتب والأديب والفنان والمربي، أن يتعامل معها بدقة، ووعي متنام، وإحساس دقيق وكبير بالمسؤولية العلمية والتربوية، تجاه الطفولة ووعي وأهمية التقمص الذكي لروح الطفولة والتفاعل معها... أي الشعور والتصرف الكبير بالطفولة الكاملة.. وإشعار الطفل بهذا السلوك والتصرف، بطريقة بريئة تماماً... وغير مفتعلة أو مصطنعة أو ساذجة.. غير مقنعة للطفل... وتجعله ينفر عنها... ولا يميل إليها..

(أنا شخصياً عندما أكتب الشعر، أو القصص، للأطفال، أشعر بطفولة كبيرة تغمرني.. وتسيطر علي، فأخلق أجواء رائعة تساعدني على الاقتراب من روح الطفولة وتقمصها... ومعايشتها... بل أشعر، وأتصرف كما لو أنني طفل في مرحلة الطفولة... فتراني مع كل إرهاصات الكتابة، وخطورتها وحساسيتها - لا سيما الموجهة للأطفال - أخرج سعيداً من تقمصي الطفولة الساحرة... بل يتنامى عندي هذا الشعور ويكبر، ويجعلني أكثر معرفة وقرباً من الطفولة... التي أصبحت قضية بالنسبة لي... ولا يمكن في يوم من الأيام التخلي عن هذه القضية، التي تتعمق وتزداد رسوخاً يوماً بعد يوم في تجربتي وعلاقتي مع الكون...

وفي هذا المجال... وضن المسار ذاته... يهمني جداً أن أستشير الأطفال لا سيما الذين يحيطونني، في كل ما اكتبه لهم من أشعار وقصص ومسرحيات وأناشيد، وأعد آراءهم وانتقاداتهم، وملاحظاتهم البريئة والصادقة، مهمة جداً في خطابي التربوي الموجه لهم... وهي ملاحظات تغنيني كثيراً وتعمق تجربتي معهم... بل أعدها

أهم بكثير من آراء الكبار من النقاد والقراء الذين لا يعون أهمية وخطورة ما أكتبه للأطفال أكثر من الأطفال أنفسهم»[1]..

كل ذلك من أجل التمكن والتمكين في معرفة الطفولة، وبناء القدرة في الدخول إلى شخصية الطفل واستيعابها، واستلهام الخبرة منها في زيادة المعرفة والوعي والقوة في مخاطبتها، والكتابة إليها، بوعي معرفي يعمق الخطاب التربوي والتوجيهي، ويجذب المتلقي ويشده إلى ماهية الخطاب والتوجيه بواسطة عناصر وأساليب أدب الأطفال...

1- فاضل عباس الكعبي - جوانب من تجربة الكتابة للأطفال.

خصوصية أدب الأطفال

تعد الكتابة للأطفال من أصعب الفنون، وأعقدها، إن لم نقل: تعد كتابة عجيبة وساحرة، يجهل الكثير الدخول في غمارها، وإجادتها بكل براعة ودقة، والتمكن بجدارة من الإحاطة بشروطها ومناخ نجاحها، ووصولها إلى الطفل...

حيث عجز الكثير من كبار الأدباء والكتاب في العالم الوصول إلى سحر الكتابة للأطفال وسر هذا السحر، والنجاح بمسعى من مساعيهم ومحاولاتهم بهذا الاتجاه، مع تمكنهم ونجاحهم الكبير في الكتابة للكبار، والوصول إلى مستويات متقدمة من الإبداع المتميز في تجاربهم الإبداعية...

وتتأتى صعوبة الكتابة للأطفال (من جوانب عدة من أبرزها ما يتميز به أدب الأطفال من بساطة... ومعروف إن أبسط الفنون الأدبية على القارئ أصعبها على الكاتب... وكان توفيق الحكيم يوم بدأ بتسجيل بعض الحكايات للأطفال عام 1977، قد أشار إلى ذلك بقوله:

«إن البساطة أصعب من التعمق، وإنه لمن السهل أن أكتب وأتكلم كلاماً عميقاً، ولكن من الصعب أن أنتقي وأتخير الأسلوب السهل الذي يشعر السامع بأني جليس معه ولست معلماً له، وهذه هي مشكلتي مع أدب الأطفال».

والصعوبة الثانية، هي أن الأديب الذي يكتب للأطفال هو أسير عدد من الشروط، من بينها وجوب توافق الإنتاج الأدبي مع قدرات الأطفال وحاجاتهم، ويمكن تبين مدى هذه الصعوبة، إذا ما تذكرنا أن الطفل لا يزال غامضاً أمام الكبار، ولم تنته البحوث العلمية إلى تفسير كثير من جوانب سلوكه بعد، هذا في وقت يكون فيه الأديب، الذي يكتب للراشدين، حراً إلى حد بعيد، حيث إن هذا الأخير يكتب معظم الأحيان دون أن يضع جمهوراً معيناً في حسابه، أو أنه يكتب لجمهور مفترض... أو يكتب دون أن يعرف من سيكون الجمهور الذي يستقبل ما يكتب.

وهناك مسألة عامة تواجه أدب الأطفال في كل مكان، وتشكل في الوقت نفسه إحدى مشكلات الكتابة للأطفال، وهي إن أدب الأطفال، كنوع فني، لا يزال جديداً. لذا لم يكتسب تقاليد عامة بعد.. وقد هيأ هذا التفكير لكثير من الاجتهادات والأحكام المتعسفة أن تطرح في الساحة وأن تلاقي بعض القبول، لا لسبب إلا لأنها تبدو معقولة، مع أن كون أي أمر معقولاً لا يعني أنه صحيح علمياً، إذ لا بد من أن يخضع للتحليل العلمي كي يتقرر فيما إذا كان صحيحاً أو خاطئاً)[1] فبقيت الاجتهادات والآراء الشخصية التي تترسخ تجاربها في أدب الأطفال بشكل عميق، أن تطرح نفسها... فتزيد من حالة القصور والتشويش التي تغلف أدب الأطفال... وتؤدي إلى ضياع التعريفات والتفسيرات الجادة والعميقة في خضم الاجتهادات والآراء القاصرة...

وسبب ذلك يعود إلى غياب الدراسات النقدية الجادة.. والآراء العلمية التي تنطلق من عمق التجارب الرصينة في واقع ونتائج أدب الأطفال...

والسبب الآخر يعود إلى غياب الحركة النقدية المتخصصة التي ترصد النتاجات الجيدة التي يبدعها كتاب أدب الأطفال... فالمعروف هو أن أي حركة أدبية أو فنية لا يمكن أن تترسخ وتتوضح معالمها دون أن ترافقها بكل تحركاتها وأفكارها، حركة نقدية جادة، ورصينة، توضح معالمها، وتؤسس لها، وتضع الميزان في دائرتها، ليتبين النتاج العميق والأصيل عن النتاج السطحي... فبقي أدب الأطفال بعيداً عن دائرة النقد والمتابعة والعرض والتقويم والتنظير، ولم ينل الاهتمام الكافي الذي يوازي أهميته وخطورته وإنجازاته فأصبح مفتوحاً أمام الطارئين للدخول بسهولة إلى ميدانه...

وحدا ببعضهم إلى عده، أدباً هامشياً لا يحتاج إلى جهد من الاهتمام والتنظير... وسرعان ما ينساه الأطفال بمجرد أن يجتازوا مرحلة الطفولة ويكبروا...

إن قصور النظرة إلى أدب الأطفال، ناتج عن عدم استطاعة الذين ينظرون له هذه النظرة على الوصول إلى عمقه... فقد نظروا له من السطح... وعدوه شيئاً لا يهمهم، ويجب ألا يشغلوا أطفالهم به...

1- د. هادي نعمان الهيتي - ثقافة الأطفال.

هذا الفهم الساذج... والقاصر لأدب الأطفال جعل العديد مـن إنجازاتـه في واد... والأطفال في واد آخر... وجعل بعضهم ينظر إلى أديب أو كاتب الأطفال على أنه كاتب من الدرجة الأخيرة. في حـين أن كاتب الأطفال في العالم المتقدم له اعتبار آخر... ونظرة كبـيرة، ترتقـي بـه إلى مسـتوى أهميـة أدبـه الرفيع والمهم الموجه للأطفال، فيعد كاتب الأطفال بالدرجـة الممتـازة في مصـافي الكتـاب الكبـار... ولـه تقدير خاص، ويكاد يكون أهم بكثير من كتاب الكبار...

وهذا الفهم المتقـدم لكاتـب الأطفـال، نـاتج مـن صـعوبة هـذا الأدب وسـحره وجمالـه الـذي لا يتمكن من إجادته والإبداع به إلا من اجتاز مرحلة متقدمة من فهم الطفل والتعامـل الجميـل مـع متطلباته وأصبح جمال إبداعه يوازي جمال الطفولة... وسحرها...

وقد أصبحت حالة البساطة في أدب الأطفال معوقاً، وإشـكالية كبـيرة في الفهـم الصـحيح لأدب الأطفـال... فـيظن بعـض مـن لا يعـون أهميـة وحجـم المسـؤولية في الكتابـة للأطفـال... وبعـض مـن تستهويهم الكتابة للأطفال، أنه أدب بسيط وسهل ولا يحتاج إلى جهد كبير، وتفكـير عميـق في إنتاجـه، ومن هنا تقع المشكلة الأولى عند الكاتب الذي يستسهل الكتابة للأطفال، في عدم فهم الطفل وطريقة الوصول له... وتقع المشكلة الثانية عند الطفل القارئ... الذي تلقى هذا الأدب مـن هـذا الكاتـب، فلا يجد المتعة وما يبتغيه في نصوص هذا الكاتب مما يجعله ينفر منه...

هنا نؤكد أن السـهولة في أدب الأطفـال، هـي صـعبة في آن واحـد... هـذه السـهولة مـن بـاب (السهل الممتنع)... وقد قال «شريدان كليـو» إن (الكتابـة السـهلة سـبب الـبلاء في القـراءة الصـعبة)... صحيح إن هناك سهولة، ولكن الصعوبة البالغة دائماً في كيفية استخدام هذه السهولة على أنها سهلة... وتستطيع أن تصل إلى الطفل بسهولة وتحقق غايتها الكبيرة عنـد الكاتـب وعنـد القـارئ... إذ لا يمكـن نجاح مثل هذه الكتابة، دون انطلاقهـا مـن حاجـات الطفولـة ومراحلهـا، والتجـاوب مـع كـل مرحلـة وخصوصيتها في التصرف والمتطلبات...

ومن هذا المفهـوم تتوضـح بعـض إشـكاليات الصـعوبة في الكتابـة للأطفـال، وكـما يقـول تولسـتوي (مـن السـنة الخامسـة إلى السـنة الخمسـين خطـوة واحـدة فقـط،

ولكن من الطفل الوليد إلى السنة الخامسة مسافة شاسعة جداً). هذه المسافة الشاسعة جداً تتطلب من المتصدي للكتابة للأطفال، أن يجتاز حواجزها وإبعادها بحذر شديد، وقوة كبيرة تمكنه من الوصول بسلام إلى عمق الطفل، وامتلاك القدرة على مخاطبته والتأثير في قدراته...

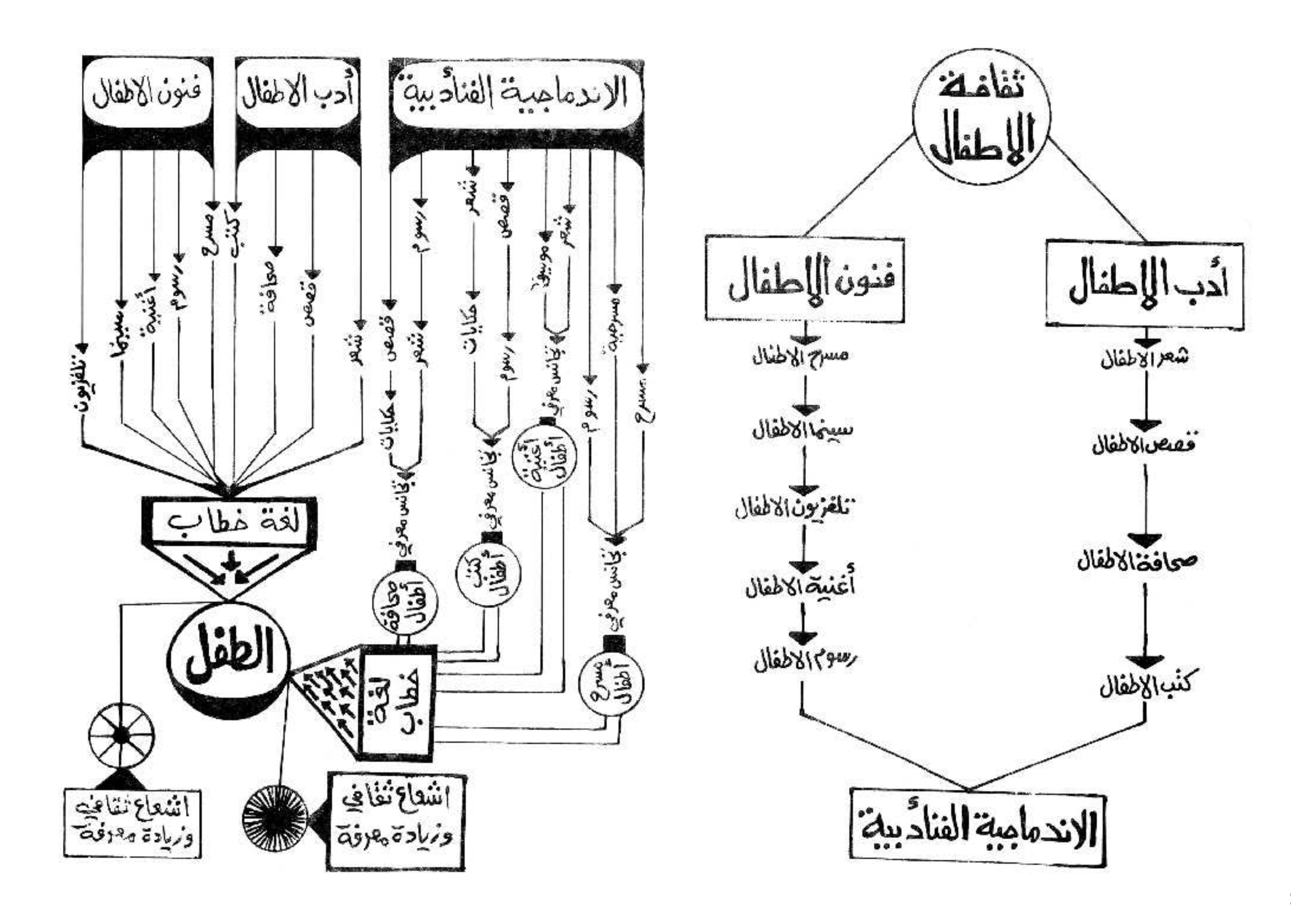
إن نعت الكتابة للأطفال بالصعوبة، لم يأت من أمزجة، مهوشة تحتكر الكتابة للأطفال، بقدر ما هي حقيقة الأمر التي يتعامل معها كتاب الأطفال... وقد توضحت هذه الصعوبة، وصرح بها كبار الكتاب والأدباء الذين كتبوا والذين لم يكتبوا للأطفال...

ومن باب الاستشهاد في هذا الأمر أذكر (في جلسة خاصة جمعتني بالروائي العربي الكبير عبد الرحمن منيف عام 1981 في فندق بغداد، وقد شاركنا الجلسة الكاتب المصري سعد التائه والأستاذ إلياس غانم صاحب دار النضال للنشر في بيروت، الذي تكّفل طبع ونشر كتابي الشعري «جنة عصفور» والقصصي «الشجرة التي ابتسمت» وهما للأطفال، وحين اطلع الأستاذ عبد الرحمن منيف على المسودات الأخيرة للكتابين، دار بيننا نقاش طويل حول أدب الأطفال، وصعوبة الكتابة للأطفال، ومن جملة ما ذكره حينها قوله لي: إنني أحسدك على هذه الإمكانية والقدرة على الكتابة للأطفال وأنت بهذه السن... أتمنى لك التوفيق والنجاح... وآمل أن أحصل على هذين الكتابين بعد إنجازهما...

وحين سألته عن تجربته، وهل حاول الكتابة للأطفال، أجابني: إنه يجد صعوبة بالغة في ذلك، ويواجه صعوبة حتى في نقل وتبسيط بعض مواقف رواياته إلى أطفاله)[1]...

إذن فالكتابة للأطفال لها خصوصية لا يمكن لأي كاتب تجاوزها، أو نسيانها... وهذه الخصوصية هي التي تلح على الكاتب أن يخوض في ميدانها، في حالة امتلاكه الأدوات والإمكانات اللازمة للدخول إلى عالم الطفل والكتابة له...

1- فاضل الكعبي - رأي في أدب الأطفال.



ثقافة الأطفال
أدب الأطفال
فنون الأطفال
شعر الأطفال
قصص الأطفال
صحافة الأطفال
كتب الأطفال
مسرح الأطفال
سينما الأطفال
تلفزيون الأطفال
أغنية الأطفال
رسوم الأطفال
الاندماجية الفنادبية
فنون الأطفال
أدب الأطفال
الاندماجية الفنادبية
تلفزيون
سينما
أغنية
رسوم
مسرح
كتب
صحافة
قصص
شعر
قصص
شعر
رسوم
حكايات
شعر
قصص
حكايات
رسوم
موسيقى
شعر
مسرحية
رسوم
مسرح
تجانس معرفي
صحافة أطفال
كتب أطفال
أغنية أطفال
مسرح أطفال
لغة خطاب
لغة خطاب
الطفل
اشعاع ثقافي وزيادة معرفة
اشعاع ثقافي وزيادة معرفة

الفصل الثالث

مدخل إلى مسرح الأطفال

مرتكز المسرح في أدب الأطفال

وفاعليته في التجانس المعرفي

ضمن عموميات التفصيل لخاصية الأشكال «الفن-أدبية» وقيم الاندماجية ومظاهرها، لا بد من الإشارة والتفصيل المعرفي في خطاب التوجيه، ضمن هذا الباب إلى واحد من أهم الأشكال والأنماط في التخاطب والتوجيه، المساعد لأدب الأطفال... ألا وهو المسرح... مسرح الأطفال الذي يشكل نقطة الارتكاز المهمة في إيصال هدف أدب الأطفال، وقيمه التربوية إلى عقلية الطفل...

ولا بد هنا من الإحاطة بعلاقة المسرح ودوره وفعاليته في حياة الطفل، من جهة، وأهميته وترابطه مع الأجناس الأدبية في تشكيل بنية «الاندماجية الفن-أدبية» وما تشكله مجتمعة في نسيج الأسس التنظيرية، والمداخل التربوية في مفاهيم البحث والدراسة لمفهوم أدب الأطفال من جهة أخرى...

إن لغة التخاطب وأساليب التوجيه في مسرح الأطفال، لها مؤثراتها المباشرة دون وسيط... ولها وقعها الواضح في نفوس الأطفال، لذلك اعتمدت هذه اللغة بشكل أساسي ومهم في التوجيهات العامة لأدب الأطفال، وعدت من المرتكزات الأسلوبية والفنية ضمن دائرة «الاندماجية الفن-أدبية» المطلوبة في صيغ التعبير، والخطاب المعرفي الموجه للأطفال، بوصفها طريقة مباشرة ومكتملة في المهمات التربوية، وبوصف هذه اللغة - أي لغة مسرح الأطفال - جزءاً مترابطاً مع أدب الأطفال.... ومرافقاً مهماً له في أداء الأغراض «الفن-أدبية» المشتركة... أو فلنقل: إن العدد من النصوص الأدبية في حالتها الخاصة التي تتطلب طرائق معينة وعوامل مساعدة في الاستيعاب الكامل، والوصول إلى عمقها المعرفي والخطابي، تصبح متعرجة ولا تؤدي مهمتها بالشكل الصحيح، دون الاعتماد على المسرح، ولغة

المسرح في إتمام ما يراد لها إتمامه ضمن هدف وواجب النصوص الأدبية التي يضطلع أدب الأطفال لمهمة إنجازها، واستكمال حلقاتها الأدبية في مخاطبة الأطفال (فيأتي المسرح لإضاءة جوانبها الخفية ومساعدتها بشكل كبير في التأثير والاستيعاب والمخاطبة)[1]... لذلك اعتمدنا هنا مسرح الأطفال كجانب مهم وأساسي في ترصين مفهوم أدب الأطفال، والإحاطة بأغراضه «الفن-أدبية» ضمن خصوصية مسرح الأطفال....

1- فاضل عباس الكعبي: التوجيه والتخاطب في مسرح الأطفال.

ماهية مسرح الأطفال

ومفهومه

إن مسرح الأطفال جزء من أجزاء الفنون الإنسانية الجميلة التي تسهم في بلـورة فكـر الطفـل، واتجاهاته الأخلاقية والثقافية داخل الحياة العامة، وتخلق في نفسيته درجة كبيرة وحساسة من الذوق الإبداعي لتذوق وتحسس ما هو جميل، ومناسب لشخصيته، وكينونات حياته وفق مراحل تطوره التي تأتي مع تطور البيئة، التي يعيش ويتحرك فيها... وبالأخص يستطيع بواسطة حاسة الذوق هذه تحسس حركة الأشياء من حوله بكل دقة وتميز، تفاوت أصواتها ومعرفة ما هو ضار وما هو مفيد منها...

ومسرح الأطفال بوصفه شكلاً فنياً نابعاً من الحاجة التربوية التي هـي أسـاس خلقـه ووجـوده في الواقع... وأيضاً جاء لشـعور مـن المعنيـين بضرورتـه، كوسـيلة ثقافيـة تسـهم في أداء دورهـا بشـكل منطقي ومثمر... وتسهم هذه الوسيلة إذا استطاعت بشكل علمي ومدروس في تربيـة الشريحـة التـي خصص لها، والتي هي من أخطر، وأصعب الشرائح البشرية الأخرى في المجتمع...

ويعد مسرح الأطفال كما يقول «مارك توين»: (من أعظم الاختراعات في القرن العشرين... إنـه أقوى معلم للأخلاق. وخير دافع إلى السلوك الطيب اهتدت إليه عبقرية الإنسان) لأنـه يشـكل إحـدى الطرائق الأساسية والفاعلة في التربية والتعليم وتنمية مدارك الأطفال ومساعدتهم على معرفة ما يحيط بهم، من عوالم وأشياء، إلى جانب مساعدتهم في تحسين النطق والأداء... ويدفعهم إلى تنمية مهاراتهم..

إن مسرح الأطفـال ينبغـي لـه أن يـرتبط أساسـاً بالأطفـال، عـن طريـق دراسـة ميـولهم، ونفسـيتهم، ومـا يرغبـون فيـه، وغـير ذلـك.. لا أن يكـون ارتباطـه بالأطفـال

شكلياً يعتمد على ما يقدمه الكبار للأطفال، بعيداً عن استجواب وإشراك الأطفال فيما يقدم لهم..

على العمل المسرحي أن يعمل على توسيع خيال الأطفال، وينمي عناصر الشجاعة والثقة بالنفس، ويثير اهتمامهم بكل ما هو يساعدهم على تطوير قابلياتهم وإسعادهم.

كذلك على العمل المسرحي إن يكون المعلم الآخر للأطفال.. يعلمهم، وينمي فيهم قابلية الاستيعاب والفهم، وتقبل المعلومات العلمية المفيدة، ويساعدهم على حل المشكلات والصعوبات التي يفرضها عليهم العالم المحيط بهم... أو التي تأتي عبر ظروف خاصة لا تتلاءم والظرف الاجتماعي العام في المجتمع...

وعلى هذا الفن الجميل أيضاً أن يسعى إلى إسعاد الأطفال، وترفيههم، عن طريق استعمال بعض الأدوات الفنية المناسبة لعالمهم... والإكثار من وسائل اللعب واللهو داخل العرض المسرحي... والتي تشدهم أكثر إلى مشاهدة تسلسل المسرحية.

ولا بد أيضاً أن يكون المسرح واجهة تثقيفية ووسيلة تعليمية توجه الأطفال، وتقومهم وفق برنامج توجيهي مبسط، يتخذ له بعض الجوانب المهمة لأداء مهمته بشكل غير مباشر...

مسرح الأطفال
وأسلوبه في التربية والتعليم

نظراً لأهمية مسرح الأطفال وفاعليته في حياة الطفل، عده التربويون والمتخصصون وعلماء النفس والاجتماع.. أداة فاعلة في مساعدة المعلمين في تدريس الكثير من المواد العلمية والمنهجية..

وتتضح حقيقة هذا الأمر عبر الاستطلاعات والبحوث والدراسات الميدانية التي أجريت لمراحل مختلفة من سن الطفولة، في بلدان عديدة، فأثبتت أن النسب التي أخفقت بها المناهج التعليمية قد نجحت فيها وبشكل كبير العروض المسرحية الموجهة للأطفال، لأنها اعتمدت في مهمتها الشاقة والجميلة عناصر التشويق والتبسيط والمتعة، في إيصال المادة التعليمية والمفهومة العلمية إلى ذهنية الطفل، بطريقة تدفع الطفل إلى متابعتها وتقبلها دون أن تكون مفروضة عليه أو مقحمة، تشعره بالملل والنفور...

قد لا يصل بعضهم إلى هذه الحقيقة بسهولة، دون وعي سايكولوجي واجتماعي وتربوي بمتطلبات كل مرحلة عمرية من حياة الطفل وحساسيته تجاه الأشياء، وكما يقول «وينفريد وارد»: (إن ما يقبله الأطفال في سن الخامسة يبدو تافهاً بالنسبة للأطفال في سن الحادية عشرة. وما يهز مشاعر هؤلاء الأطفال يثير فزع الأطفال في الخامسة)...

إذاً فالوعي العميق بمتطلبات كل مرحلة عمرية وفهم حاجاتها الحياتية، يوصلنا إلى الأسلوب الناجح في تربيتها وتنشئتها، النشأة التي نطمح إليها.. وبالتالي نصل إلى حقيقة التجارب الناجحة التي تتعامل مع الأطفال، ونصل إلى التفسير الصحيح في وصول كل طفل سليم إلى المستوى الأخلاقي والعلمي المتميز، الذي يؤهله لأن يكون انطلاقة واعدة نحو المستقبل...

فلو أتينا بمجموعتين من الأطفال الأسوياء بالعمر نفسه، والمستوى الدراسي نفسه، والبيئة نفسها، مجموعة لم تشاهد أي عرض مسرحي للأطفال، ومجموعة شاهدت عدداً من العروض المسرحية... سنجد إن المجموعة الثانية أكثر وعياً، وأكثر اتزاناً، وأكثر استيعاباً وتقبلاً لما يقدم لها من توجيهات تربوية وتعليمية، وسنجد اختلافاً كبيراً بين المجموعتين لما اكتسبته المجموعة الثانية من خشبة المسرح، وسنجد ذوقها وإحساسها أكبر من المجموعة الأولى... وهذا ناتج من تأثير المسرح وفاعليته في نفوس الأطفال... فعندما يتفاعل الأطفال مع عناصر المسرحية في المسرح يتوسع خيالهم.. وتنمو مخيلتهم باتجاه التفكير بالوصول إلى آفاق المعرفة.. واكتساب معلومات جديدة، ومعارف أخرى.. كذلك (عندما يتذوق الأطفال الصور المسرحية الجميلة يصبحون أكثر إحساساً بالجمال)[1] وأكثر قدرة على استقبال الخطط التربوية والتعليمة سواء في المدرسة أو على خشبة المسرح، ويصبح بإمكانه التعامل الجاد والموضوعي مع موجهات المناهج الدراسية، واتباعها بدقة وذكاء لأنه يشعر عبرها، أن بإمكانه الارتقاء بمستوياته العقلية والذهنية، وتقوية مهاراته وزيادة معارفه، بما يشكل انعكاساً جيداً على شخصيته، وتعامله مع المجتمع...

ووراء كل ذلك يقف المسرح، والمدرسة... ولا سيما المعلم بالدرجة الأولى الذي يعطي المؤشر الأول للطفل في متابعة المسرح وخططه التربوية، سواء داخل المسرح أو داخل المدرسة... وبإمكان المعلم خلق بعض الأجواء المسرحية أو المسرح الصغير الذي يخدم العملية التربوية واستخدام الدروس في أسلوب مسرحي مشوق يطرحه إلى تلاميذه، ففي الكتب المدرسية (كثير من الموضوعات العلمية والأدبية، ومن واجب المعلم مسرحة هذه المواد ووضعها في قالب سهل يستهوي التلاميذ ويجد طريقه إلى عقولهم، وبذلك تتحقق رسالة المدرسة في خلق جيل واسع الاطلاع»[2]...

وإذا أردنا أن ندرس واقع وتطور المجتمعات ومعرفة مدى تحضرها وأساس نموها... فإننا قبل كل شيء نسير في هذا المنطلق وفق تقويم علمي مدروس، نابع من

1- وينفريد وارد، مسرح الأطفال.

2- محمد شاهين الجوهري، الأطفال والمسرح.

الضرورات العامة، والأسس المهمة لبناء كل مجتمع... أخذين بالحسبان الحياة الداخلية لهذا المجتمع وأوقات نموه العام...

والخطوة الأولى التي نخطوها، أو نبدؤها في تقويمنا لهذا المجتمع أو ذاك، هي معرفة القاعدة التربوية، وأساس تكامل جوانبها، والخطوط العريضة والوسائل التي يتربى فيها إنسان هذا المجتمع... ونبدأ بمعرفة هذا المقياس من اللبنة الأولى، وهو الطفل... وتتم دراسة الطفل ووسائله من مرحلة الروضة إلى آخر مرحلة ينمو فيها ويتحول إلى مرحلة المراهقة.. وتدرس أيضاً وسائل الطفل الثقافية.. لمعرفة مدى تطور الطفل... ومدى اهتمام ورعاية الدولة له... فقد دلت التجارب، على أن المجتمعات المتحضرة والمتطورة، تهتم اهتماماً كبيراً بوسائل الطفل الثقافية التي تساعد على فهمه للخطط التربوية والمناهج الدراسية، ومن هذه الوسائل وجود مسارح خاصة للأطفال تعتمد كوسيلة مهمة في التربية والثقافة، في إعداد الطفل وبناء مخيلته الفكرية، وتوسيع آفاق معارفه ومداركه، لكي يسهم هو أيضاً في تطور المجتمع عند تمكنه لذلك...

ومن هنا لا بد من مساعدة الآباء والمعلمين العاملين في المسرح، من أجل خلق الجمهور المسرحي الواعي من الأطفال، إذ إن (الآباء والمعلمين والعاملين في المسرح بحاجة إلى التعاون كي يحصلوا على نتائج ملموسة للمسرحية، فالمنهج العلمي الذي يتبعه مسرح موسكو للأطفال، والذي استطاع الكشف عن نتائج مهمة ومتعددة. عن مدى تأثير العرض المسرحي، يمكن اتخاذه مثلاً تحتذى به المؤسسات المسرحية، فهيئة المسرح تضم - إلى جانب الفنانين - مؤلفين وعلماء نفس ومختصين في شؤون الطفل، وهؤلاء جميعاً يقومون منذ زمن بعيد بدراسة المتفرجين ويسجلون انطباعات فئات مختلفة من الأطفال، ليس أثناء العرض فقد، بل بعد انقضائه بأيام، وذلك بمعونة الآباء والمعلمين، كما يدرسون بعناية الخطابات التي يرسلها الأطفال إلى المخرجين، وما يرسمون من لوحات لمناظر المسرحية وما يحكون من قصص، وما يجري بينهم من مباريات، كذلك يدرسون ملاحظات الأطفال العابرة على المسرحية)[1].. كل ذلك من أجل معرفة تأثير المسرح في الأطفال، ومؤثرات

1- وينفريد وارد، مسرح الأطفال.

العرض المسرحي في نفوسهم ومدى استفادتهم من دروسه التي تعتبر مدرستهم الثانية...

ومن هذا المنطلق (اهتمت الدول المتقدمة بمسرح الأطفال اهتماماً كبيراً وعدته أهم بكثير من مسرح الكبار فوضعت لـه كـل الإمكانـات والخـبرات والطاقـات التـي تجعلـه ناجحـاً في أداء مهماتـه وأغراضه التربوية في حياة الأطفال... وسعت إلى ترسيخ تقاليد بنائيـة وأسـلوبية وموضـوعية في العمـل الفني والتربوي لهذا الفن الجميل)[1].. وجعلته شكلاً قائمـاً ومهـماً في عـالم الطفـل... لـه مـن الاهـتمام ما للمدرسة.. ورعاية كل مستلزمات نجاحه وتطوره باتـت مسـؤولية كبـيرة يضـطلع بهـا كـل المعنيـين بشؤون الطفل ورعايته في المجتمعات المتطورة...

1- فاضل عباس الكعبي، مدخل ثقافي لتربية الطفل، مسرح الأطفال وأهميته في شخصية الطفل.

عناصر جذب الطفل

إلى المسرح

يعتمد مسرح الأطفال، فضلاً عما تقدم وسائل الإثارة والجذب التي تشكل العناصر الأساسية في تحبيب الطفل وجذبه لمسرحه... وجعله يتجاوب معها ويسعد في ما تقدمه له..

ومع أننا ما زلنا في الخطوات الأولى لمسرح الأطفال، وأننا (نفتقر حتى الآن إلى مسرح صغير واحد في الأقل للأطفال... إن تنمية مدارك الطفل وتطوير ذوقه وتطعيم أفكاره بالموضوعات الجيدة التي تشكل دعامة قوية للبناء، يجب أن تراعى جهد الإمكان، فمن الضروري إذاً أن نجد الوسيلة الواجب اتباعها لفتح الآفاق الفنية الصحيحة أمام الأطفال، حيث نستطيع بعد ذلك تطوير القاعدة المسرحية بشكل عام)[1]... ونستطيع أيضاً أن نعود أطفالنا حب العالم «المتحرك» المتمثل بالمسرح والتمثيل والحركات التي تجسد الخير والتعاون والجمال... وتعويد الأطفال الذهاب إلى المسارح المخصصة لهم، لمشاهدة المسرحيات الهادفة التي تخصص لهم... فالطفل يكون مسروراً عندما يشاهد المسرحيات التي تنطلق من مفاهيمه ومداركه للأشياء، ومشاهدته الحيوانات وهي ترقص أمامه وتتحرك وفق خط مسرحي واضح وجميل، وبأسلوب حكائي بسيط، وذات قصص جميلة ومتسلسلة تجعله مندمجاً مع شكلها وموضوعها... وأخيراً يستطيع أن ينسجم ويعيش معها لحظات سعيدة سواء داخل المسرح أو خارجه، وتبقى تعيش معه... هذا إذا أثرت فيه هذه المسرحيات، وتأثر في أجوائها وعمقها وموضوعاتها التي هي في معظم الأحيان تستمد مقوماتها من عالم الأطفال.

1- سعدون العبيدي، زهرة الأقحوان ومسرح الطفل.

ولإدراك ذلك في نجاح العمل المسرحي هناك عناصر مهمة في جذب الطفل لمسرحه منها، الأضواء الجميلة والألوان والبالونات، والصور، والدمى، والحيوانات، والموسيقى وغيرها...

وهذه العناصر هي التي تجعل العمل المسرحي يرتقي إلى مستوى وعي وتطلعات الطفل، وتمده بكل عناصر الثقافة والمعرفة والتطور، وتكوين شخصيته.

ومسرح الأطفال يعتمد فضلاً عما تقدم، وسائل الإثارة والجذب الأخرى، التي يتجاوب معها الطفل ويسعد فيها، ومنها المؤثرات الصوتية ذات الحركة والصدى الخفيف، والدقة في الضربة الموسيقية التي تجعل من الحركة التمثيلية، وصوت الكلمات عالم حي يعيش داخل الأطفال، ويتحرك بواسطتهم (ومن هنا تأتي خصوصية مسرح الأطفال عن مسرح الكبار، كونه يقّوم الفكر عبر اللعب... اللعب المسرحي المنظم، والمتمثل بالأغذية والرقصة واللعبة الشعبية.. وكل ما يستأنس بلعبه الأطفال... ويتم نقله من الحياة العامة للطفل إلى خشبة المسرح... مثلاً... أنا لا أستطيع تخيل مسرح للأطفال من دون بالونات ملونة وكلمات شعرية موحية ومؤداة. بالأصوات الجماعية الصادقة... وإذا كانت المدرسة تخلق جيلاً متعلماً ومدرباً، فإن المسرح إذا امتلك كامل أدواته التي تمكنه من أداء رسالته على الوجه الأكمل فإنه يخلق الجيل الواعي والمتفائل والمبتسم للحياة دائماً، والمؤمن بالمستقبل السعيد. وخير ما يجعل مسرح الطفل قادراً على الوقوف إلى جانب المدرسة والمتنزه. هو أن تكون له بنايته وأناسه المتخصصون الذين يعملون دائماً وباستمرار من أجل ديمومة مسرح الأطفال)[1]... وإيجاد الزاوية الملائمة له في الحياة العامة... والارتفاع بتوضيح مهماته ودوره كأساس لنموه وتطوره بوصفه جزءاً من المدرسة، ومكملاً لها في أداء الغرض نفسه. ولهذا نستطيع القول إن (من العلاقات المهمة في مسيرة مسرح الأطفال، هي التمييز بين المسرح المدرسي

1- عزي الوهاب، ضمن استطلاع كتبه فاضل عباس الكعبي، بعنوان: مسرح الأطفال، الواقع والطموح.

وغيره. مع أن حدود هـذا التمييـز بحاجـة إلى مزيـد مـن التوضـيح... فقـد أصـبح معروفـاً إن المسرح المدرسي الذي يهدف إلى مسرحة المناهج والدروس وخدمة العملية التعليميـة واكتشـاف مواهب الأطفال والإسهام في تربيتهم جمالياً، ويمثل فيه أطفال المدارس، هذا النـوع مـن المسرح يشارك هو الآخر في مخاطبـة الأطفـال داخـل المـدارس أو خارجهـا، وأن مسرح الأطفـال أكـبر في أهدافه ومهماته، فهو يتيح لمشاهديه فرصة اكتشاف الحياة ويسليهم ويثقفهم بوسائل مناسـبة لمداركهم وميولهم واحتياجاتهم)[1].. ويستطيع أن يمدهـم بكل ما يحتاجونه مـن وسـائل تسـلية ومعرفة، ويجيبهم عن كل ما يودون معرفته والتساؤل عنه.. وهو أيضاً في كـل الأحـوال، المعلـم والمدرسة، ومسرح الأطفال في الوقت نفسـه يعلـم ويـتعلم، يعلـم الأطفـال مختلـف الشـؤون... ويتعلم منهم مختلف الشؤون والقضايا أيضاً.. ويستمد منهم كل حركاتهم وملاعبهم لكي يعدها ويبرمجها بشكل تمثيلي هادف ويقدمها لهـم بمـا ينسـجم والطاقـة التـي اسـتمدها مـنهم ومـن مداركهم العقلية والفكرية بحيث تبرز وتتوضح معالم تأثيرها - أي المسرحيات - في الطفل الـذي نكتشف تـأثره فـيما شـاهده مـن مسرحيـات وأحـداث مسرحـه عـبر حركاتـه ومنطقـه وتطبعـه ومطالبه ورفضه وتقبله لبعض الأشياء.. وحتى لطريقة تعاملـه مـع والديـه ومعلمـه والآخـرين بعد مشاهدته لمسرحية مخصصة له، أثرت عناصر جذبها فيه...

بحيث يصبح قادراً على استيعاب المؤثرات المسرحيـة والأحـداث الموضـوعية التـي تـدور حولهـا هذه المؤثرات (وحتى يكون الطفل قد بلغ مرحلة مدركة من السن نراه يسـتطيع بسـهولة أن يتجـاوب مـع العـروض المسرحيـة العميقـة ويشـارك عنـد ذلـك كبـار السـن في ذوقهـم ونقـدهم ويتجـاوب مـع ما يشاهده على خشبة المسرح كأي متفرج مثقف مدرك)[2]... وبهذا يستطيع الطفـل أن يوسـع مداركـه ويبلور رأيه ويعمق مفاهيمه للمسرح، ونستطيع نحن أيضاً أن نخلق جمهوراً مسرحياً واعياً من الأطفال

1- على مزاحم عباس، ضمن استطلاع كتبه فاضل عباس الكعبي بعنوان: مسرح الأطفال، الواقع والطموح.

2- سعدون العبيدي، زهرة الأقحوان ومسرح الطفل.

يبدون رأيهم. يتقبلون ويرفضون ما نقدم لهم ويسهمون في إعداد ما نود أن نقدمه لهم مستقبلاً.

لهذا فعناصر الجذب والإثارة والاهتمام داخل العرض المسرحي مهمة جداً ومؤثرة في إحساس الطفل. لذلك (فالحكمة هي الأكثر أثراً في الأطفال من مواقف الحوار الجامدة. مهما تضمنت الكلمات من نصائح أو توجيهات للطفل)[1].. فقد تبين دور الحكمة في إعداد الأطفال وإصلاح بعض العادات التي قد تعودوها في حياتهم قبل إعدادهم في مؤسسات تربوية..

إن البداية في العمل المسرحي هي التي تجذب الأطفال لمتابعة العرض قبل غيرها من جوانب المسرحية... فلذلك يجب أن تسبق العرض مقدمة خفيفة تشد انتباه الصغار وتوضح لهم ما سيكون بعدها. كأن تطرح سؤالاً عن حوادث أو حكاية المسرحية المعروضة وتطلب من الأطفال المشاهدين الإجابة عنه بعد انتهاء العرض المسرحي.

وبهذا تترك مجالاً واسعاً لتفكير الأطفال. وبالوقت نفسه تنمي فيهم عنصر الانتباه والمتابعة للعرض.

وهناك عنصر آخر يشد اهتمام الأطفال. هو أن يكون مثلاً، أحد أبطال الحكاية الممسرحة يعد الأطفال المشاهدين في كل مرة ينجح فيها. أو يكسب حب الملكة... سيقدم لهم الهدايا، وبهذه الطريقة يتلهف الأطفال لمتابعة حركة هذا البطل والتمني له بالنجاح لغرض الحصول على الهدايا منه بعد تحقيق ما ابتغاه...

والأطفال محبون أكثر من غيرهم للمسرحيات التي يكون أبطالها من الحيوانات، ومسرحيات العرائس والدمى... والمسرحيات التي تتناول المغامرات وحكايات الخيال والأساطير والبطولة... ولديهم أكثر المواقف إثارة والتي يتابعونها بشغف... هي المواقف التي تدور حول صراع الخير والشر، وحسم الصراع لقوى الخير، مثل موقف انتصار الزهور والفراشات والإنسان والبلبل،

1- يعقوب الشاروني، الأطفال كمشاهدين لمسرح وسينما الأطفال.

وهزيمة الحشرات الضارة كالعقرب والأفاعي في مسرحية «زهرة الأقحوان»، أم موقف هزيمة الحيوان الخرافي «الديو» إما طير السعد في مسرحية «طير السعد»... وهناك أيضاً مواقف كثيرة تثير الأطفال وتجذبهم للمسرح، وتشكل الدوافع الرئيسة وراء إعجابهم وحبهم للعمل المسرحي... ويظهر إعجابهم بذلك عن طريق تصفيقهم و«صياحهم»... وحتى يتجاوزون في بعض الأحيان نظام القاعة والجلوس وهم في حالة إعجاب كبير، إذ ينسون ما وراءهم ولا ينسون ما أمامهم.

وهناك رؤيا أخرى تبرز درجة إعجاب الأطفال بالعمل المسرحي الجيد الملائم لتصرفاتهم وحياتهم، فبواسطة إعادة عرض المسرحية سواء عبر المسرح أو التلفزيون، وحتى الحديث عنها... نرى إن الأطفال يتحمسون لمشاهدتها من جديد، مع أنهم قد سبق لهم مشاهدتها مرة أو مرتين.

وكلما زاد إعجاب المشاهدين الأطفال بالمسرحية، زاد اندفاعهم لمشاهدتها أكثر من مرة لكي تبقى هذه المسرحية متواصلة معهم بكل أحداثها ومواقفها، ولكن تبقى هذه المسرحية مقياس الإعجاب والجذب في وعي الطفل... ويبقى الأطفال عبر هذه المسرحية التي يعيشون في أحداثها وخيالها وعناصر جذبها وكأنهم جزء منها وهي جزء منهم... يبحثون عن مسرحيات أخرى تجسد المتعة والأحداث والتفاعلات التي جسدتها المسرحية السابقة، وهذا يحمل المؤلف والمخرج وكادر المسرحية مسؤولية تقديم العمل المسرحي المتميز للأطفال... إذ (على المؤلف والمخرج والممثل أن يتعاونوا على: شد انتباه المتفرج حتى لا يدعو أي فرصة لتسرب الملل إلى نفسه، وإعطاء المتفرج صورة صادقة لشخصيات الممثلين منذ دخولهم إلى المسرح واستغلال الحوار في إلقاء ضوء على شخصيات المسرحية وأحداثها، واكتساب ثقة المتفرج، وذلك بالكشف عن أمور يجهلها الممثلون كمفاجأة تنتظرهم أو مكيدة تدبر لهم في الخفاء لأن المتفرج يشتاق إلى معرفة ما يخفى على بعض الممثلين)[1].

1- محمد شاهين الجوهري، الأطفال والمسرح.

وكذلك على المشرفين على أمر المسرحية ملاحظة ما يأتي: (أن الأطفال يميلون كثيراً إلى المسرحيات التي تتكرر فيها بعض الألفاظ أو العبارات، ومثال ذلك الوصف الذي يكرره البائع للترويج لبضاعته ويعيده على سمع كل مشترٍ، إلى غير ذلك من العبارات، كذلك فإن الأطفال يرتاحون كثيراً حين يجدون في نهاية المسرحية حلاً للمشكلات القائمة فيها وحين يجدون إجابات عن الأسئلة التي قد تقفز إلى أذهانهم أثناء التمثيل.. وأن الأطفال يميلون كثيراً إلى المسرحيات الفكاهية، فيجب إشباع هذه الرغبة والاستفادة منها قدر الإمكان وذلك بتقديم مسرحيات هادفة في ثوب فكاهي)[1]...

وهنا تبرز نقطة مهمة في تحبيب العمل المسرحي للأطفال، وهي إن على المشرفين على العمل المسرحي أن يتواصلوا مع الأطفال ويكونوا على علاقة صميمية معهم عبر استطلاع آرائهم واستجوابهم عن المواقف المهمة، والتي يحبونها أكثر في العمل المسرحي، سواء في العرض الأول أو في العرض الثاني... وأسباب حب الأطفال لهذا العمل ولدرجة مشاهدته لأكثر من مرة، وكذلك على المشرفين أن يدرسوا نفسية الطفل وتأثير العرض الأول والثاني في نفسيتهم، وبالتالي معرفة ما يحتاجونه - ما يحبونه وما يكرهونه - وقد يحدث أن الطفل يكره موقفاً أو حدثاً ما في المسرحية عبر مشاهدتها للمرة الأولى لسبب قد يكون لعدم فهمه أو استيعابه بكل جوانبه في هذا العرض... ولكنه قد يحدث أن يحب الطفل ويتفاعل معه في العرض الثاني بسبب فهمه واستيعابه من كل الجوانب. أو قد يكون العرض لأكثر من مرة يخلق حالة من الملل عند الطفل عبر بعض المواقف المتكررة والمباشرة في العمل المسرحي، أما إذا لم يثر العمل المسرحي إعجاب الطفل فإن هناك مؤشرات ووسائل عديدة يستطيع الطفل أن يعبر عن ذلك بواسطتها وهي:

1- محمد شاهين الجوهري، الأطفال والمسرح.

إما أن يتحدث هذا الطفل مع طفل آخر أثناء العرض وإما أن يترك مكانه ليذهب إلى مكان آخر، أو حتى يذهب خارج قاعة العرض... أو أن نلاحظ الأطفال في حالة من الفوضى وعدم الانتباه للعرض والاهتمام به.. كل ذلك تعبيراً عن رفضهم لهذا العرض الذي لم يستجب لرغباتهم وتطلعاتهم بعرض مسرحي جيد...

ومن العناصر المهمة لجذب الأطفال إلى مسرحهم، هي أماكن عرض المسرحيات، التي تعد من الجوانب المهمة والأساسية في مسرح الأطفال، إذ إنها تحدد قيمة العمل المسرحي وجماله في تصور الأطفال، وتجذبهم دائماً إلى المجيء للمشاهدة والمتابعة لما يعرض، وتساهم هذه الأماكن في خلق جو من الألفة والحب ما بينها وبين الأطفال، فالأطفال دائماً يحبون الجمال والشيء الجميل...

وقاعة العرض الجيدة، والملائمة تسهم إلى حد ما في تعريف الأطفال بمسرحهم، وجذبهم إلى عروضها... كذلك فإن العمل المسرحي المقدم للأطفال يحتاج إلى قاعة مناسبة من كل الجوانب، تتوافر فيها كل مستلزمات وعناصر جذب الطفل، وتسهم مع العرض المسرحي في أداء دورها المهم في خلق وتنمية الذوق الجمالي لدى الطفل، إذ لا يمكن أن نقدم مسرحية للأطفال داخل غرفة صغيرة مجردة، أو في ساحة عامة مكشوفة، لا تتوافر فيها عناصر جذب الأطفال والألفة مع أجوائها... ومستلزمات اللهو كالألعاب، وأماكن الجلوس وغيرها...

إن أماكن العرض تكون عادة مصممة من واقع الأطفال وعالمهم الزاخر بالسحر والجمال والبراءة.. لا من خارطة إنشائية جاهزة، مجردة من وسائل التربية والتوجيه... وتحتاج في حالة تصميمها وإنشائها، إلى خبراء في أبنية الأطفال، وعلماء نفس وتربويين وغير ذلك... وتحتاج أيضاً إلى مساحة واسعة وبعيدة عن الأماكن أو المباني التي تؤثر في نفسية الأطفال، كأن تُبنى قرب ملاعب الأطفال

أو قرب المتنزهات والحدائق الواسعة، أو أن تبنى قرب مجموعة من المدارس في حي سكني ملائم... ولا تبنى قرب مستشفى أو في مساحة أرض واسعة خارج المدينـة... أو قـرب منـاطق «القمامـة» أو قرب مصنع للأسمدة والمواد الكيمياوية وغيرها... فهذه المصانع تـؤدي إلى الضوضـاء وتلـوث أجـواء أماكن الطفل وبيئته، وتؤثر في صحته.

أصناف مسرح الأطفال

وخصائص المراحل العمرية

من المهم أن نشير هنا، إلى مسألة غاية في الأهمية في مسرح الأطفال، وهي تشخيص أصناف المسرح وتحديد المراحل العمرية في العمل المسرحي... حيث يجب أن تكون العروض بحسب مراحل الطفل العمرية، وعلى الشكل الآتي:

1- من سن 7-6 سنوات،

2- من سن 12-9 سنة،

3- من سن 12 سنة وما بعدها يأتي مسرح الأحداث الذي يمثل مرحلة عمرية متطورة.

وهذه المستويات تقسم مراحل مسرح الأطفال بحسب السن إلى ثلاث مراحل هي الأساس في نمو وتطور الطفل وتكون على النحو الآتي:

1- سن التخيل: وفي هذا السن يميل الأطفال إلى القصص الخرافية في المادة المسرحية، وتحدد في هذه المرحلة أعمار الأطفال من سن السادسة والسابعة والثامنة، وما يقدم دون مستوى أو فوق مستوى هذه المرحلة لا يشكل أي اهتمام لدى الأطفال في هذه السن (لدرجة تجعل بعض الكبار يتناسون أحياناً أن اهتمامات الأطفال الكبار قد بلغت مرحلة جديدة، ولم تعد القصص الخرافية تعجبهم مهما كان جمالها)[1].

2- سن البطولة: ويحتاج إلى المسرحيات المثيرة، (تشتمل على حكاية فيها أحداث ومغامرات مشوقة وتثيرهم - أي الأطفال - حماسة الأبطال الذين يقومون بأعمال

1- وينفريد وارد، مسرح الأطفال.

جريئة، ويتحاشون الأخطار في أحرج اللحظات)[1]. وتستهويهم أيضاً المسرحيات التي يمتزج فيها الخيال بالحقيقة، وانتصار البطل والخير على الشرير والقوى الشريرة، ويتحدد السن في هذه المرحلة من السنة التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة...

3- سن الرومانسية: ويتحدد بسن (12-16) سنة وتناسبهم الدراما (والتي تمتزج فيها المغامرة بالعاطفة وتعجبهم المسرحيات التي تقلل من الواقعية في أحداثها وتزيد من المثالية)[2].

إن تفاوت السن بين المتفرجين الأطفال مسألة مهمة في اختيار المسرحيات المناسبة، فلو حددنا سن العروض المسرحية بالشكل الآتي:

(مسرحية الليلة للأطفال فوق الثامنة لا يسمح لغيرهم بالدخول - لو استطاع مسرح الأطفال أن يعلق لافتة كهذه في قاعة الاستراحة، لتقدم إلى الأمام خطوة واسعة، ولو استطاع أن يفيد من مزايا تحديد سن المتفرجين، وأن يقدم سلسلتين أو ثلاثاً من المسرحيات، بحسب كل سن فقد يحقق نتائج عظيمة)[3]..

إن المسرحية الموجهة للأطفال ودون تحديد سن الدخول فيها يشكل سلباً على المراحل العمرية وعلى مهمة مسرح الأطفال ويحصل سوء فهم للعمل المسرحي لدى مرحلة دون أخرى...

فالعمل المسرحي الموجه للأطفال، يجب أن يحدد بمراحل عمرية... ولكل مرحلة عروضها الخاصة بها ولا تخلط بين الأطفال والأحداث...

كذلك فإن اعتماد بعض الحيل الفنية في المسرحية بشكل مباشر قد تكتشف من قبل الطفل، فيسوء ظنه بها ويتصورها بغير ما قدمت له.

وضمن هذا الإطار وبعد تحديد المراحل العمرية في العمل المسرحي لا بد من الالتفات إلى مسألة أخرى مهمة في مسرح الأطفال، وهي تحديد أصناف المسرح، إذ

1- عبد الفتاح أبو معال، في مسرح الأطفال.

2- المصدر السابق.

3- وينفريد وارد، مسرح الأطفال.

يجب أن نصنف المسرح الموجه للأطفال على عدة أصناف لكي يؤدي كل صنف غرضه، ويؤثر في المرحلة العمرية التي صنف على أساسها...

وأصناف مسرح الأطفال على الشكل الآتي:

1- المسرح التمثيلي الاعتيادي - وتحدد فيه العروض بحسب المراحل العمرية،

2- مسرح العرائس والدمى - وتحدد فيه العروض بحسب المراحل العمرية،

3- المسرح الغنائي - وتحدد فيه العروض بحسب المراحل العمرية،

4- مسرح الأحداث - خاص بالأحداث،

5- المسرح المدرسي - أو مسرح الطلبة، ويقوم به الطلبة الصغار وفق نظام تربوي يعتمد على المناهج الدراسية...

ويمكن التفصيل السريع لبعض هذه الأصناف كما يأتي:

1- المسرح التمثيلي الاعتيادي: الذي يعتمد على الممثلين الكبار والصغار. فإن (قيام الطفل بدور رئيس في المسرحيات يعد تجربة عظيمة بالنسبة إليه، وبعض الأطفال ليسوا على درجة من الوعي تعينهم على مواجهة الدعاية والمديح والتصفيق الذي يصاحب مثل هذه التجربة، دون أن يشعروا بالغرور، ولهذا يحتاج المخرج إلى استشارة الآباء والمعلمين قبل أن يسند أدواراً إلى الأطفال في أي إنتاج كبير فيما يتعلق بحالتهم الصحية، وهل لديهم القدرة على تحمل التدريبات اليومية؟ وهل يجدون صعوبة في حفظ دروسهم؟ وهل هم في حالة نفسية جيدة؟ وهل يمكنهم الاعتماد على أنفسهم؟ لو حصل المخرج على ردود إيجابية لهذه الأسئلة يمكنه إسناد الأدوار الرئيسة إلى الأطفال، وعلى المخرج أن يعرف إن حالته النفسية يمكن أن تساعد كثيراً على هدوء الطفل والتزامه)[1]..

2- مسرح العرائس والدمى: وهو من أقدم الأشكال المسرحية التي ظهرت في المجتمعات.. وبواسطته يشعر الطفل بمتعة كبيرة ويحفز طاقة الخيال عنده... وإن (العرائس التي تحرك بواسطة الأيدي تعتبر أمراً فنياً، يتحقق فيه الخيال بشكله الواسع، ولعل مسرح العرائس أمر سهل التطبيق في المدارس، ففي الإمكان

1- عبد الفتاح أبو معال، في مسرح الأطفال.

إعداد العرائس بأشكالها المختلفة من قطع الخشب بسبب القدرة والخيال... وهنا طريقة أخرى تتم بواسطة منديل يعقد من طرفه العلوي ليشكل هيئة رأس إنسان والجزء الأسفل يشكل ثوباً خاصاً لصاحب الرأس، ويقوم المحرك باستخدام أصابعه مكان الذراعين، وهذا النوع من الدمى له أثر قوي في إثارة الضحك والفكاهة عند الأطفال)[1]. ويزيد من متعتهم ومعارفهم عبر ما تقدمه قصص الخيال والخرافات والحكايات الشعبية والتعرض لطرح مشكلات الأطفال في المشاهد المسرحية في مسرح العرائس والدمى...

2- المسرح الغنائي: وهو ما يقدم بعض المسرحيات الشعرية والغنائية والأوبريتات التي تجعل الأطفال يتفاعلون معها لما تقدمه من حكايات وأغان ترافقها الإيقاعات الموسيقية المؤثرة في نفس الطفل...

4- المسرح المدرسي: وهو المسرح الخاص بالمدارس، ويتم الاعتماد عليه في شرح وتقديم الدروس بطريقة محببة أمام التلاميذ، ويمكن الاعتماد على طلبة المدرسة في تقديمه ودعمه، ويمكن أن يكون ثابتاً في كل مدرسة أو متحركاً يتم تقديم بعض عروضه القصيرة في قاعات الصف...

كل هذه الأصناف المتقاربة تشكل الإطار العام لمسرح الأطفال، ويجب الانطلاق منها وإدراك خواصها في نجاح مهمة مسرح الأطفال وفاعليته.

1- عبد الفتاح أبو معال، في مسرح الأطفال.

مسرح الأطفال في العراق

عندنا... ماذا يمكننا أن نقول؟... هل لدينا مسرح فاعل للأطفال بالمعنى الذي تحدثنا عنه؟..

نؤكد بعد متابعتنا الجادة والطويلة لما عرض من تجارب ونماذج في هذا الجانب أن ليس لدينا تقاليد أو خطط أو مناهج واضحة تجعل من هذا المسرح واقعاً قائماً في المجتمع... نعم لدينا لبنات وتجارب تأسيسية وتنظيرية لهذا المسرح أسهمت إلى حد ما بتقدم مفهوم مسرح الأطفال عندنا، مع أنها انحصرت في مساحات ضيقة انتهت إلى شواهد ونماذج «أرشيفية» في تاريخ المسرح العراقي...

ولا ننكر، أن لدينا خبرات متميزة، وطاقات مخلصة قدمت العديد من النماذج والأعمال الناجحة قد أدت فعلها الإيجابي في نفوس مشاهديها من الأطفال والمتخصصين، إلا أنها وصلت إلى مفترق طرق بعد أن اصطدمت بمعوقات كثيرة، أبرزها عدم اهتمام المؤسسات المعنية، مع دعواها الدائمة بجدية وأهمية مسرح الأطفال ولدينا أيضاً خبرات فنية وأدبية أكسبتها أعمالها وجديتها ووعيها بأهمية مسرح الأطفال، خبرات متميزة لمسرح الأطفال منها الفنان والكاتب المبدع الأستاذ المرحوم عزي الوهاب، وسليم الجزائري، والدكتور فائق الحكيم، وسعدون العبيدي، وقاسم محمد، وعلي مزاحم عباس، ومنتهى محمد رحيم، ورضية التميمي، وأحلام عرب وغيرهم...

إلا أن هؤلاء لم يصلوا إلى طموحهم الكبير، ولم يوصلوا مسرح الأطفال على ما خططوا له، لجملة من الأسباب والمعوقات التي واجهتهم في عملهم، أبرزها النظرة القاصرة لمسعاهم، فضلاً عن عدم وجود قاعات عرض متخصصة لمسرح الأطفال وعدم رصد الميزانية المالية التي تسهم بنجاح متممات العرض المسرحي وغير

ذلك من المعوقات التي أدت إلى تفرق الجهود التي سعت مخلصة لقيام مسرح متميز للأطفال في العراق...

ففي العام 1979 استبشرنا خيراً بخبر أعلن عن نية الجهات المعنية تأسيس «مركز قومي متخصص لمسرح الأطفال في العراق»، إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث... وبقيت المحاولات والتجارب لهذه المؤسسة أو تلك الفرقة أو هذه الوزارة أو المجموعة... تقدم بين حين وآخر مسرحية للأطفال وضمن مساحات ضيقة تقدم في مسارح غير متخصصة بمسرح الأطفال... بعضها قدمت بدافع تجاري... وبعضها الآخر لا تحمل من مقومات مسرح الأطفال سوى الاسم... وبعضها قدمت مسرح الأطفال بأسلوب ساذج يسيء بشكل كبير إلى قيمة مسرح الأطفال، ونتج ذلك للأسف من استسهال بعضهم لمسرح الأطفال وعدم وعيهم واستيعابهم لعمق وخطورة المسرح الموجة للأطفال ومفهومه العلمي والفني والتقني والتربوي الذي لا يقبل الإخفاقات الفنية والموضوعية بأي حال من الأحوال، والمهم في ذلك أن هنالك مسعى فنياً للأطفال لو أتيحت له فرص أفضل وتجارب متخصصة، يمكن أن يقدم نماذج جيدة تنطلق من مفهوم مسرح الأطفال، وترسخ قاعدته الفنية والقيم التربوية بأسلوب مؤثر وفاعل في واقع الأطفال...

ومراجعة تاريخية لقاعدة مسرح الأطفال في العراق وبداياته يمكننا الرجوع إلى السنوات الماضية ونقف عند النماذج البدائية في هذا المجال...

فليس من السهل البحث عن جذور مسرح الأطفال في قطرنا والوقوف عند النماذج الأولية لهذا الفن المتميز، التي كانت بداية التأسيس لبناء تجربة مسرح الأطفال في العراق...

ونستطيع القول: إن الاهتمام بمسرح الطفل بشكل علمي مدروس، والشعور بأهميته في تربية الطفل، قد بدأ عام 1970 وفي عام 1972، فقبل هذا التاريخ كانت هناك نشاطات وتجارب عديدة تمارس كفن مسرحي للأطفال، ولكنها لا تخرج عن نطاق المدرسة، وحلقات اللهو وقضاء الوقت... ولم تتبين فيها ملامح علمية

لترسيخ تجربة خطرة ومهمة، ألا وهي مسرح علمي متطور لتربية الأطفال، فإذا أردنا أن نعد هذه النشاطات ونتوقف عند هذه التجارب وبداياتها، فسنرجع خطوات إلى الوراء لاستذكار التاريخ، ونقول: إنه (يرجع الاهتمام بمسرح الأطفال في العراق إلى العقد الرابع من القرن العشرين، ففي الثلاثينيات اتسعت واجبات لجان الخطابة التي كانت قائمة آنذاك في مدارس القطر، فشملت التمثيل، وصار لكل لجنة من هذه اللجان «مرشد» تختاره إدارة المدرسة، ويكون أحد معلمي اللغة العربية، عادة هو الذي يقوم بإرشاد الطلاب إلى أداء الخطب والتمثيل)[1].. وفي سبيل المثال جاء في العدد الأول من مجلة «المناهل» الصادرة في 13 تشرين الثاني عام 1937، وهي مجلة مدرسية: (إن مدرسة مندلى الابتدائية شكلت عدداً من اللجان كانت من بينها لجنة الخطابة والتمثيل بإرشاد المعلم السيد عيسى عزي، وكان هؤلاء المعلمون والمرشدون يقومون بوضع حوارات قصيرة تجري بين عدد قليل من الطلاب، وتتناول واحدة من المشكلات الاجتماعية أو الوطنية والقومية التي كانت تشغل الأذهان في تلك المدة، ولعل السيد رؤوف الخطيب المعلم في مدارس المأمونية والبارودية والفضل ببغداد، في الثلاثينيات، من أشهر هؤلاء الذين أولعوا بالتوجيه والإرشاد وتحمسوا له. إذ تنبه لما للتمثيل من دور في إيقاظ الهمم وتحفيز المشاعر، فوضع مشروعاً لإصدار سلسلة من الكراسات المفيدة لطلاب المدارس الابتدائية وكانت الكراسة الأولى في هذه السلسلة تحمل عنوان... المحاولات المدرسية الحديثة وبعض القصائد العلمية والأدبية للمدارس الابتدائية)[2].. بحيث تسير عليها المدارس الابتدائية في تنشيط حركة التمثيل "الخطابة والنشاطات الأدبية الأخرى التي تنمي مدارك طلابها من الأطفال، وتحفز فيهم روح الحركة المستمرة النابعة من أرضية استلهام الحكايات والقصص والمواقف الطريفة في التمثيل الذي يقدم في هذه المدارس على شكل فعاليات مدرسية تسهم في تقوية العلاقة الصميمية ما بين تلاميذ هذه المدارس"...

1- أحمد فياض المفرجي، لمحة عن مسرح الأطفال في العراق.

2- المصدر السابق.

ونستطيع القول إنه: كانت المدارس الابتدائية قبل الثلاثينيات وبعدها، وطوال نصف قرن هي الأرض الخصبة التي بذرت فيها نواة مسرح الأطفال في العراق، لكون هذه المدارس هي المعنية باحتواء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (12-6) عاماً... إلا أن هذه المدارس لم تقدم نشاطاتها الفنية لتبقى إلى المدى البعيد لكي تدرس وتقوم في المستقبل، ولم تعرف عن هذه النشاطات غير بعض الوثائق البسيطة المتوافرة في كل مدرسة والتي تقول: إن كل مدرسة ابتدائية منذ مطلع العشرينيات خاصة ولعدة عقود كان لها موسمها الفني الذي تقدم فيه التمثيليات التربوية والاجتماعية والتاريخية إلى جانب الفعاليات الأخرى كالرسم والأعمال اليدوية، وكان معظم هذه العروض التمثيلية يقدم داخل باحات المدارس نفسها..

وفي مطلع الخمسينيات خرجت هذه النتاجات المدرسية إلى عامة الجمهور، إذ جرى عرضها في القاعات القائمة في ذلك الوقت، ومنها قاعة الشعب حالياً - الملك فيصل - سابقاً، وينبغي التنويه هنا بوجه خاص بمبادرات الفنان عبد القادر رحيم الذي أسهم بشكل فعال في مجال مسرح الأطفال في العراق...

إن من الفنانين والكتاب الذين أسهموا بنشاطاتهم في تركيز حركة المسرح العراقي الموجه للأطفال سواء على صعيد التأليف أو الإخراج أو التمثيل هم قلة مع أن التجربة في هذا المجال تشكل مرحلة البداية، فضلاً عن السماء التي ذكرناها سابقاً نذكر عبد الرزاق عبد الواحد، وفاروق سلوم، وسامي عباس الزبيدي فقد أثمرت جهودهم بعض الإسهامات الجادة والمتميزة في مجال مسرح الأطفال.

ففي عام 1970 قدمت الفرقة القومية للتمثيل أول مسرحية للأطفال إسهاماً منها في بناء تجربة جادة لبناء مسرح الأطفال في العراق... وهي مسرحية «طير السعد» وأعقبتها مسرحية «الصبي الخشبي» عام 1972 - وهي من إعداد قاسم محمد وإخراجه.. وفي عام 1975 قدمت الفرقة نفسها مسرحية «زهرة الأقحوان» تأليف وإخراج سعدون العبيدي وتعد أول مسرحية عراقية أصيلة للأطفال، حيث تكشف لنا عن صراع يدور بين قوى الخير التي تحب النظام والعمل والرفاه للجميع

متمثلة في الزهور والفراشات والإنسان تقودهم زهرة الأقحوان، والبلبل ضد قوى الشر التي تسعى إلى امتصاص جهد الآخرين ونشر الفوضى والخراب، والتي تتمثل بالحشرات الضارة كالعقرب والأفعى، وباتحاد قوى الخير وتماسكها تفشل قوى الشر في إلحاق الأذى بقوى الخير...

وقدمت بعد ذلك الفرقة نفسها مسرحيات «جيش الربيع» - 1976، إعداد وإخراج سليم الجزائري، ومسرحية «علاء الدين والمصباح السحري» تأليف خميس نوري وإخراج سعدون العبيدي... وشهد موسم عام 1978-1977 للفرقة القومية عرض مسرحية «ابنة الحائك» التي أعدها سليم الجزائري وكامل الشرقي وأخرجها بهنام ميخائيل ومسرحية «الكنطرة» من إعداد طه سالم وإخراج إسماعيل خليل..

وفي منتصف عام 1978 عرضت الفرقة القومية مسرحية «النجمة البرتقالية» وهي خاصة للطلائع من تأليف غازي مجدي وإخراج محسن العزاوي. وترمز النجمة البرتقالية للأمة... وهي دليل التنقل والبحث عن المجهول. وتدور أحداث المسرحية في قرية يعتاد أفرادها النوم والنهوض على صفير بلبل جميل رمز به المؤلف إلى الخير والنماء ونجاة الناس وتخليصهم من شر العداء حتى أخضعوا حياتهم وفق إرادة هذا الطائر الذي تعني تغاريده السبع، قواعد أصيلة، وجديدة. وعصرية، أما المسرحيات السابقة، فكانت تعرض لنا الصراع الطويل بين قوى الخير والشر وتدعو إلى العمل ونبذ الجشع...

فمسرحية «طير السعد» مثلاً، تدور أحداثها حول صبي يصارع المرض ويحلم في منامه بأنه في أحضان الطبيعة حيث يدور صراع بين قوى الشر، وعلى رأسها حيوان خرافي يشبه التنين يدعى «الديو» وقوى الخير، وعلى رأسها طير السعد، وينتهي الصراع بانتصار قوى الخير المتمثلة في طير السعد، ويستيقظ الطفل من نومه وقد تعلّم أن عليه أن يصارع الشر ولا يستسلم للمرض...

وفضلاً عما قدمته الفرقة القومية للتمثيل من مسرحيات للأطفال، فهناك فرق عديدة أسهمت بتقديم مسرحيات للأطفال منها «فرقة التمثيل التابعة لدائرة ثقافة الأطفال»، حيث قدمت عدة مسرحيات منها مسرحيتا «الوردة والفراشة» -

1972 و«الفرارة الطائرة» في العام نفسه أيضاً، وهما من إعداد وإخراج عزي الوهاب. وهناك أيضاً فرقة التمثيل التي تأسست عام 1975 في الإذاعة والتلفزيون وقدمت هي الأخرى عدة مسرحيات ناجحة للأطفال منها «الدجاجة الشاطرة» تأليف وإخراج عزي الوهاب، وتدعو هذه المسرحية إلى القضاء على الكسل وحب العمل، ومسرحية «صباح الخير أيتها السعادة» من تأليف فاروق سلوم وسامي الزبيدي وإخراج محمد عبد العزيز، ومسرحية «الأسد والأرنب» من تأليف وإخراج محمد عبد العزيز، ومسرحية «أصدقاء المزرعة» التي أعدها وأخرجها عزي الوهاب.

أما أكاديمية الفنون الجميلة فهي الأخرى أسهمت إسهاماً لا بأس به في تقديم بعض الإضافات لمسرح الأطفال... فقدمت مسرحية «الباص القديم عنتر» من تأليف الدكتور هانز ديترشميت الفنان الخبير بمسرح الطفل في ألمانيا الديمقراطية الذي استضافه قسم الفنون الدرامية في أكاديمية الفنون الجميلة عام 1978 وأثناء وجوده ببغداد الذي دام عدة أسابيع ألقى عدة محاضرات وقام بإخراج مسرحية «بيت الحيوان» التي ألفها صموئيل مارشاك، وقد قام بوضع الألحان لها الفنان حسين قدوري، وأيضاً أشرف الدكتور هانز على مسرحية «الباص القديم عنتر» التي أخرجها الفنان سامي عبد الحميد...

وهاتان المسرحيتان موجهتان للأطفال وقام بترجمتهما الدكتور فائق الحكيم.. وهناك عدد من الفروق في المحافظات والاتحادات والمنظمات الجماهيرية قدمت مسرحيات عديدة للأطفال منها، فرقة مسرح كربلاء الفنية، التي قدمت مسرحيتين أثناء حفل واحد في عام 1977 هما «سبع السبمبع» و«الصياد الحائر» وتولى إخراجها الفنان علاء العبيدي وقدمت فرقة 76 للفنون المسرحية مسرحية «الطائر البزاز» عام 1976، وقدمت فرقة مسرح الفكر التربوي ببغداد مسرحية «الحطاب والطيور» تأليف وإخراج فاضل الكعبي، عام 1974، وقدم الاتحاد العام لشباب العراق مسرحية «الصخرة» عام 1975 ومسرحية «زيطة وبطة وحمار» عام 1978، وقدمت فرقة مسرح الدمى الرسمي التابع لمنطقة ستار أغوار البلغارية في عام 1976 مسرحية «مدرسة الأرانب» وقدمت مدرسة المهج الابتدائية في عام 1978 مسرحية «القطط الثلاثة».

وفي عام 1974 شكل الكاتب حسن موسى مع المخرج مانع السعودي ثنائي فني في مجال مسرح الأطفال فقدما مسرحية «النخلة» للمؤلف والمخرج نفسهما وقد حصلت هذه المسرحية على جائزة القطر الأولى تأليفاً وإخراجاً وأفضل عمل متكامل للمهرجان القطري العام لسنة 1974، قدمت هذه المسرحية فرقة تربية محافظة البصرة وهي تتحدث عن علاقة الإنسان بالأرض عبر حكاية انطلقت من الموروث الشعبي وهي مأخوذة عن قصة للكاتب نفسه بعنوان «النخلة المسكونة» نشرت في جريدة المزمار سنة 1972... وقد قدمت هذه المسرحية في بغداد على مسرح التربية في الرصافة، كما قدمت في محافظة البصرة على مسرح بهو الإدارة المحلية..

وقدم الكاتب حسن موسى مع المخرج مانع السعودي مسرحية «بنات الحارس» قدمتها فرقة تربية البصرة على مسرح تربية بغداد الرصافة وعلى مسرح بهو الإدارة المحلية في البصرة ومسرح نادي التعارف في محافظة البصرة سنة 1975، وفازت هذه المسرحية بالجائزة الأولى للمهرجان القطري العام للمسرح والموسيقى المدرسي لسنة 1975. وقد نالت هذه المسرحية اهتمام الأطفال والنقاد لما تحمله من مضامين تربوية وسمات فنية وموضوعية مبتكرة حول اللعب عند الأطفال وفق التناسق الاجتماعي المختلف...

وقدمت فرقة تربية البصرة للمؤلف والمخرج ذاتهما مسرحية «الريح» وقد فازت بالجائزة الأولى في البصرة، ثم الجائزة الأولى لمدارس المنطقة الجنوبية سنة 1976.

وفي سنة 1977 أعلن تلفزيون البصرة عن مسابقة النصوص المسرحية، وقد فاز فيها الكاتب حسن موسى بالجائزة الثانية حيث كانت الجائزة الأولى من نصيب مسرحية «السندباد البحري» للفنان الكاتب جبار صبري العطية...

وقدمت تربية البصرة مسرحية «أبناء الشمس» وهي من تأليف حسن موسى وإخراج حميد خليفة عن قصة بالعنوان نفسه للكاتب نفسه، وقد فازت بالجائزة الأولى للمهرجان القطري العام للمسرح والموسيقى المدرسي لسنة 1980، وقدمت هذه المسرحية في البصرة والنجف وبغداد وأسست فرقة مسرحية جديدة باسم هذه المسرحية في ذلك الحين.

وقد أشار الكاتب الراحل أحمد فياض المفرجي في كتابه (المصادر المسرحية في العراق) إلى أن الفرقة القومية قد قدمت مسرحية (الأميرة الكسول) للكاتب حسن موسى، لكنه لم يشر إلى اسم مخرج هذه المسرحية وإلى مكان وزمان تقديم أو عرض المسرحية.. وقد علمنا فيما بعد أن الفنان عبد الأمير المساوي قد عمل على تقديم هذه المسرحية سنة 1978 لكننا لم نعرف أيضاً على أي مسرح قدم عرض هذه المسرحية...

إن كل ما عرضناه هنا من النتاجات المسرحية الموجهة للأطفال والتي قدمتها عدد من الفرق المسرحية والمؤسسات ذات العلاقة يجعلنا نتساءل: هل هناك فرقة خاصة للأطفال؟ والجواب يأتي بـ كلا... لكون كل ما قدمته هذه الفرق سواء في بغداد أو في المحافظات لم يكن على أساس الاختصاص والتوجيه للتخصص بمسرح الأطفال، الذي ظل حياً بين هذه الفرقة أو تلك عبر عرض مسرحي أو تحت اسم مسرح الأطفال، ولم تبرز تجربة جادة من كل الفرق للتخصص بمسرح الأطفال... وظل هذا المسرح اسماً دون روح، وظل يعاني من غياب الجدية والتواصل الجاد ومن الكثير من المعاناة والمقومات الأساسية التي تجعل منه أساساً متميزاً في تربية الأطفال، وأرضاً خصبة لتنمية مداركهم وتعويدهم القيم والطبائع التي تجعلهم فعلاً قادرين على تمييز ما هو خير وما هو شر...

(إن مسرح الأطفال في العراق لا يمكن أن يتطور، ويصل إلى مستوى جيد، ما لم يدرس التجارب العالمية التي سبقته في التجربة، لغرض الاستفادة من الجوانب الإيجابية المهمة في هذه التجارب، وعكسها على تجربة مسرح الأطفال عندنا، وذلك بما يتلاءم والظروف الموضوعية في قطرنا، من أجل إرساء التقاليد الواضحة والراسخة لمسرح جاد ومتواصل للأطفال.. يعلن عن وجود دائماً... شأنه شأن الكيان التربوي في المدرسة التي تعلن عن وجوده دائماً...

ولا تعتمد دراسة التجارب العالمية على الجوانب النظرية فقط، إنما عبر الدراسة العلمية لغرض الاطلاع والاستيعاب لعكسها على التجربة الجديدة، مع الاحتفاظ بالخصوصية، ويأتي ذلك بواسطة إيفاد المعنيين بمسرح الأطفال إلى تلك

الدول لغرض التدريب والتخصص والاطلاع واكتساب الخبرة العلمية الجديدة، التي هي بالنهاية ستنعكس على التجربة الجديدة، التي من أجلها أوفد الدارس وأخيراً تنعكس أيضاً على تطوير التجربة الجديدة التي يقودها هو إلى أمام، لكونه متخصصاً ومطلعاً على التجارب العالمية بهذا المجال)[1]..

إن مسرح الأطفال عندنا يشكو من قاعات العرض الخاصة به.. فاستعملت في تقديم عروضه قاعات مسرح الكبار... وهذا يشكل خطراً على نمو مسرح الطفل واستقلاليته عن مسرح الكبار.. وفي النهاية يستدل على أنه ليس هناك مسرح للأطفال بالمعنى الدقيق، بل هناك مسرحيات للأطفال، وأيضاً يشعرهم - أي الأطفال - إن أماكن العرض ليست مخصصة لهم بالأساس، والطفل دائماً يحب ارتياد الأماكن التي يشاهد فيها الوسائل المرحة والتي تسعده في معظم الأحيان والتي هي في تصوره مخصصة له.. وماذا يحدث لو أن الطفل ألح على الذهاب إلى تلك الأماكن لقضاء وقت ممتع بها.. ويستاء ويخيب أمله في حالة سماعه، إن القاعة الفلانية غير مخصصة له، ويعرض فيها الآن مسرحية للكبار، وهنا تحدث بعض المردودات السلبية على نفسية الطفل...

كذلك يفتقر مسرح الأطفال عندنا إلى مسرح العرائس أو مسرح الدمى، كما هو الحال بالنسبة لمسرح الأطفال في الدول المتقدمة الأخرى كألمانيا الديمقراطية وغيرها...

وأيضاً لم تبرز حتى الآن وبعد تقديم الكثير من مسرحيات الأطفال في قطرنا، الاتجاهات المسرحية العمرية...

كذلك يجب ألا يختصر مسرح الأطفال على العاصمة بغداد دون المحافظات، ويجب أن يكون بشكل شامل باعتباره مسرحاً مهماً تدعمه الدولة، كما أن (نشوء مسرح للأطفال في بلد نام كالعراق لا بد أن يبدأ بممثلين مجربين، شريطة أن ينمو إلى جانبهم ممثلون صغاراً. من الطلبة الأذكياء، وليس شرطاً أساسياً أن يقوم الأطفال بكل أدوار المسرحية، لأن وجود الكبار داخل العملية

1- فاضل عباس الكعبي، مسرح الأطفال في العراق.

المسرحية هو بحد ذاته جزء من وعي الطفل بالتاريخ وبالقصة، إذ لا يمكن للطفل أن يتعامل مع مشكلاته البسيطة عبر وعيه بحركات خارجية يؤديها شخص مثله، كما أن الطفل نفسه عاجز عن متابعة مسيرة المسرحية، لا سيما إذا كانت طويلة مهما كانت قدراته الفنية)[1]. فطول المسرحية قد يخلق عنده الملل ويبعده عن الأحداث والمواقف المهمة في المسرحية.

1- ياسين النصير، مسرح الأطفال في العراق وسبل إنهاضه.

مقترحات و توصيات

لمسرح الأطفال

من أجل الارتقاء بمستوى مسرح الأطفال في العراق والوطن العربي لا بد من تثبيت هذه المقترحات والتوصيات التي من شأنها أن ترسخ تقاليد مسرح الأطفال في حياة الطفل. وأبرز ما نود الاهتمام به وأخذه بالحسبان ما يأتي:

1- إن مسرح الأطفال عندنا يبقى قائماً بمستواه الحالي هكذا، ما لم تتجمع شتاته في انطلاقة مباركة... تبدأ في إيجاد نقطة الانطلاق التي تبدأ من «المركز القومي المتخصص لمسرح الأطفال» والذي نحلم بقيامه ليأخذ على عاتقه مهمة إنشاء مسارح خاصة للأطفال في بغداد والمحافظات على غرار مسار الكبار.. وتتبعه فرقة مسرحية خاصة بمسرح الأطفال تضم ممثلين متخصصين ومؤهلين للتمثيل للأطفال فقط من الكبار والصغار... إضافة إلى أن هذا المركز سيكون مركزاً للدراسات والبحوث وغير ذلك، مما يجعل مفهوم مسرح الأطفال واقعاً لا خيالاً.. ويمكن لهذا «المركز» المقترح التنسيق والتعاون مع الجهات العربية المتخصصة بمسرح الأطفال لتنشيط واقع مسرح الأطفال في الوطن العربي... وتبادل الخبرات العربية، والخلاصة إلى عمل مشترك يوحد الجهود العربية باتجاه بناء مسرح عربي للأطفال...

2- إنشاء مؤسسة أو رابطة فنية وثقافية تعنى بمسرح الأطفال، وتدعم وتهتم بتنظيم أعمال وجهود المهتمين بمسرح الأطفال من ممثلين ومخرجين ورسامين وكتاب ونقاد وعلماء نفس الطفل وتربويين وغير ذلك.. والاتصال والتنسيق مع الخبرات

العربية المماثلة لزيادة التعاون وتبادل الخبرات وتوحيد الجهود في هدف عربي مثمر...

3- إنشاء البناية الملائمة لمسرح الأطفال وفق مواصفات إنشائية وتربوية وفنية مميزة يشترك في إعدادها وتصميمها مختصون في الفن المعماري وفي الجوانب التربوية والثقافية وعلماء نفس... وبالإمكان تعميم هذه الفكرة في المحافظات، وفي المناطق التي تكثر فيها الكثافة السكانية.

4- تشجيع المسرح المدرسي ودعمه بوصفه مهمة أساسية ضمن المدرسة.

5- تهيئة الكوادر الفنية المختصة بمسرح الأطفال وإيفادها في دورات متقدمة إلى الدول المتقدمة في هذا المجال... وفتح الدورات الفنية داخل القطر لإضافة خبرات وكوادر جديدة ومؤهلة لتنشيط مسرح الأطفال...

6- ضرورة إسهام الآباء في حث أطفالهم، وإفهامهم بدور المسرح، وأخذهم إلى أماكن العرض المخصصة لهم... وعدم اصطحابهم إلى مسارح الكبار... وضرورة الأخذ بمقترحاتهم وتقديمها إلى المسؤولين في مسرح الأطفال.

7- ضرورة أخذ آراء الأطفال المشاهدين بعد كل عرض، ودراسة هذه الآراء للاستفادة منها في نجاح أي عمل مسرحي يقدم للأطفال...

8- أهمية إصدار المطبوعات والمجلات المعنية بمسرح الأطفال، وإعداد البرامج الإذاعية والتلفزيونية ووسائل الدعاية الإعلامية في كل الوسائل لجذب الأطفال...

9- ضرورة التنسيق الفني والثقافي بين مسرح الأطفال والمؤسسات والجهات الفنية الأخرى ذات العلاقة كالتلفزيون، والإذاعة، والمسارح، والسينما، والمدرسة، وغيرها من المنظمات المعنية بالطفولة..

10- أهمية إجراء البحوث والدراسات التي تعكس تجربة مسرح الأطفال محلياً وعربياً وعالمياً وتشجيع المختصين للعمل في هذا المجال...

11- تنمية مواهب الأطفال في مجال التمثيل وتشجيعهم وإدخالهم في دورات خاصة... واكتشاف قدراتهم في هذا المجال عبر المدرسة والنوادي وغيرها...

12- تشجيع الكتاب والمؤلفين ودعمهم من أجل الكتابة المسرحية للأطفال، وإجراء مسابقات دورية أو سنوية في هذا الخصوص...

13- استضافة المخرجين والمؤلفين والممثلين في الوطن العربي، ومشاهدة عروضهم وتقديمها في القطر للاطلاع على قدراتهم وخبراتهم ومعرفة مستوى اهتمامهم بمسرح الأطفال، وبالمقابل عرض الأعمال المحلية في مسارح الأطفال للأقطار العربية...

14- ضرورة أن يكون هناك مهرجان سنوي لمسرح الأطفال داخل القطر تدعى له كل الفروق والإسهامات... وتخصيص جائزة لأفضل العروض وتصوير هذه العروض لعرضها في التلفزيون...

وكذلك ضرورة أن يقام مهرجان سنوي لمسرح الأطفال في الوطن العربي سنوياً يقام في دولة، وتدعى له جميع الأقطار العربية ويدعم بكل الإمكانات وتكون هناك جوائز تشجيعية لأفضل العروض في التأليف والإخراج والتمثيل والجوانب الفنية الأخرى..

15- تشجيع حركة النقد الخاص بمسرح الأطفال... بواسطة الصحف اليومية والمجلات.. وإصدار الكتب الخاصة في هذا المجال...

16- فتح الورش الخاصة أو الأقسام التي تعنى بعمل الدمى، ودعمها بالفنانين والخبراء في هذا المجال... وأهمية أن تصمم وتنتج هذه الدمى الخاصة بمسرح الأطفال من واقع الأطفال، وتستقى من التراث والمأثورات الشعبية.. والأشكال المحببة لدى الأطفال...

17- ضرورة الاهتمام بتقديم العروض المسرحية الخاصة بمسرح الأطفال، بالاتجاهات العمرية للطفل، والتأكيد على السن المحدد لهذه المسرحية أو

تلك في قاعة العرض لمعرفة المرحلة العمرية التي ترتاد هذا العرض دون غيره... لـكي تصـل المسرحية إلى هدفها وتؤثر في نفسية الطفل المخصصة له...

الخلاصة

تأسيساً على ما سبق ذكره، وأهمية ما توصلنا إليه في المحصلة النهائية من مناقشتنا وبحثنا لمسرح الأطفال وعلاقته بالأجناس الأدبية المعروفة، في لغة الخطاب التربوي في أدب الأطفال، وعلاقته بـ «الاندماجية الفن - أدبية» نقف عند نتيجة مهمة، نؤكد عبرها ضرورة إرساء التقاليد الواضحة لمسرح الأطفال، والتي من شأنها أن تخدم، وتعمق وجود أدب الأطفال بمعناه الشمولي وتقوي مرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال... وتمتين العلاقة، وترسيخها بين القاعدة والانطلاق في الدائرة التربوية والمعرفية لترصين المداخل التربوية في واقع الطفل، وتقوية الموجهات الثقافية والفنية في عقلية الطفل، أي تقوية العلاقة بين الرسالة والمرسل إليه، الخطاب والمخاطب، المدخل والعمق، وتوضيح العلاقة بين الكتابة الموجهة وصيغ النقل الفنية، ووسائل التقديم العديدة التي منها المسرح، لدى المتلقي - المشاهد -.

كل ذلك يتضح عندما تكون هناك علاقات، وقواعد، وأسس واضحة، تنظم عمليات الإبداع، وخصوصيتها في الخطاب الموجه بشكل خاص للأطفال، وبالتالي توسيع دائرة معارف الطفل عبر الاهتمام بكل الأشكال والأنماط والأجناس الفنية والأدبية التي تشترك في تحديد سمات هذه الدائرة، انطلاقاً من ترسيخ مفهوم «الفن-أدبية» في عقلية الخطاب التربوي الموجه للطفل، والذي سيحدد - أي هذا المفهوم - بشكل واضح طبيعة وأرضية دائرة معارف الطفل، بمفهومها الأدبي والفني البحت...

هذا المفهوم الذي ننطلق في تركيبته وتشكيلته من مجموعة مفاهيم فرعية مشتركة تمثل جانبي المعادلة «الفن-أدبية» في الفهم، منها الأدب المتمثل بالشعر.. القصة.. المسرحية.. الأوبريت... الحكاية... الكتاب.. الصحيفة... المجلة... وما شابه

ذلك... ومنها الفنية فتتمثل بالمسرح... الأغنية.. السينما... الموسيقى.. الصورة... الرسم... وغيرها ضمن الأنماط الفنية...

وبذلك يمكننا أن نعي بشكل واضح أهمية الارتكاز المعرفي في لغة الخطاب التربوي، بوصفه الأساس التربوي في التثقيف، والتوجيه والتربية، ومعالجته عبر القنوات والأجناس الأدبية والفنية المشتركة «الفن-أدبية» في أداء مهمة التربية والتوجيه والإمتاع التي تنطلق من دائرة أدب الأطفال ومرتكز ثقافة الأطفال لأداء مهمة واضحة في الخطاب التربوي لدى الطفل وزيادة معارفه، ورصيده اللغوي، وتغذية فكرة وذهنيته، وعقليته، بالصور الحياتية والمعارف المختلفة التي تتناسب ودرجات الذكاء التي تتصاعد وتنمو مع نموه، كل ما عمقنا توجيهنا، واهتمامنا بتنمية عقليته وخياله ومداركه، وتنظيم سلوكه وتوفير كل ما من شأنه أن يرتقي بحياته على مستويات أرقى... ونضمن له المستقبل المنشود الذي يطمح ونطمح إليه في كل ما نسعى له في خططنا وأساليبنا التربوية والثقافية والفنية...

الفصل الرابع

مدخل إلى سينما الأطفال

سينما الأطفال

وأثرها في الخطاب التربوي

من المرتكزات المعرفية الأساسية في لغة الخطاب التربـوي، المسـاعدة لأدب الأطفـال في إنضـاج فكر الطفل وتنميته، تنمية ثقافية وجمالية، مرتكز السينما، الذي يشكل علامة بارزة في ثقافة الطفل... ويعد دوره مهماً في نشر هذه الثقافة، لما له من علاقـة مبـاشرة في بنـاء الـوعي والخيـال الواسـع لـدى الطفل، ويساعد على تمكينه من إعداد شخصيته المستقلة، وتحصينها بمختلـف المعـارف والعلـوم التـي تقدمها السينما له بواسطة الصوت والصورة المتحركة.

وللسينما دور واضح في بنية التصرف، وتقوية التماسك السلوكي الرصين لـدى الطفـل.. وتشـترك اشتراكاً كبيراً في عملية التجانس المعرفي والخطاب التربوي الموجه للطفل... لذلك عدت سـينما الأطفـال، ركناً واضحاً من أركان البناء التعليمي في بنية «الاندماجية الفن-أدبية» لأداء الدور المتكامـل في المهمـة التربوية والتعليمية، ووتائر التثقيف المتصاعدة، في مجسات الخطاب التربوي في أدب الأطفال وتحديـد سمات ثقافة الأطفال...

وعدت سـينما الأطفـال مرتكـزاً معرفيـاً مبـاشراً في العمليـة التربويـة والتثقيفيـة بوصـفها - أي السينما - (أداة مباشرة لنقل رسالة التربية والتعليم، التي ينبغي إيصـالها إلى الطفـل، بالأسـلوب الـذي يساعد الطفل على الوصول إلى غايتها والتعلـق بمؤثراتهـا، ومتعتهـا، كإشـارة لجـذب انتبـاه الطفـل إلى ماهيتها التعليمية والثقافية)[1]. وتحمله هذه الماهيـة إلى التحـرك الواسـع في منطقـة الخيـال والإدراك والنمو، والتفاعل مع كل الخطط التربويـة، والتشـكيلات الفنيـة، التـي تتجـاوب مـع عوالمـه ومخيلتـه،

1- فاضل عباس الكعبي، سينما الأطفال ووعي الطفل.

ومستويات وعيه عبر الحركة والصورة والحوار التي تشكل جميعها، قيماً تربوية متجانسة في منطقة الخطاب التربوي المرتكز إلى أسس فنية وأدبية تتشكل من أدب الأطفال، لتتسع في تشكيلات الفن المختلفة، ومنها السينما، التي تخاطب الطفل، خطاباً مباشراً، وتشده إليها، بعد إدراك خصوصيته، والكيفية السايكولوجية والتربوية التي يكون عليها الطفل، وإدراك مهمتها وأساليبها الفنية التي يجب أن تكون عليها السينما لأداء مهمة مخاطبة الطفل...

فالعملية التربوية التي تضطلع بمهمتها السينما في مخاطبة الطفل... عملية ناجحة بنسب متقدمة... لما للسينما الموجهة للأطفال من أهمية ودور في توسيع خيال الطفل، وتنمية أحاسيسه وذهنيته بالمجسات المعرفية، التي تتفاعل مع شخصيته، وبالتالي تفعل فعلها في تطوير مساحة وعيه وبناء أفكاره، وتنمية حب الاطلاع والابتكار لدى الطفل...

ولعلنا في دراستنا هذه، ونحن نبحث في موضوعة السينما، وعلاقتها بأدب الأطفال وما تمثله من جوانب معرفية، وتربوية في عالم الطفل... أن نتمثل الخصوصية في التوجه، وأثرها فيه...

ومن هنا يتبادر إلى الذهن تساؤل منطقي، عن العلاقة بين الأدب والسينما... وأوجه التقارب بينهما... فنحيل هذا التساؤل إلى متابعة سعينا في الوصول إلى الجواب الشافي، وصولاً إلى غاية «الاندماجية الفن-أدبية» ومؤثراتها في ثقافة الأطفال، وما تفعله، منفردة ومجتمعة مع غيرها من الأجناس الفنية والأدبية في عقلية الطفل وخصوصية التوجه في سينما الأطفال... وبالتالي نستطيع الوصول إلى تكاملية العملية التربوية، وتحديد مرتكزات التجانس المعرفي، في وعي الطفل، تحديداً علمياً، يشكل البنى والقيم والوسائل والغايات الأساسية في الخطاب التربوي.. الذي يسعى أدب الأطفال إلى تحقيقه بمساعدة فنون الأطفال التي أشرنا إليها في أكثر من مجال هنا، كمداخل أساسية في ثقافة الأطفال... وما تسعى له سينما الأطفال بشكل خاص من مساعٍ في ترسيخ الخطاب التربوي، في عقلية الطفل...

لذلك تشكل العلاقة المشتركة بين السينما والأدب عاملاً مشتركاً في تحقيق الهدف التربوي، والتثقيفي، مع تحقيق المتعة للطفل...

ومن هذا الجانب الواضح في العلاقة بين الأدب والسينما، نستطيع أن نثبت حقيقة العمل الفني في السينما الذي لا يمكنه أن يحقق أهدافه وسماته دون الاستعانة، بالأدب، ولا سيما الجانب القصصي والروائي منه، بصفته الأساس الذي يعتمد عليه في صناعة الفيلم وبنية السينما...

لقد (نهلت السينما دوماً من معين الأدب العالمي، وهو نبع ثريٌّ غزير، وكان لسينما الصغار - بالطبع - نصيبها من ذلك... ولعل ما يمتلئ به تراث الشعوب المختلفة من حكايات وأساطير هو أكثر قرباً إلى أذهان الصغار وأشد إثارة لمتعتهم وشغفهم، لما بين الصغار وطفولة الشعوب من وشائج وعناصر تشابه عديدة على أن هذا لا يعني أن كل ما تحفظه ذاكرة الأمم والقوميات، وما يفرزه لا وعي الجماهير ومشاعرها الدفينة، يمكن أن يكون صالحاً للصغار، فالفرز والاختيار والتهذيب وإعادة الصياغة، كلها مطلوبة دوماً... ولا يفوتنا التنويه بحكايات ألف ليلة وليلة، العربية الصياغة، الشرقية الروح. فقد غدت الليالي العربية شهيرة ومؤثرة في الغرب بمثل شهرتها وذيوعها في التراث العربي القريب... وقد تركت أثرها وبصماتها في أعمال أدبية وفنية عديدة... وصارت شخصيات مثل: السندباد البحري ورحلاته، وعلاء الدين ومصباحه السحري، وعلي بابا ولصوصه الأربعين، وغيرها... شائعة معروفة متداولة بين الكبار والصغار بفضل نشرها في مطبوعات مختلفة الأنواع والمستويات، وانتشارها في الأعمال الأدبية والفنية. وبفضل اقتباس السينما لها أكثر من مرة)[1]. وقد برز واشتهر كتّاب كبار في مجال كتابة الروايات وقصص الأطفال التي اعتمدت عليها سينما الأطفال في العالم، منهم «هانز كريستيان اندرسون، 1875-1805" وهو من أبرز كتاب حكايات الأطفال في العالم، شاعر ومؤلف وروائي دانماركي،، ومن أشهر حكاياته التي اشتهرت أيضاً في السينما «البطة القبيحة، وعسكري الصفيح الشجاع، وعروس البحر الصغيرة، والحذاء الأحمر"، وغيرها...

وكتب الأديب الإنكليزي دانيل ديفو (1730-1660) روايته الشهيرة (مغامرات روبنسون كروزو) هذه الرواية لم تكتب للأطفال، وإنما أثارت اهتمام الأطفال

1- رضا الطيار، السينما والصغار.

فأصبحت بعد تقديمها بشكل ميسر محببة لديهم وشهيرة فصيغت في السينما في عشرات الأفلام، وعبر أفلام الرسوم المتحركة أيضاً...

وكتب الكاتب البريطاني (لويس كارول 1898-1832) روايته الشهيرة «أليس في بلاد العجائب» والتي دخلت السينما أيضاً... ومن أشهر ما صنعته السينما عن هذه الرواية فيلم الرسوم المتحركة الطويل (أليس في بلاد العجائب» الذي صنعه والت ديزني..

ومن أعظم الكتاب الساخرين في أمريكا هو (مارك توين 1910-1835) وكان أبطال أشهر ثلاث روايات كتبها كانوا من الأطفال، ورواياته هي (توم سوير، ومغامرات هكلبري، فين، والأمير والفقير) وهذه الروايات اقتبسها السينما للأطفال أكثر من مرة. وكذلك قدمتها بطريقة جذابة أحبها الأطفال بسرعة...

وهناك أيضاً الكاتب البريطاني (روبرت لويس ستيفنسن 1894-1850) صاحب الرواية الشهيرة (جزيرة الكنز) التي صيغت بعشرات الأفلام للأطفال والكبار...

ولا ننسى في هذا المجال روايات الخيال العلمي للأطفال، وأشهر كتّابها الفرنسي (جول فيرن 1905-1828) والإنكليزي (هربرت جورج ويلز 1946-1866)...

وهناك كتاب كبار في العالم كتبوا للأطفال لا مجال لذكرهم هنا.. أسهموا برفد السينما العالمية بأروع الأعمال الخاصة بالأطفال...

ومن هذا المنطلق يتحدد الترابط المبدع، والعلاقة المشتركة بين الأدب والفن لصياغة العمل الفني المشترك المقدم للأطفال... ومنها السينما التي نعدها مرتكزاً مهماً من مرتكزات التجانس المعرفي، ووسيلة فنية وثقافية أساسية تستخدم في لغة الخطاب التربوي الموجه للأطفال... ولها تأثير تربوي مباشر في شخصية الطفل..

إذ لا يمكن إغفال دور سينما الأطفال في الجانب التربوي وتقديم الأدب الملتزم والجميل عبرها للطفل... ولا يمكن عد سينما الأطفال هامشية في حياة الطفل كما يتصورها بعضهم، ممن لا يدرك أهميتها ووسائلها في تربية وتثقيف الأطفال وإمتاعهم... وهذا ما تبغي سينما الأطفال بكل عناصرها ومقوماتها ووسائلها تحقيقه في عالم الأطفال...

مفهوم سينما الأطفال

على الرغم من وجود مئات الأفلام السينمائية التي صنعت أساساً لمخاطبة الأطفال، ولأجلهم سواء تلك التي اشترك في تمثيلها ممثلون صغار، أو تلك التي مثلها ممثلون كبار... ووجهت إلى جمهور الصغار.. إلا أن التحديد الصائب لمفهوم سينما الأطفال لم يترسخ بعد... وظل هذا المفهوم أسير مفهوم السينما بشكلها العام...

ويطرح في بعض الحالات، من أحاديث وبرامج حول خصوصية المصطلح، أو إشغال أن مفهوم سينما الأطفال، إنما نتج عن خصوصية وحساسية جمهور هذه السينما... ومع ذلك فقد سعى العديد من الفنانين إلى ترسيخ خصوصية سينما الأطفال في إطار الفن... وأوجد السينمائيون والمهتمون بهذا الجانب استوديوهات خاصة لإنتاج الأفلام السينمائية الموجهة للأطفال... حتى استطاعت هذه الأفلام أن تستقطب المشاهدين الصغار إليها..

وقد نشطت هذه الاستوديوهات في بلورة وترصين قاعدة عريضة من الاهتمام بصناعة الأفلام السينمائية الموجهة للأطفال... وترسيخ مفهوم سينما الأطفال، وإيجاد تقاليد عمل فنية لها... فعبر السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية (انتظمت صناعة أفلام الصغار... وازدهرت وقامت على أسس سليمة إلى حد بعيد وراحت تتطور تدريجياً، على أن بدايات التوجه نحو صناعة أفلام تخاطب الصغار كانت قد توافرت قبل ذلك بكثير... وكانت أوائل تلك الأفلام قد صنعت في اليابان منذ عام 1919، والاتحاد السوفيتي من عام 1924)[1].. إلا أن التجارب الأكثر نضجاً وتفوقاً في صناعة سينما الأطفال تركزت في الاتحاد السوفيتي عبر (استوديو

1- رضا الطيار، السينما والصغار.

غوركي المركزي لأفلام الأطفال والفتيان) وفي أمريكا عبر (استوديوهات والت ديزني)..

هاتان التجربتان اللتان كانتا البداية الصحيحة والأكثر تقدماً في إنتاج أفلام الأطفال، والتواصل في تعميق مفهوم سينما الأطفال في إطار السينما العالمية... إلا أنه على الرغم من الشهرة التي نالتها الأفلام السينمائية المخصصة للأطفال، والتي خرجت من استوديوهات غوركي واستوديوهات ولت ديزني، وعرفها الطفل وأحبها في جميع بقاع العالم... وتبعتها تجارب أخرى مضافة من إنتاج استوديوهات عالمية في بلدان عديدة... وعلى الرغم من كل ذلك بقيت سينما الأطفال شكلاً فنياً قائماً ضمن مسار صناعة السينما كنوع من التوجه الخاص والامتزاج مع سينما الكبار في التوجه للأطفال... ولم تكن جنساً فنياً قائماً بذاته يحمل من مقومات الشخصية المستقلة.. والعمق الفني والثقافي والتربوي الراسخ، إلا ما تمليه رواية هذا الفيلم أو إيحاءاته التي أراد لها أن توجه للأطفال...

لذلك بقيت رهينة سينما الكبار.. خارجة من رحمها ومشكلاتها، وإشكالاتها الفنية والموضوعية ضمن إطار المتطلبات والحاجيات والتقنيات في صناعة السينما... فظلت أسيرة مفاهيم عديدة، أملتها عليها سينما الكبار... ولم تستمر في ترسيخ تقاليدها ووجودها وسماتها كما هو الحال بالنسبة لسينما الكبار... وظلت تعاني من قلة الاهتمام والمتابعة، وملاحقة إنجازاتها، والتنظير لمفاهيمها وخصائصها الفنية والثقافية والتربوية، وبنيتها المركزية...

حيث نجد مئات، بل آلاف الدراسات والكتب والبحوث المتخصصة، وعشرات المجلات والنشريات والمؤتمرات والمهرجانات والملتقيات والحلقات الدراسية والنقاشية والندوات الثقافية حول سينما الكبار، ولا نجد مقابل ذلك سوى ما نسبته (1%) فقط، الذي يشير ويؤشر لسينما الأطفال من بعيد... حتى عدت مصادر دراسة ومعرفة سينما الأطفال ضعيفة، ومفقودة قياساً إلى سينما الكبار...

وبهذه الحالة كان يصعب تحديد سمات وإنجازات سينما الأطفال في بلدان العالم، إلا بواسطة مصادر ضعيفة ومقالات صغيرة نشرت هنا وهناك تؤشر بشكل سريع إلى ما تم إنتاجه للأطفال في عالم السينما...

حتى إنني حين أتممت دراسة طويلة ووافية حول مسرح الأطفال وخصوصيته عام 1979، وسعيت إلى كتابة دراسة موسعة حول سينما الأطفال عالمياً وعربياً ومحلياً، وبقيت على مدى سنتين، وما زلت أبحث عن مصادر أساسية ومهمة لهذه الدراسة فلم أوفق إلا في بعض المجالات الضيقة التي لا تتعدى المقالات القصيرة، مع بعض الكتيبات الصغيرة...

ومرد ذلك أن سينما الأطفال بقيت في دائرة الأشرطة السينمائية، ورهينة (الأرشيف) الذي يتراكم عليه غبار الزمن...

مع ذلك بقيت سينما الأطفال، مجالاً مفتوحاً أمام الباحثين والدارسين، لخوض غمارها، وتحديد مسارها وسماتها ومفهومها، ومهماتها، وخصوصيتها، والتنظير لأسس صحيحة وعلمية لماهيتها... وفرض وجودها وتقاليدها في حياتنا حالها اليوم كحال المدرسة والروضة والملعب، وما إلى ذلك من متطلبات النهوض بواقع الطفل الثقافي والحضاري والتربوي.. وإيجاد كل ما من شأنه أن يؤدي مهمات التربية والتعليم والتثقيف بشكل كامل ومؤثر..

ومع بروز سينما الأطفال إلى الوجود، ودخول الأفلام السينمائية المخصصة للأطفال، إلى عالمهم، وفرض وجودها في حياة الطفل، سواء عبر شاشة التلفزيون أو شاشات العرض... كان لا بد من ملاحقة إنجازاتها، وآثارها في دراسات وبحوث تضمن رسوخها، ووجودها في حياتنا... بشكل عام، وفي حياة الطفل بشكل خاص... حالها حال سينما الكبار... بل إن أهمية سينما الأطفال وغايتها أصعب وأخطر بكثير من سينما الكبار، وذلك لحساسية توجهها ودقة خطابها المعرفي، وبنيتها التوجيهية والترفيهية... بوصفها نوعاً خاصاً من أنواع الفن، موجهاً لأخطر مرحلة من مراحل الإنسان...

إن قلة المصادر والدراسات حول سينما الأطفال، لا يعني بأي حال من الأحوال، تهميشها في حياة الطفل، وإغفال أهميتها ودورها... وعدها ترفاً فنياً، يمكن الاستغناء عنه... والاستعانة بغيره مما يعرض في قاعات العرض، وشاشة التلفزيون لإغناء مخيلة الطفل وإنضاجها، وتنمية مداركه بل إن ذلك يجعل الفاصلة بعيدة، والهوة تتسع بيننا وبين توجهاتنا، ومسؤولياتنا لتنمية الطفل وبناء شخصيته

من جهة، ومن جهة أخرى بين الطفل ووسائل تنميته وتربيته... وبـذلك كـان لزامـاً علينـا إغنـاء سـينما الأطفال بالآراء والمقترحات والدراسات والبحوث والمفاهيم النابعـة مـن الـوعي التربـوي، لجعلهـا - أي سينما الأطفال - حالة قائمة ومؤثرة في عالم الطفل... لها فعلها وأهميتها في حواسه ووعيه...

لذلك وبواسطة ما توصلنا إليه عبر متابعـات طويلـة، ومـا أطلعنـا عليـه ضـمن مسـار سـينما الأطفال، وانطلاقاً من وعينا بمتطلبات الطفولة، وأهمية تنميتها وترسيخ مفاهيمهـا التربويـة والثقافيـة، يمكن لنا أن نحدد مفهوم سينما الأطفال على وجهين متباينين، متقاربين في المعنى والاتجاه..

الوجه الأول: وهو المفهوم العام، إن سينما الأطفال هي تلك التي تتجسد فيها معاني الطفولـة، وتتوجه مباشرة بكل تقنياتها ومضامينها، وما تحمله أفلامها وموضوعاتها إلى الأطفال مبـاشرة... وتأخـذ بالحسبان وعي الطفولة... ومتطلباتها، وحساسيتها، وفق مراحلها العمرية...

كذلك لا بد لها أن تجسد القيم والمعاني السـامية التـي لا تخـرج عـن دائـرة التربيـة والتعليـم والمتعة وإغناء روحية وعقلية وخيال وإحساس الطفل بالجمال والسعادة، وجعلـه قـادراً عـلى التمييـز بين الخير والشر... بين الجمال والقبح.. بين السلوك الإيجابي والسلبي... بين القوة والضـعف... الـخ مـن القيم.. والمتناقضات التي تفرزها البيئة الكونية للمجتمع...

أما الوجه الثاني لتحديد مفهوم سينما الأطفـال فهـو مفهـوم خـاص ينطلـق مـن دقـة اختيارنـا لموضوعة سينما الأطفال، ومدى ارتباطها بالأجنـاس الفنيـة الأولى كـالمسرح... والموسـيقى... والأغنيـة... والتلفزيون... والتحامها أو اتصالها مع الأجنـاس الأدبيـة الأخـرى كالشـعر والقصـة والروايـة والحكايـة والصحافة.. بوصفها مجتمعة تمثـل مرتكـزات أساسـية للتجـانس المعـرفي... وتشـكل مجسـات أساسـية للخطاب التربوي الموجه للأطفال...

وفي كلتا الحـالتين - أي الفنيـة والأدبيـة، أو الوحـدة «الاندماجيـة الفـن-أدبيـة» - تشكل مركـز الإشـعاع والتطـور الفكـري لنمـو الطفولـة.. والمدرسـة الكبـيرة التـي يتلقـى فيهـا الطفـل أرقـى الـدروس والقـيم المسـاعدة لتربيتـه وتثقيفـه وبنـاء شخصـيته،

وتهذيب سلوكه، وجعله مهيئاً لامتحان الحياة والطفولة... وتخطيه بنجاح كبير، عبوراً إلى المرحلة الأخرى من حياته، واستقبال عوالم ومغاليق... وتساؤلات وألغاز... وأشياء جديدة قد لا يقف أمامها منذهلاً... قلقاً كما وقف أمام عوالمه السابقة في مرحلته التي تخطاها بنجاح ووعي ناضج... وهي المرحلة الخطرة، وأساس البناء الأول الذي إذا فسد فسد ما بعده... وإذا نضج نضج ما بعده...

ومن هنا فإنها وليدة الفكر... ووليدة تلاقح مجموعة من الأجناس الأدبية والفنية لتضع أمامنا فيلماً سينمائياً هو جزء من شريط طويل، ومتواصل لحياتنا الغامضة...

إذاً... فإن ارتباط السينما بموضوع دراستنا وتحديد مفهومها بواسطة الوجه الثاني لتحديد مفهوم سينما الأطفال، إنها تشكيل من قصة أو رواية تتحدد مع الواقع الموضوعي وتنطلق منه لعالم الطفل، فيأتي ممثلون صغار أو كبار لتمثيلها ووضعها في مشاهد حية مثيرة ومشوقة بمرافقة الموسيقى أو الشعر والأغاني لتصبح بمساعدة تقنيات فنية وهندسية فيلماً سينمائياً متكاملاً يشاهده الأطفال في قاعات العرض، أو دور سينما خاصة يطلق عليها سينما الأطفال..

أهمية
سينما الأطفال وغايتها

إن أهمية سينما الأطفال تكمن في زيادة المتعة وفك ألغاز القصة أو الرواية التي اطلع عليها الطفل، أو قرأها في كتاب منفصل كلغة وشخوص وحوارات وأحداث صامتة.. يصبح الفضول كبيراً لدى الطفل وتزداد متعته عندما يجد ما قرأه في هذه القصة أو تلك الرواية قد أصبح فيلماً سينمائياً يجعل من أحداث القصة وأشخاصها وحواراتها الصامتة، كائنات حية تتحرك أمامه، كما لو أنها في الواقع الحي... فتصبح غايتها أكثر نفاذاً في نفسية الطفل، وأكثر تأثيراً ووصولاً إلى وعيه وفهمه، ويتضح تعاطفه معها بشكل سريع وواضح... فالأطفال عندما يقعون تحت تأثير الفيلم ينشدون إلى مشاهدته ومتابعة أحداثه بكل إصغاء... إنما يصبحون طائعين لكل ما يعرضه ويقدمه لهم... فتعرف عبر ذلك (إن نفسية الأطفال على استعداد لمعايشة ما يرونه في فيلم أو مسرحية بدرجة تجعلهم قابلين لاكتساب خبرات جديدة متنوعة، وتحصيل معارف كبيرة)[1]، وعبر ذلك يمكننا أن نعي تطور قابلياتهم ونمو شخصياتهم ومداركهم ومتابعتها، بالطريقة التي تجعلنا نعي تماماً أهمية السينما في حياة الطفل، والغاية التي ينبغي الوصول إليها، وراء توجهها ومخاطبتها للأطفال..

وبواسطة السينما يمكننا أن ننمي قابليات الأطفال ونثير اهتمامهم بكل ما يساعدهم على ذلك ويجعلهم يعون ثقتهم بأنفسهم... وتطوير طاقاتهم وقابلياتهم... كما ننمي داخل أنفسهم الإرادة القوية، والقابلية على مواجهة الصعاب، والتمكن

1- يعقوب الشاروني، الأطفال كمشاهدين لمسرح وسينما الأطفال.

من التصرف السليم والشجاع إزاء الأحداث والمواقف التي تفرزها البيئة التي تحيطهم...

كذلك فإننا بواسطة ما نعرضه للأطفال عبر السينما إنما نعي مسؤوليتنا الكبيرة بمساعدتنا على تنمية قدراتهم، وصقل مواهبهم، وتنمية إحساسهم وتذوقهم للجمال، وحب الفنون الجميلة، التي تندرج ضمن عالمهم وتوضح لهم الحياة بشكلها الجميل..

ومن أساسيات إقبال الأطفال على الأفلام التي تعرضها لهم سينما الأطفال هو موضوعة الفيلم وحكايته ذات الحبكة المشوقة التي تشدهم منذ البداية إلى مشاهدة العرض ومتابعته بدقة ومتعة..

وبواسطة هذا العنصر نستطيع أن نشد انتباه الأطفال إلى العرض، ونعي تواصلهم مع بقية الفيلم (وإزاء ازدياد منافسة التلفزيون بقنواته المتعددة للسينما راحت السينما تبحث عن موضوعات تجتذب الجمهور.. ولا يستطيع التلفزيون مجاراتها فيه... من مثل الأفلام ذات الإنتاج الباذخ الضخم... والموضوعات الخاصة الجريئة.. وأفلام الخيال العلمي والشاشة من قياس (70) ملم مع صوت مجسم. وغير ذلك، ومن بين الموضوعات التي قفزت إلى السينما أثناء هذا البحث المحموم عن الجديد والغريب برزت فكرة أفلام الرعب القائمة على استغلال التناقض بين براءة الطفولة وبشاعة الشر عندما تتلبس الأرواح الشريرة أجساد أطفال يتسمون بالبراءة والطهارة والجمال وهذا الأسلوب مرفوض تربوياً وقاس اجتماعياً... ولكنه انتشر في السينما سريعاً)[1]. وراح هذا الجانب يقلق الآباء بشكل كبير حول الوضع التربوي لأطفالهم... مما حدا بالعديد من الدول إلى منع عرض مثل هذه الأفلام في دور عرض سينما الأطفال... إلا أن المشكلة بقيت قائمة أمام وجود التلفزيون الذي يعرض مختلف الأفلام لا سيما للكبار والتي يشاهدها الأطفال أيضاً -

1- رضا العطار - السينما والصغار.

كأفلام الرعب التي يعرضها التلفزيون للكبار فهي تشكل خطراً على الجانب النفسي والتربوي والأخلاقي للطفل.

لذلك على الآباء مراقبة أطفالهم وعدم السماح لهم بمشاهدة ومتابعة مثل هذه الأفلام، وحصر مشاهدتهم على الأفلام التي تعرض خصيصاً لهم...

فيلم الأطفال

إن أهم السمات التي تميز فيلم الأطفال عن فيلم الكبار هو خلوها من التفاصيل المعقدة، والرموز والتشتت في الموضوع... فالفيلم السينمائي الموجه للأطفال لا بد أن يتميز شكلاً ومضموناً بالجمال، وسعة الخيال، وتنوع الألوان،...

وتشكل هذه الجوانب، فضلاً عن أخرى لفظية وصوتية وصورية وحركية، عناصر تزيد من فاعلية الفيلم في الأطفال، لأنها تؤلف عوامل لإيضاح المعنى وتجسيده، وزيادة جاذبيته...

ومن هنا قيل عن فيلم الأطفال إنه صناعة معقدة، لارتباطه بهذه العناصر التي تتفاعل مع عوامل نفسية واجتماعية ولغوية وعقلية وثقافية... والتي يترتب أن يكون العاملون في مجال إنتاج فيلم الطفل، وفي مقدمتهم المؤلف والمخرج، على دراية بكيفية التأليف بين هذه العناصر ودخول عالم الطفل، وصولاً إلى تلبية الحاجة الاتصالية للطفل...

ويمكن تحديد أنواع أفلام الأطفال تبعاً لهذا المعيار أو ذاك... فمن الأفلام ما يقوم الأطفال وحدهم بأداء الأدوار فيها ومنها ما يشترك الأطفال والكبار معاً، ومنها ما يقوم الكبار وحدهم بأداء الأدوار فيها... إلا في الحالات التي يستدعي وجود طفل أو أكثر في بعض مواقف التمثيل... يضاف إلى ذلك، فإن هناك أفلام عرائس، وأفلام دمى وأفلام رسوم متحركة...

ويهتم الأطفال بالأفلام التي تشكل الحيوانات أبطالها لا سيما دون سن التاسعة أو الثامنة من العمر... ويقل هذا الاهتمام فوق هذا السن... كما تثير أفلام المغامرات اهتمام الأطفال الذين يتجاوزون سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة، ويصرف عنها دون هذا السن...

أما الأفلام التسجيلية فإنها تثير ضجر الأطفال في مختلف الأعمار، إلا إذا تم ربط موضوعها بحكاية... مثل الفيلم الكندي (رحلة باول) الذي يحكي في 30 دقيقة بالألوان قصة قارب صغير جداً من الخشب صنعه صبي وتركه على شاطئ إحدى البحيرات العظمى بين كندا والولايات المتحدة، ثم تتبع الفيلم قصة القارب

إلى أن وصل إلى المحيط الأطلنطي ثم إلى المحيط المتجمد الشمالي... مع بعض المواقف المثيرة أو المضحكة مثل خروجه في شبكة صيد صبي آخر... وقيام ذلك الصبي بإعادة طلاء القارب بالألوان قبل أن يتركه يستمر في رحلته)[1].

وللمشرف على عرض الفيلم الدور الكبير بالتخفيف من انصراف الأطفال من الأفلام التسجيلية، وكما يقول الباحث والكاتب المعروف يعقوب الشاروني: (وذلك بقيامه - أي المشرف على عرض الفيلم - بربط أحداث الفيلم بخبرات الأطفال المشاهدين... فالفيلم التسجيلي في هذا، مثله مثل الفيلم التعليمي الذي لا يمكن عرضه دون مدرس المادة بجانبه... ومن المعروف بالنسبة للأفلام التربوية أن التلاميذ يختلفون في درجة تقبلهم لها وفق اختلاف الفروق الفردية بينهم، وهو الأمر ذاته بالنسبة لجمهور الأطفال من مشاهدي الأفلام التسجيلية التي لا يعد معظمها خصيصاً للأطفال... وهنا يقوم المشرف على العرض، والذي يعرف سلفاً مستويات جمهوره من الأطفال بتقريب موضوع الفيلم من أذهان مختلف فئات الحاضرين) وبإمكان المشرف على العرض خلق بعض جوانب التشويق وفهم العرض...

ومن المفيد هنا أن تصاحب الفيلم الأجنبي الترجمة أو الدبلجة التي تجعل الأطفال يتابعون الحوار بوضوح، ويعيشون أحداق ووقائع الفيلم باستمتاع كبير...

كما أن لمكان العرض أي - قاعة سينما الأطفال (الأثر الكبير في جذب الأطفال وشدهم إلى العرض، فالبناية التي تخصص لعرض الأفلام السينمائية والخاصة بسينما الأطفال، يجب أن تؤسس على أساس عوالم الطفل وحياته، كي يشعر بها الطفل أنها فعلاً مخصصة له وتوفر الأجواء الجيدة التي تشبع معارفه ورغبته بالمتعة، وتصبح جزءاً من حياته وتعبيراً عن الاهتمام به واحترام شخصيته المستقلة)[2] وجعله يشعر أن المكان - أي قاعة العرض - بما تعرضه من أفلام ممتعة ومفيدة، وما تتمتع به من مقومات ناجحة من ناحية الشكل والألوان والمقاعد والأجواء المناسبة، جزء من مكملات إسعاده وتربيته، شأنها شأن البيت والمدرسة في رعايته والعناية به...

ويبقى موضوع الفيلم من المسائل الأساسية في جلب انتباه الطفل إلى العرض السينمائي وأهميته...

1- رضا العطار - السينما والصغار.

2- فاضل عباس الكعبي، سينما الأطفال ووعي الطفل.

سينما الأطفال

في العالم

عدت الدول المتقدمة سينما الأطفال بمثابة المدرسة... بل مساعدة للمدرسة، ومكملة لها في أداء رسالتها في التربية والتنشئة والتعليم.. فسعت إلى إنتاج الأفلام السينمائية المخصصة للأطفال والاعتماد عليها في ترسيخ مفهوم وتقاليد سينما الأطفال في حياة الطفل وواقعه... فسعت إلى فتح الاستوديوهات الكبيرة وتأسيسها لتطوير هذه الصناعة ونموها وتشجيع العاملين فيها. كذلك إنشاء قاعات العرض العديدة، التي تصلح أن تكون سينما للأطفال (بعد رصد الإمكانات والخبرات العلمية والثقافية والفنية وفق دراسة واقع الأطفال وحاجتهم والخوض في سايكولوجية الطفل، وحسب الفئات العمرية تم إنشاء عشرات البنايات المخصصة لسينما الأطفال - وانتشرت هذه البنايات في المدن الكبيرة، والمدن التي تكثر فيها الكثافة السكانية الكبيرة من الأطفال، حتى أصبحت جزءاً مهماً من واقع الأطفال، ولا تقل أهمية عن سينما الكبار، إن لم تكن أهم منها)[1] في التوجه والإعداد وبناء قاعدة من الجمهور المتميز...

وإزاء هذا الاهتمام بسينما الأطفال وتشجيعها، نظمت في أنحاء متفرقة من العالم المهرجانات السنوية والدورية لسينما الأطفال، وبشكل يكاد يكون محدوداً... وقد خصصت الجوائز العديدة لها.. إضافة إلى المهرجانات المخصصة لأفلام الأطفال هي: (مهرجان تامبيرا في فنلندا) وهو خاص بالأفلام القصيرة... تنافسي عالمي سنوي؛ (ومهرجان دينفر) في كولورادو بأمريكا تشترك فيه مختلف الأفلام... و (مهرجان بلغراد في يوغسلافيا وهو مهرجان سنوي بدأ عام 1971).

1- فاضل عباس الكعبي، سينما الأطفال ووعي الطفل.

وهناك مهرجان تنافسي عالمي لأفلام الصغار في مدينة خيخونه في إسبانيا... وقد عقد دورته الحادية عشرة في عام 1975... وفي دلهي في الهند هناك أيضاً المهرجان العالمي لأفلام الأطفال.. وكذلك هناك مهرجان موسكو السينمائي الذي ينعقد مرة كل سنتين... وقد عقد في العام 1985 دورته الرابعة عشرة... وفي مدينة فارنا في بلغاريا مهرجان عالمي لأفلام الرسوم المتحركة... وكذلك هناك مهرجانات أخرى في أنيسي في شمال فرنسا. وفي سان فرانسيسكو، وفي زغرب في يوغسلافيا... وغيرها من المهرجانات..

إلا أن بعض هذه المهرجانات لم يستمر، وتوقف لأسباب مادية، أو لأسباب فنية أخرى، وبعضها الآخر تواصل على الرغم من الصعوبات، وواكب حركة السينما، إلا أنها بقيت في حدود ضيقة.

وكما ذكرنا سابقاً إن أهم التجارب في صناعة سينما الأطفال هما التجربة الروسية عبر استوديو غوركي المركزي لأفلام الأطفال والفتيان... والثانية التجربة الأميركية عبر استوديوهات والت ديزني... وهناك تجارب أخرى ظهرت في بريطانيا بواسطة شركة أفلام (رانك) لصناعة أفلام الأطفال منذ عام 1944 حتى عام 1950، وكذلك (نشطت صناعة الأفلام المخصصة للصغار بعد الحرب العالمية الثانية في الدول الاشتراكية الأخرى فصارت لها استوديوهات خاصة بها... وقد بدأ ذلك في بولونيا منذ عام 1950 وفي ألمانيا الديمقراطية منذ عام 1953 وفي تشيكوسلوفاكيا منذ عام 1955)[1]. هذا فضلاً عن بروز تجارب أخرى مماثلة في دول متفرقة من العالم في الهند وفرنسا ودول أخرى..

إلا أن سنوات السبعينيات شهدت تطوراً ملحوظاً في سينما الأطفال المنتجة في الدول الاشتراكية إذ أن (الذي يميز السينما الاشتراكية عن السينما الغربية في هذا المجال هو أن الأولى لا تكتفي بمجرد إنتاج وعرض أفلام الأطفال فقط... بل هي تعمل على معرفة مدى الاستفادة الحقيقية التي حصل عليها الأطفال من تلك العروض السينمائية... ولكي تحقق مثل هذا الهدف استخدمت الأسلوب العلمي في

1- رضا الطيار - السينما والصغار.

معرفة الآثار التي تتولد لدى الأطفال بعد كل عرض، وسخرت جماعة من الباحثين والاختصاصيين في شؤون الاتصال يقومون بتسجيل ملاحظاتهم ومعلوماتهم حول تفكير وسلوك الطفل قبل مشاهدته للفيلم وبعدها، فتوجه إليه بعض الأسئلة (شفوياً وتحريرياً) وتكون عادة سهلة وسلسلة الصياغة لكي يفهمها ويستوعب مغزاها وتعطي النتائج بعد ذلك إلى المؤسسة المنتجة التي تقوم بدراستها ومراجعة الأخطاء التي وقعت.. وقد تستخدم أيضاً الرسائل بين الجهة المنتجة والأطفال أنفسهم وتولي الجهات المسؤولة هناك اهتماماً لأجوبة الصغار التي تتضمن انطباعاتهم ومقترحاتهم وأفكارهم التي على ضوئها يجري تطوير تقنيات ومضمونات الأفلام لكي تفيد أكبر عدد منهم)[1]. وتتمكن بهذه الطريقة من خلق أجواء التواصل والخبرة المعرفية بين المختصين والأطفال وترسيخ مفهوم سينما الأطفال في حياة الطفل..

1- لواء عبد الأمير المحاويلي، سينما الأطفال متى تبدأ.

علامة بارزة

في سينما الأطفال

يظل (والت ديزني) الشخصية العالمية الأكثر قرباً من الأطفال، والتجاوب مع قـدراتهم العقليـة بواسطة ما قدمه وابتدعه من شخصيات كارتونية مهمة في حياة الأطفال..

فقد أوجد (والت ديزني) (علاقة معينة بين الطفل والحيـاة التـي يعيشـها واسـتطاع أن يعلمـه معانيها وحقائقها الإنسانية عبر صور زاهية الألوان وجيـدة التركيـب وذكيـة الطـرح، وتعلـم الطفـل في فيلم «بيتريان» الذي عرضه التلفزيون أكـثر مـن مـرة كفـيلم روائي طويـل رمـوز «الأمومـة، الشـجاعة، الصداقة» وغيرها وتعلم معاني «الشر، والخير، والحب» مثلاً في فيلم «الأميرة النائمـة» الـذي يرمـز فيـه ديزني إلى الأمير كقوة للخير، والتنين المخيف كقوة للشر، أمـا الأمـيرة فهـي رمـز الحـب وهكـذا... ولأن الطفل فضولي فهو لا يكتفي بمجرد معرفة الحقائق أو المصطلحات الإنسانية، بـل يريـد أيضـاً أن يجـد تفسيرات عديدة لكل الظواهر العلمية والطبيعية التي يقرأ عنها في الكتب أو يشاهدها في كـل مكـان وهو ما انفك يسأل نفسه مثلاً (لماذا يحدث هذا)؟ أو ما الفرق بين حياتنا في المدينة والغابـة؟ أو لمـاذا تجف الصحارى من المياه؟.. ولماذا تكثر المياه في أماكن أخرى الخ... من مئات الأسئلة التي تنهـال عـلى ذهنه يوماً بعد آخر... وهنا يـأتي دور الفنـان المبـدع في تبسـيط هـذه المعلومـات العلميـة والطبيعيـة وتقديمها للطفل... وأود بهذه المناسبة أن أستشهد بأحـد الأفـلام العلميـة التـي أنتجتهـا شركـة «والـت ديـزني» في منتصـف الخمسـينيات، وهـو فـيلم (الصـحراء الحيـة) الـذي عـده النقـاد واختصاصـيو علـوم الأطفـال في العـالم واحـداً مـن أروع الأفـلام العلميـة التـي كرسـت لتثقيـف الأطفـال،

و«الصحراء الحية» يتحدث بالصورة الملونة والتعليق الذكي عن ماهية الصحراء، نشأتها، نوع النباتات التي تنمو فيها... الحيوانات التي تعيش فيها.. وأشياء عديدة عنها... صورت الفيلم بعثة فنية متخصصة عاشت في الصحراء الأميركية بكامل معداتها وكادرها الفني شهوراً طويلة... استطاعت عبرها أن تصور على الطبيعة كل ما له علاقة بالصحراء. حشراتها... حيواناتها.. نباتاتها... تأثير الفصول الأربعة فيها الخ... واستخدم التعليق الضاحك الخفيف في سرد (حياة) الصحراء، حتى إن المشاهد الصغير استوعب بسهولة كل ما رآه وسمعه في الفيلم لدرجة أنه كون علاقة (حب) بينه وبين بعض الحيوانات والزواحف الصحراوية التي شاهدها... لماذا؟ لأن مخرج الفيلم وكاتب السيناريو قدماها وكأنها شخصيات إنسانية لها كل ما للإنسان من مشاعر وأحاسيس وعقل ومنطق. مثلاً منظر مطاردة الأفعى للجرذ الصحراوي إنه منظر بشع في حقيقته لكنه صوِّر وأخرج وكأنه مطاردة في فيلم كوميدي... وكان المعلق يقدم شرحاً علمياً عن كلا الحيوانين... ويرفقه ببعض التعليقات المثيرة وكأنه ينقل مباراة بكرة القدم، وتصاحبه موسيقى خفيفة راقصة)[1]..

وقد استطاع هذا الفيلم أن يستقطب الأطفال، وينال اهتمامهم... حتى عد من الأفلام المهمة والمؤثرة في مجال سينما الأطفال.. والتي جعلت والت ديزني يتقدم أكثر وأكثر في تطوير تقنيات سينما الأطفال، ويفتح لها الآفاق الواسعة، ويبدع الطرائق الفنية الناجحة في هذا المجال..

ووالت ديزني ولد في شيكاغو عام 1901، وكان (أصغر إخوته الخمسة، لأب فقير من أصل ألماني، امتهن عدة مهن مختلفة فكان بائع صحف، وبائعاً متجولاً في محطة سكة حديد، وسائقاً لسيارة إسعاف أثناء الحرب العالمية الأولى، التحق بعد الحرب بأكاديمية الفنون الجميلة في شيكاغو ليدرس فنون التصوير والكاريكاتير... وأقام ديزني مخزناً في هوليوود أثناء العشرينيات، وأمضى عدة سنوات في تجارب مختلفة، ثم أنتج سلسلة من أفلام الكارتون القصيرة باسم (أليس

1- لواء عبد الأمير المحاويلي، سينما الأطفال متى تبدأ.

في بلاد الكارتون) في عام 1921 بالاشتراك مع الفنان (أيب ايوركز) وفيها صوحبت الأشياء الحقيقية بالتحريك... ثم بدأ حلقات (الأرنب اوزوالد - 1926) و، لكن صلة ديزني العميقة بالجمهور توثقت بعد ابتداع شخصية الفأر (ميكي ماوس)، التي ولدت في حدود عام 1928 في فيلمي (الطائرة كريزي) و (الباخرة ويلي) وكلاهما مصنوع عام 1928 ثم انبثقت الشخصيات الكارتونية الشهيرة من استوديوهات ديزني التي صارت تتسع وتتطور ويزداد إنتاجها، ودخل الصوت إلى أفلامه ثم الألوان الطبيعية.. ومن هذه الشخصيات: دونالد دك.. وديزي.. وميني.. وبلوتو.. وبندق.. وسكر دج (العم دهب) وغيرها)[1]. وقد نجح ديزني نجاحاً كبيراً باستخدام الشخصيات الحقيقية مع الشخصيات الكارتونية في صناعة الكثير من الأفلام الموجهة للأطفال.. وفي عام 1955 افتتح ديزني مدينته الشهيرة (ديزني لاند) قرب كاليفورنيا، والتي صارت واحدة من المعالم السياحية الشهيرة في أمريكا، بما تحتوي من طرائق ومن معالم أفلام ديزني وشخصياته وأبطال الحكايات الكارتونية، وفي عام 1966 توفي والت ديزني عن خمسة وستين عاماً...

1- رضا الطيار، السينما والصغار.

سينما الأطفال

في العراق

هنا في العراق جرت محاولات عديدة لبعض الرسامين والفنانين لإنتاج أفلام الرسوم المتحركة منتصف السبعينيات وتكررت المحاولات أكثر من مرة في الثمانينيات.. وعرض التلفزيون بعض هذه المحاولات البسيطة.. إلا أنها لم تنجح في مسعاها لمحدودية الإمكانات..

وعودة إلى الماضي حيث كانت هناك شعبة خاصة بالدمى والرسوم المتحركة تابعة لقسم برامج الأطفال في تلفزيون العراق بدأت منذ منتصف السبعينيات يقول عنها مديرها الفنان عامر مزهر: (كانت هناك تجارب سبقت تشكيل الشعبة، ومن هذه التجارب فيلم الصديقان مدته ثمان دقائق... كذلك تم إنتاج تجارب صغيرة في أفلام الرسوم المتحركة.. ومن هذه التجارب تكونت شعبتنا... في البداية اعتمدنا في عملنا على طلاب معهد الفنون الجميلة - قسم الرسم والنحت، ولكن لسوء الحظ بعد تخرج الطلبة يعملون في التعليم، مما يضطرهم إلى الخروج من الشعبة وهذا يعوق عمل الشعبة ويضطرها إلى البحث عن رسامين يعملون في الرسوم المتحركة... وقد استفدنا من رسامي مجلتي والمزمار في عمل أفلام الكارتون... وأنتجت الشعبة عشرة أفلام دمى وفيلمَي رسوم متحركة... وتعاني الشعبة من مشكلة رئيسة.. ألا وهي عدم وجود جهاز لتصوير الأفلام المتحركة... ومع هذا لدينا جهاز جديد سيقوم بإنتاج وتصوير الأفلام المتحركة... وأثناء المرحلة القادمة ستنتج الشعبة أربعة أفلام للدمى فضلاً عن عشرة أفلام للرسوم المتحركة... وتعد تجربتنا في هذا المجال أكبر تجربة في الوطن العربي... بعد مصر التي سبقتنا في التلفزيون... ونعاني من ازدواجية العمل. فشعبتنا تقوم بخط ورسم اللوحات لبرامج الأطفال فضلاً عن عملنا في قسم برامج الأطفال.. وهذا يعوق عملنا... فنحن نطمح

إلى أن تكون الشعبة قسم خاص ينفصل عن قسم برامج الأطفال في التلفزيون، وقريباً تعقد الشعبة دورة خاصة بالرسوم المتحركة للمختصين لمدة شهرين)[1].

لقد انتهى عمل هذه الشعبة وتوقفت ولم يعد لها وجود في التلفزيون.. وعن دور المؤسسة العامة للسينما والمسرح آنذاك في مجال إحياء سينما الأطفال في العراق بوصفها المؤسسة المعنية بهذا المجال، حيث قال مدير الإنتاج السينمائي في المؤسسة آنذاك الفنان طلال القيسي: (في عام 1969 كانت هناك فكرة لتأسيس قسم خاص بأفلام الأطفال وفعلاً بدأنا بتنفيذ هذه الفكرة بتصوير ثلاثة أفلام وهي (الأرنب الذكي.. الحياة الجديدة... والقطة بوسي) وكانت هذه الأفلام بداية مرحلة تجريبية... وبعد مدةٍ من العمل توقفت الفكرة عن التنفيذ بسبب قلة الكادر المختص بسينما الأطفال، ونحاول الآن أن نعيد إحياء فكرة عام 1969 والقيام بإعداد أفلام خاصة للطفل.. وسوف يتم عما قريب إيفاد عدد من العاملين في المؤسسة للتدريب على أفلام الأطفال بغية تخصصهم وتوسيع خبراتهم لبناء قاعدة أساسية لسينما الأطفال في القطر. وفي الوقت نفسه لدينا مشاريع إنتاج أفلام خاصة للأطفال في عام الطفل الدولي)[2]. هذا الكلام كان في العام 1979، لقد مر عليه أكثر من 17 سنة ولم نر أي بادرة منه.. بل انتهى العمل بكل ما له علاقة بسينما الأطفال... ما عدا بعض المبادرات الفردية التي تدعمها المؤسسة..

إن ما يؤشر الانتماء إلى سينما الأطفال في العراق، وجود قاعة لسينما الأطفال هي قاعة الفانوس السحري في بغداد، المنصور، والتي عرضت العديد من أفلام الأطفال، إلا أنها توقفت مدة طويلة.. وأعيد العمل بها بطريقة أخرى... حيث استخدمت لتقديم الفعاليات الفنية، وعروض أخرى ليس لها علاقة بسينما الأطفال... وقد جرت محاولات لإشغال هذه القاعة بمهمات غير مهماتها الأساسية... لولا تدخل الجهات المختصة بعد الأخذ بالحسبان ما كتب عنها في الصحف من قبل صاحب هذه السطور... وبعض المختصين..

1- فاضل عباس الكعبي، الأطفال والسينما والبرامج الإذاعية والتلفزيونية.

2- المصدر السابق.

كما كانت هناك قاعة أخرى لسينما الأطفال في بغداد افتتحت في السبعينيات في (شارع أبي نواس) كانت تابعة لأمانة العاصمة، ثم أغلقت بداية الثمانينيات بعد إهمالها وعدم إشغالها بمهماتها الأساسية.

وما بقي هو البرنامج التلفزيوني الأسبوعي (سينما الصغار) الذي تعده وتقدمه منذ منتصف السبعينيات السيدة نسرين جورج... هذا البرنامج الذي استطاع بطريقته وأسلوبه أن يحافظ على تقاليده في عرض الأفلام المختارة، واستقطاب الأطفال إلى مشاهدته وحرص الأطفال على متابعته دائماً... لما يعرض من أفلام جيدة ومختارة وفق الخطط التربوية السليمة.. وقد استطاعت السيدة نسرين جورج في هذا البرنامج الناجح أن تخلق جو الألفة والتواصل بين البرنامج والأطفال بواسطة استضافة مجموعة من الأطفال في كل حلقة ومن أعمار مختلفة، ومحاورتهم حول الفيلم، والإجابة عن أسئلتهم. والاطلاع على آرائهم وما أثارهم من أشياء حول الفيلم المعروض لهم. ومعرفة مدى الاستفادة والتأثير وما شكله الفيلم المعروض للأطفال المشاهدين.. إلا أن هذا البرنامج الذي بقي الشاهد الوحيد لوجود سينما الأطفال في العراق لم يقم بأي دراسة أو بحوث لتقويم عملية المشاهدة وأثرها في الطفل، ومدى التجاوب بين الأطفال وما يشاهدونه من أفلام.. للارتقاء بمستوى البرنامج وترسيخ فاعليته بشكل أوسع..

ومع ذلك يعد هذا البرنامج - أي برنامج سينما الصغار - من القنوات المهمة والفاعلة التي تحاول أن تسد بعض الفراغ الحاصل لدينا في مجال سينما الأطفال...

ومع كل ذلك فلم تزل المحاولات قائمة من بعض الفنانين في مجال إيجاد نوع من الأفلام البسيطة التي تنتمي إلى سينما الأطفال... وبالتالي إحياء سينما الأطفال في العراق... فقد عملت الفنانة رضية التميمي على إنتاج بعض الأفلام الدرامية للأطفال مثل (الكلب الطيب... التاجر الكسلان.. شيبوب المغامر.. الغابة العجيبة.. والأغاني التعليمية) وقد تميزت هذه الأعمال التي أنتجت في بداية التسعينيات بمشاركة الممثلين الشباب مع الدمى المتحركة.. ومع وجود بعض الملاحظات حول إنتاج هذه الأفلام، إلا أنها مع بساطتها تعد نواة لإنتاج أفلام جيدة للأطفال، تسهم بتأسيس تقاليد واضحة لسينما الأطفال في العراق.. ويمكن دعم جهود الفنانة

الدؤوبة رضية التميمي وتوفير المستلزمات والإمكانات الجيدة لإنجاح مساعيها وتطويرها لخدمة سينما الأطفال في العراق..

وفي هذا المجال لا يفوتنا ذكر تجربة التلفزيون التربوي، مع محدوديتها إلا أنها قدمت عام 1979 إسهامات في سينما الأطفال مثل أفلام الدمى (نور) و (الأميرة نور) من قصص القاص حسن موسى وإخراج القاص سامي المطيري... كذلك فيلم (أرض السلام) من قصة حسن موسى أيضاً وإخراج أزهر جواد. إلا أن هذا الفيلم لم يكمل العمل به بسبب الحرب...

دور الأسرة والمدرسة

في مجال سينما الأطفال

للأسرة والمدرسة دور كبير في إنجاح المهمـة التربويـة والثقافيـة والاجتماعيـة لسـينما الأطفـال، وترسيخ مهماتها ودورها ورسالتها الإنسانية في حياة الطفل..

ومهمة الأسرة في هذا المجال تكمن في تشجيع الطفل على متابعة الفيلم الجيـد... الموجـه لـه سواء عبر شاشة التلفزيون، أو بواسطة قاعات العرض السينمائي، ومساعدته في حـل إشـكالات العـرض السـينمائي، ومسـاعدته في حـل إشـكالات الفـيلم إن وجـدت، والإجابـة عـن تسـاؤلاته التـي تثيرهـا المشاهدة الأولى، أو الثانية للفيلم.. وكـذلك مرافقتـه للـذهاب إلى قاعـات العـرض المخصصـة لسـينما الأطفال وعدم السماح له بارتياد سينما الكبار... ففي سن السادسـة مـن العمـر (يسر بعـض الأطفـال بالأفلام التي تعرض في البيت، أما إذا أخذوا إلى دار للسينما فإنهم لا يشعرون بالارتياح وقـد يغلقـون عيونهم ويرفضون المشاهدة... بل إنهم قد يبكون... وفي السابعة فإن عدداً من الأطفـال يـذهبون إلى دار السينما مرة في الأسبوع ويرافقهم في المعتـاد أحـد الراشـدين... ويفضـل معظـم الأطفـال في هـذا السن الأفلام الموسيقية وأفلام الرقص والغناء وأفلام الحيوانات والأفلام الكاريكاتوريـة.. أمـا في الثامنـة وهي سن التوسع والتكيف مع العـالم الخـارجي بجميـع الطرائـق بمـا في ذلـك الأمـور البصريـة، فـإن الاهتمام بالسينما ينمو... ويحب الصبيان في هذا العمر أفلام الحركة والحرب والهنود الحمـر في حـين تفضل البنات الأفـلام الموسـيقية، ويحـب الطرفـان أفـلام الحيوانـات والمغـامرات وقصـص الأطفـال... وهم جميعاً يكرهون الأفـلام الغراميـة.. وفي هـذا العمـر يعـرف الكثـير مـن الأطفـال أي فـيلم أو أي جـزء مـن الفـيلم لا يناسـبهم، وكثـيراً مـا يحمـون أنفسـهم بـإغلاق أعيـنهم أو إخفـاء رؤوسـهم إلى

أن ينقضي الجزء (السيئ) من الفيلم.. أما في سن التاسعة فإن الحماس للسينما يـزداد ويتنـوع.. ويبقـى ذوق الطفل بالنسـبة للأفـلام كذوقـه في الثامنـة.. أمـا في العـاشرة فتزيـد قـدرة الطفـل عـلى الاختيـار والتفريق بين الأفلام)[1]..

فبعد تطور التقنيات ودخول (الفيديو) إلى كل بيت بإمكان الأسرة أن توفر العديد من أشرطـة الفيديو التي تحمل الأفلام التعليمية والروائية وأفلام الكارتون المحببة لدى الطفـل.. وتخصـص لطفلهـا وقتاً محدداً عند الانتهاء من دروسه، لمشاهدة هذه الأفلام للتمتع بها والاستفادة منها..

أما دور المدرسة في هذا المجـال فـيكمن في تـوفير عارضـة لأشرطـة السـينما، وتخصـيص بعـض الوقت، وعدّه ضمن الحصة التعليمية لاستثماره في عرض الأفلام التعليمية التي تساعد الطفل الطالـب على استيعاب الدروس ودعمها.. وعد هذه الأفلام وسائل ثقافية، مساعدة في دعـم الـدروس المدرسـية من جانب، ووسائل ترفيهية وترويحية للأطفال الطلاب، وبذلك نضمن نجاح مسعانا ومهمتنا في تطوير وإرساء تقاليد سينما الأطفال في حياتنا.

1- د. فرانسيس ل. ايلغ، د. لويزب. ايمز - سلوك الطفل.

مقترحات وتوصيات

لغرض إحياء سينما الأطفال وتوسيع نشاطها وفاعليتها في قطرنا، والسعي لإيجاد قاعدة عربية مشتركة لبناء سينما عربية متطورة للأطفال، وجدت من المناسب أن أثبت هذه المقترحات وصولاً إلى الهدف الذي نبتغي الوصول له...

وما نريد قوله هو:

1- ضرورة إيجاد مؤسسة متكاملة تعنى بسينما الأطفال في القطر.. أو على أقل تقدير شعبة موسعة ضمن دائرة السينما تختص بإنتاج أفلام الأطفال.. ويلحق بها قسم للدراسات والبحوث... ويسعى أيضاً إلى تهيئة الكوادر المختصة والفاعلة في تنشيط سينما الأطفال... بواسطة فتح الدورات الفنية.

2- ضرورة تأسيس مركز عربي من الخبرات المختصة في مجال سينما الأطفال، والسعي إلى توحيد هذه الجهود لإنتاج الأفلام العربية الموجهة للأطفال، وتبادل الخبرات في هذا المجال.

3- من المفيد أن تكون هناك قاعات عرض خاصة بسينما الأطفال في كل مدينة.. توضع بعد تخطيط متخصص في مجال مباني الأطفال.. ويتم عبر دور العرض وضع برنامج واضح للعروض السينمائية التي يرتادها الأطفال في أوقات محددة لا تتعارض مع أوقات الدراسة.

4- ولغرض تلافي تشويه أذواق وأفكار الأطفال لا بد من منع الأطفال إلى دخول سينما الكبار، ولا سيما الأفلام التي لا تحمل قيماً تربوية ولا تشكل للأطفال سوى المشكلات والخوف والسلوك الذي يتعارض والخطط التربوية السليمة ولا سيما أفلام الجريمة وأفلام الرعب وما شابه ذلك..

5- من المفيد تعزيز أفلام الأطفال في التلفزيون ودعم برنامج «سينما الصغار» الذي يعرضه تلفزيون العراق وتعده وتقدمه السيدة نسرين جورج.. ورفد هذا البرنامج

المهم بالأفلام الجيدة.. وتهيئة كل المستلزمات والخبرات والوسائل التي تكفل استمرار هذا البرنامج ونجاحه والذي يمثل وجهاً واضحاً من وجوه سينما الأطفال.. وعلامة بارزة هدفها دعم سينما الأطفال وإيصال هدفها ومفهومها إلى الأطفال..

6- على الآباء مراقبة أطفالهم أمام شاشة التلفزيون وعدم السماح لهم بشكل غير مباشر ودون أن يثير ذلك فضولهم ورغبتهم في معرفة أسباب المنع.. عدم السماح لهم بمشاهدة الأفلام التي يعرضها التلفزيون للكبار والتي تكون عادة طافحة بالعنف والجريمة والقتل والصراخ... إذ إن الأفلام تشكل جوانب سلبية عديدة على نفسية الطفل.. ونتائج سيئة قد تكون عنده عقدة لا ينجو منها..

7- ضرورة أن تكون هناك متابعة إعلامية وكتابات نقدية حول أفلام الأطفال، وحركة صناعة هذه الأفلام وتطور مسيرة سينما الأطفال في العالم.. للوقوف على آخر التطورات في هذا المجال.. ولعل هذا الاهتمام يدفع باتجاه كسب الخبرات والطاقات الجديدة لسينما الأطفال...

8- من المفيد أن تكون هناك دراسات علمية متخصصة أو محاضرات حول سينما الأطفال في معاهد وكليات ومدارس الفنون الجميلة، تشجع الطلبة الشباب للاندفاع والعمل في مجال سينما الأطفال..

9- من الضروري أن تكون هناك مهرجانات محلية وعربية وعالمية حول سينما الأطفال تقام سنوياً في أحد الأقطار العربية وتدعو لها جميع الدول للاشتراك بما لديها من أفلام للأطفال... وتخصص جوائز لأفضل هذه الأفلام..

10- من المفيد جداً عقد الندوات والحلقات الدراسية والنقاشية والمؤتمرات الخاصة بسينما الأطفال، من قبل الجهات المختصة.. ويتم نشر بحوث ودراسات ومناقشات هذه الأنشطة لتعميم الفائدة.. وإغناء سينما الأطفال بكل ما يوسع نشاطها وفاعليتها في الحياة الثقافية...

الخلاصة

وخلاصة لما تقدم، نصل إلى نتيجة أساسية، تشير بشكل علمي أكيد، إلى أهمية سينما الأطفال في حياة الطفل، وضرورتها الأكيدة في تنمية مداركه ومخيلته.. باعتبارها وسيلة أساسية من وسائل التثقيف والتربية والإمتاع، ووسيلة جذب مباشرة يمكنها أن تتفاعل مع الطفل، وتؤثر فيه بشكل مباشر، دون وسيط، إذا ما أخذت بالحسبان عالم الطفل وخصوصية الخطاب التربوي الموجه لكل مرحلة عمرية من مراحل الطفولة المحددة..

ومن هذا المنطلق، نستطيع أن نخلق وعياً جماهيرياً واسعاً بأهمية سينما الأطفال، ودورها الواضح في نمو الطفل وإعداده، ويأتي ذلك بالدرجة الأساس، بواسطة استيعابنا لماهية سينما الأطفال، وضرورتها، ومسؤوليتها في إعداد الطفل وبناء شخصيته.. والنظر إلى سينما الأطفال نظرة إيجابية تعدها وسيلة ثقافية ملحة لا وسيلة للترفيه فحسب، واعتبار أهميتها للأطفال لا تقل أهمية عن المدرسة والقنوات التربوية والثقافية الأخرى..

ويجب أن يصل بنا الوعي بأهمية سينما الأطفال، إلى السعي المخلص، إلى تأسيس قاعدة أساسية لسينما الأطفال، وإيجاد تقاليد واضحة تجذب الطفل إلى سينما ألأطفال، وتعزز علاقته بها..

بعد ذلك لا بد من تواصل العمل الدؤوب على جميع المستويات، بين الأسرة والمدرسة، وبين المؤسسة المختصة والمؤسسات التربوية والثقافية الأخرى.. وبين سينما الأطفال والمختصين والمعنيين بهذا الاتجاه.. من أجل إيجاد آلية ناضجة لإشاعة الوعي السينمائي في عالم الطفل، عبر توفير قاعات العرض الدائمة، وتقديم العروض السينمائية في المدارس ونوادي الأطفال، وعبر شاشة التلفزيون وإصدار المطبوعات التي تهتم بسينما الأطفال بشكل خاص، وتشكل جانباً مهماً في ثقافة الأطفال..

كل ذلك من شأنه أن يخلق من سينما الأطفال، مدرسة أخرى تعمل جاهدة على تطوير فكر الطفل وتنمية مداركه، ومده بكل ما هو مشرق وأساسي في بناء شخصيته ومستقبله، وتخلق منه إنساناً موهوباً، وذكياً يستحق بجدارة أن يكون رجل المستقبل...

والمهم في هذا الأمر، ألا نجعل بعض التصورات الضعيفة والآراء الخاطئة تتسلل إلى أفكارنا لتشل من حماسنا تجاه سينما الأطفال، وأساسياتها، وأبرز تلك التصورات، التصور الضيق الذي يعد سينما الأطفال وسيلة ترفيه وترف ليس من الضروري الاهتمام بها بالقدر الذي نهتم به بالوسائل الثقافية والتربوية الأخرى..

إن هذا التصور الخاطئ، من شأنه أن يحدث في وعي الطفل فراغاً كبيراً، لا يتيح له بناء تصوراته وتنمية خيالاته الواسعة، ويبعده عن الواقع الموضوعي الذي يعيشه بكل تفاصيله. ومن هنا نشدد دائماً على أهمية سينما الأطفال، وضرورة أن نتعامل معها على أساس هذه الأهمية.. لا أن نعدها شيئاً هامشياً في حياة الطفل...

الفصل الخامس

مدخل إلى أغنية الأطفال

- 114 -

أثر الموسيقى وبنية الأصوات

في الخطاب التربوي

إن تعميق لغة الخطاب التربوي لدى المتلقي (الطفل) - كما ذكرنا سابقاً - يعتمد أساساً على أهمية الأسلوب التوجيهي في لغة الخطاب، وطريقة تقديمه عبر وسائله التعبيرية في الأجناس الأدبية والفنية - سواء أكانت مجتمعة في أداء المهمة المشتركة عبر الاندماجية «الفن-أدبية» أم منفردة باستقلالية كل جنس أدبي أم فني في لغة الخطاب والتوجيه.. والتربية...

وتكمن قدرة هذا الأسلوب في التأثير والتفاعل الموضوعي مع العناصر الأخرى في بناء شخصية الطفل وإنضاجها في استجابات الطفل وانفعالاته مع مؤثرات هذا التأثير والتفاعل...

ويتضح ذلك عبر عدة مؤشرات تبرز في عوالم الشخصية.. أبرزها السلوك، كونه مرآة تعكس مؤثرات التفاعل الداخلي - سلبياً أم إيجابياً - مع الموجهات المعرفية، القصدية الخارجية التي تستهدف في مهمتها العسيرة، تنظيم عملية الإرسال والتلقي في منطقة واحدة، عبر المجسات الحسية والشعورية وصولاً إلى تنامي النشاط الفكري والعقلي والحركي للطفل، بغية تحقيق الهدف المطلوب... ألا وهو تنظيم السلوك وتطويره في بناء شخصية الطفل المؤثرة في محيطه.. وبالتالي إنضاج قابليات هذا الطفل وتطوير مهاراته واستعداده لتقبل لغة الخطاب المعرفي.. وتسلم مرسلاته من المؤثرات البيئية العفوية... ليصبح ذا عمق معرفي ووعي متقدم، ومؤثر في محيطه المتشابك.. معطياً صورة ناصعة، ونتائج إيجابية لما سلطه عليه من إشعاعات فكرية وتربوية... استهدفت سلوكه... وتصرفاته بعد التفاعل الإيجابي مع لغة الخطاب المعرفي والتربوي الموجه له في دفعات منهجية مدروسة.. منطلقة من

الحاجات الأساسية لتنشئته.. مدى الاستيعاب والتعامل ومعرفة كل مرحلة من مراحل نموه الفكري والعقلي..

ويعد الصوت الطريق السليم للوصول إلى معرفة دواخل الطفل والتعامل مع حاجياته.. إذ يعد الصوت والحركة في عالم الطفل مؤشر نموه ونضجه ولهوه.. إذ إننا (كثيراً ما نتعامل مع التعبير والمتعة لكل من الحركة والصوت، فالملاحظات أو الانتقادات المبكرة استجابات الأطفال المتعلقة بها تشير إلى الصفة الطبيعية العالية لسلوك الأطفال الصغار وضرورة تعلمهم مرة بعد أخرى، حتى نصل إلى الحقيقة التي يجب أن يروا بها أنفسهم ويتحسسوا ذلك، ويجب أن يكتشفوا ويتذوقوا لأجل أن يتبلوروا ويتعمقوا في الفهم)[1].

وعبر الصوت الذي ننطلق منه في موجهات الخطاب المعرفي، وبواسطته نعي شخصية الطفل ومستوى وعيه، نستطيع أن نقيم معارفنا ومعارف الطفل في نسق هذا الصوت وحركته المنبعثة من الطفل ذاته.. لذلك عندما يتفاعل الطفل مع الأجناس الأدبية والفنية في لغة الخطاب التربوي وعبر التجانس المعرفي لتكوين معارفه... إنما يتفاعل مع مصادر هذه اللغة عبر مؤثرات صوتها وحركتها.. فالقصيدة التي لا تحدد قوة صوتها في الإيقاع المنغم الذي يجذب الطفل لا يجد فيها المتعة والحركة وبالتالي الوصول إلى القيم المعرفية.. كذلك القصة التي تتشكل لديه من مجموعة أصوات وحركات وأحداث تتفاعل مع إيقاعه النفسي.. والمسرح هو الآخر دون الموسيقى والغناء والإيقاع والحركة، لا يجد فيه الطفل متعته ومعارفه... كذلك الأجناس الأخرى...

إذاً.. فالصوت بالنسبة للطفل هو الجانب المهم لمعرفته في تكوين الطفل، وتكوين المعارف والأساليب التربوية التي تعمق هذا الصوت في هذه الأساليب...

وقبل تعمق هذا الجانب - أي جانب الصوت - في معارف الطفل ومن موجهات خطابنا التربوي له.. لا بد من الإحاطة الكاملة بكل حاجيات الطفل، والمعرفة الدقيقة... والدراسة العميقة لكل مرحلة من مراحل الطفولة.. وقياس التأثيرات

1- مدحت عبد الرزاق، سايكولوجية الطفل في مرحلة الروضة.

الصوتية فيها.. وإعداد المعارف المنسجمة معها للوصول إلى تهيئة اللغة المناسبة والوسيلة الناجحة لغاية الخطاب التربوي والمعرفي الناضج، لفتح المداخل التربوية أمام وعي الطفل وتنميته..

وإذا أردنا أن نعرف مدى أهمية الصوت والحركة في عالم الطفل.. فيجب أن ندخل إلى فهم الموسيقى والغناء وأثرهما في الطفل.. بصفتهما من أهم منظمات الصوت والحركة في شخصية الطفل.. (وعلى هذا الأساس أوصى أفلاطون، بل أصر على أن تكون الموسيقى جزءاً أساسياً ضرورياً من التعليم منذ الطفولة الباكرة. لماذا؟ لأن دوام الاستماع إلى الموسيقى من شأنه أن يترك في نفس المستمع خصائص الموسيقى، التي من أهمها، ذلك التناسب المحكم بين الأصوات الذي لولاه لتحولت أنغامنا إلى خليط صوتي تنفر منه الآذان.. فعلينا تنشئة الأطفال على حب الموسيقى والفن، لأن ذلك سيعلمهم الحياة السعيدة، وحب النظام. ويبعث فيهم الطمأنينة والتفاؤل)[1].

ومن هنا فالموسيقى والغناء شكل من أشكال التربية.. وبهما يتم تنظيم مرسلات الصوت وتجنيبه الفوضوية واللامعنى... فالموسيقى التي عدها الكثير من الباحثين وعلماء تربية الطفل جانباً مهماً في شخصية الطفل.. وموجهاً ناجحاً ضمن موجهات تربية الطفل. (لهذا ظهرت دراسات في التربية الموسيقية إلى جانب مبادرات مهمة اختصت بمهمة تقريب الطفل من الموسيقى ووضع منهج عام يعنى بهذه المهمة بدءاً من مرحلة الروضة وصعوداً إلى مراحل الدراسة المعروفة.. لهذا اعتمد بعض الباحثين مثل كوادي على الصوت البشري في انتشار الموسيقى «الغناء الرفيع» أكثر من اعتمادهم على الآلة الموسيقية التي يعجز بعضهم عن اقتنائها. ومثل هذه الطريقة من شأنها إيصال الألحان المقررة إلى أبعد القطاعات الشعبية دون أن يكلف ذلك غير الاهتمام والرعاية المطلوبين عبر مرحلتي الروضة والابتدائية.. وإذا صادف أن ظهرت معوقات أثناء نشر الأصول التربوية. كأن تتخلف مجموعة من الأطفال عن مجموعة أخرى، فإن الفرز بين المجموعتين يكون ضرورياً لتلافي

1- موسى زناد سهيل، افكار في تربية الطفل.

النتائج السلبية، ذلك أن القدرات تتباين، فلا بد أن نخضع هذا التباين إلى تباين مماثل في طرائق التربية وسلوكيتها التي ستحقق بدورها نتائج أفضل تتوازى والقدرات المتباينة، لا سيما القدرات الأدنى التي يكون استيعاب أصحابها للمواد الموسيقية أدنى مستوى من استيعاب غيرهم، غير أن الاستمرار في رعاية هذه القدرات يكفل تقدماً «بطيئاً» أكيداً لها)[1]. فنجاح الطفل في التربية الموسيقية يتضح عبر طرائق التربية وأساليبها التي تتجسد في اعتماد المربي على أفضل الطرائق وأنجحها في الوصول إلى أعماق الطفل. وترسيخ الجانب الموسيقي في روحيته..

لذلك فقد أوصى العلماء في هذا الجانب بأهمية اختيار المربي المتمكن، والمتخصص الذي يمتلك الخبرة الموسيقية، وخبرة التربية وتعليم الأطفال، مع امتلاك القدرة الكبيرة على محاكاة الطفل والتعامل معه بالطريقة التي تجعل الطفل يتفاعل مع الموسيقى ودروس التربية الموسيقية، بحيث تصبح هذه الموسيقى أحد الجوانب المهمة في حياته..

وقبل المدرسة كانت هناك في العراق طرائق وأماكن للتعليم والتربية الموسيقية تسمى «الكتاتيب» التي يقوم بمهمة التدريس فيها «المُلاّ» الذي يرادف المعلم في وقتنا الحاضر.. وفي الكتاتيب (كان عالم الأصوات المنغمة المملوءة بالصور والأحاسيس وسيلة مهمة في تثبيت المعلومات في أذهان الأطفال.. وكان المُلاّ أو الخَلْفَة، الإنسان الوحيد الذي يسير الأطفال إلى هذا العالم الذي تتجسد فيه الحروف والكلمات بالنغم والإيقاع، أي الربط بين الصوت المكتوب والصوت المسموع لتسهم في تكوين شخصية الطفل تكويناً متعدد الجوانب وتنميته نمواً متكاملاً ومتناسقاً. وعليه فإن التربية الموسيقية التي يكتسبها الطفل أثناء وجوده في الكتاب تعد من الوظائف الأساسية للمدرسة الشعبية هذه على الرغم من عدم وضوح هذه الرؤية وأثرها الفاعل في الأطفال، وذلك بالنسبة إلى المُلاّ ذاته.. وكذلك بالنسبة للمجتمع بشكل عام.. وفي الكتاتيب، كانت موضوعات الدراسة تقرر من

1- أسعد محمد علي، الموسيقى والطفل.

قبل الملالي أنفسهم وعلى أساس من منطقهم وفهمهم وتقديرهم للحياة التي يقدمونها إلى الأطفال.. ونتيجة لاختلاف ثقافاتهم صار لكل مُلاً أسلوب معين في التعليم.. وهذا الأسلوب يكتسبه منه «الخلفة»[1] وكذلك التلاميذ)[2].

وقد ظل أسلوب التعليم في «الكتاتيب» زمناً طويلاً حتى نشوء المدارس بشكلها الحالي...

وبما (إن الكتاتيب وجدت بالدرجة الأساس لتعليم الأطفال القرآن الكريم، وإنها كانت الوسيلة الشعبية الوحيدة للتعليم)[3]. فقد كانت الأساس لمفهوم التربية الموسيقية والتي اعتمدت موروثاً لتأسيس الأنماط الجديدة في التربية الموسيقية لذلك سعى الباحث والفنان الأستاذ حسين قدوري إلى اعتمادها في بحوثه وتنظيم أسسها وطرائقها في التربية الموسيقية وجعلها طريقة واضحة بعد جمع شتاتها والتنظير لها في كتابه المهم (التعليم في الكتاتيب العراقية) الذي يقول عنه: (يساورني طموح كبير أن أترجم وجهة نظري الخاصة بتوظيف (النغم والإيقاع) كأساس للتربية، حيث يكون عالم الأصوات المنغمة المملوءة بالصور والأحاسيس والحركات وسيلة مهمة في التعليم، أي الربط بين الصوت المكتوب والصوت النغمي المسموع، أن أترجمها في صيغ قابلة للتطبيق بطريق مباشر في مجال التربويات العملية في ضوء احتياجاتنا وظروفنا الحاضرة معتمدين في ذلك على طبيعة النظام التربوي الموروث وعلاقته بحياة الأطفال حتى نؤشر الأساس الإيديولوجي للتحولات الحالية واتجاهات مساراتها وأثرها في مستقبل أطفالنا، ولكي نحقق الترابط ما بين الماضي والحاضر والمستقبل في هذه العملية التربوية)[4].

وقبل كل شيء، لا بد من العودة إلى التاريخ القديم لمعرفة أصل الموسيقى، وتعلم الإنسان الموسيقى وكيفية الاستخدام والأداء.. حيث أثبت العلماء أن الإنسان قد غَنى قبل أن يعرف لغة الكلام (ومن هنا يكون مؤكداً أن حنجرة الإنسان هي

1- الخلفة - بفتح الخاء وسكون اللام وفتح الفاء - هو نائب الملا أو الشخص الذي يخلف الملا في التعليم.
2- حسين قدوري، التعليم في الكتاتيب العراقية.
3- المصدر السابق.
4- المصدر السابق.

أول آلة موسيقية عرفها الإنسان للأداء الصوتي، وللغناء، وهناك اليوم أقوام لا تغني بمرافقة أي لغة موسيقية بل إنها تكتفي بالتصفيق باليدين أو ضرب الرجل على الأرض، أو باليدين على الفخذين، وذلك من أجل توحيد الإيقاع.. وعليه يمكن القول، إن اليد هي الآلة الإيقاعية الأولى التي عرفها الإنسان، ونتيجة للتطور الحضاري الذي مر به الإنسان عبر تاريخه الطويل، فقد اخترع العديد من الآلات الموسيقية الإيقاعية كالطبول والدفوف والصنوج وغيرها.. ثم تم اختراع الآلات الموسيقية الهوائية بعد ذلك، وفي ذات الوقت فقد اخترع الإنسان الآلات الموسيقية الوترية.. وكلما مر الوقت تطورت الآلات الموسيقية وتطورت أصواتها)[1] ومع هذا التطور الذي يستند إلى إرث كبير، تتطور انعكاساته على حاجيات الطفل ووسائل وصيغ تربيته الموسيقية وتعدد المدارس والمناهج والطرائق التي تعمل على إخضاع الموسيقى وآلاتها وأصواتها لمفاهيم الطفل وقدراته الحسية والنفسية، تبعاً لمتطلباته ومراحل نموه.. بهدف إسعاده وتربيته ونجاح الخطط التربوية والأساليب الحديثة في تنشئته، وتنمية خياله وإحساسه بالجمال وتذوق الفن والمؤثرات الموسيقية التي تخضع بالدرجة الأولى إلى بنية الأصوات والإيقاع والحركة... وتشكل هذه البنية بمجموعها الجزء المهم من حركة وصوت الطفل وإيقاعه النفسي...

إذاً فإخضاع الطفل للإيقاع الموسيقي وفق التربية الموسيقية المنضبطة والمنظمة، هو الجانب المهم في عملية التربية العامة لهذا الطفل وتنميته... والحصول على نتائج إيجابية في بناء شخصيته وتكاملها...

1- حسين قدوري، أصل الموسيقى.

مرتكز الأغنية
في تكوين المدخل التربوي

كما ذكرنا عن الموسيقى وبنية الأصوات بشكل عام نأتي إلى الأغذية بوصفها مظهراً آخر من مظاهر «الاندماجية الفن-أدبية» ومرتكز واضح من مرتكزات التجانس المعرفي...

وكما أن الموسيقى (مجال مهيأ لأن يؤدي في التكوين العاطفي للكائن البشري دوراً كبيراً، ذلك أن ثمة موسيقى للمتعة الحسية الجسدية، وهناك موسيقى للإحساس المهذب ترجع فتنتها إلى طبيعة المادة الصوتية بالدرجة الأولى، وأن ثمة موسيقى للذكاء ترجع قيمتها إلى الصلات التي تربطها بانفعالات الوعي الكبرى العليا، والتي تعبر عنها بدقائق الحجم والجرس والإيقاع التي تقيمها بين عناصر المادة الصوتية، ووضح رؤية التربية الموسيقية الحقة التي تعني أن يتمرس الطفل بالموسيقى كما يتمرس بالنمو، إنه يبدأ بالغناء بالكلام قبل أن يعرف قواعد كليهما، ويفترض في التمرن الموسيقي تربية الأذن والصوت والإحساس بالإيقاع في آن واحد)[1]. والاندماج مع الإيقاع الموسيقي عبر التأمل والرقص أحياناً مع هذا الإيقاع.. فإن للأغنية أثر كبير في حياة الطفل، ولها الأثر البارز في تنمية خياله وإحساسه بالجمال والمتعة، وتستطيع تهيئته لتقبل الأسس التربوية التي تتبعها القنوات الثقافية الأخرى...

فأغنية الطفل (تعبير عن حاجة ضرورية من حاجيات الطفل، مهمتها تلبية رغباته العاطفية والفكرية، وتساعد على تنمية شعوره بالجمال والإسهام في فك ألغاز العالم الذي يحيطه، وتقرب وتحبب الأشياء إلى نفسه وأحاسيسه عبر الكلمات المنغمة والألحان والصورة الموضوعية المشتركة في المعاني المتيسرة في

1- مدحت عبد الرزاق، سايكولوجية الطفل في مرحلة الروضة.

نسيج الأغذية التي لها الأثر المباشر في التأثير العاطفي لدى الطفل ونموه الفكري)[1]. وتتيح له التأمل الوجداني والخيال الواسع، والتذوق الجمالي للأشياء.

وكلما كانت أداة الأغنية وموضوعها، وعناصرها الفنية والأدبية منسجمة مع مخيلته ومرحلته، كان الانسجام والتجاوب معها فاعلاً ومؤثراً في مخاطبته وتحديد استجابته... وبذلك تكتسب هذه العملية.. أو هذا الخطاب صفة المرشد السليم لإشباع رغبة الطفل، وتمتين العلاقة الواقعية بينها وبين شعور الطفل وعواطفه.. وتكتسب مهمة الإقناع والإمتاع درجة من النجاح الواعي... فتصبح لزاماً على الثالوث المشترك، والأساس الذي يشكل عناصر الأغنية، من شاعر وملحن ومغن، أن ينزل بحساسية فائقة ودراية مدروسة، ورغبة جدية، وخبرة عالية، وشعور مدهش.. للخوض في أعماق الطفل ومستواه، والصعود به إلى آفاق رحبة من المعرفة والإمتاع والإدهاش والسمو بمخيلته وإحساسه وسلوكه وذكائه.. والإحاطة بعواطفه وانفعالاته وخياله وميوله.. وإدراك مؤثرات التنغيم الواعي والترديد المحبب، والميول الموسيقية في نفس الطفل.. وجعله ببساطة متناهية يعيش ويتمثل عناصر الأغنية وروحها.. والاستجابة لها بحفظها وترديدها بعمق ووعي، حتى تصبح جزءاً لا ينفصل من حاجيات حياته اليومية.. وطلباته الملحة..

وكلما كانت الأغنية بمستوى الأطفال، كانت استجابات الأطفال لها سريعة وراسخة في نفوسهم، وتحفز مكامن الخير والمعرفة في ذواتهم تصبح قيمة من قيمهم المعرفية، وعنصراً فاعلاً ضمن عناصر وعيهم والتجانس المعرفي المتنامي في فكرهم وعقليتهم.. (وحين يوقع الطفل بعض الإيقاعات أو يردد بعض الأنغام أو الأغنيات، فإنه يمارس لوناً من ألوان اللعب في الأصوات، واللعب في حد ذاته حاجة من حاجاته الأساسية له دوره في إثراء عالمه المادي والخيالي، كما أن اللعب بوجه عام يعبر عن الحالة النفسية للطفل تعبيراً صادقاً لما يمتاز به من صفات الحرية والتلقائية المصحوبة بالمتعة، وهو يدفع الطفل إلى الاستمتاع والفحص والتنقيب والابتكار، ويكسبه الخبرة تلو الأخرى ويسهم في نموه. والأطفال في صغرهم لا يكتفون بمحاكاة بعض الأصوات، بل يتعدون ذلك إلى إصدار أصوات منغمة تعبيراً عما يختلج في نفوسهم من انفعالات كما هو الحال في تعبيرهم عن الفرح أو السعادة، مثلاً، ولكن هذه الأشكال من التعبير هي تعبيرات

1- فاضل عباس الكعبي، أغنية الأطفال وأثرها في الخطاب التربوي.

بدائية أو بسيطة، وقد تظل بدائية، والبساطة تلازمها إذا لم يتم العمل على تنميتها تنمية سليمة، والمؤثرات السمعية التي تتناهى إلى مسامع الأطفال في صغرهم تعمل رويداً على تكوين أذواقهم الموسيقية.. ومن هنا يبدو دور البيئة التي يحيا فيها الطفل في تشكيل ذوقه الموسيقي)[1] الذي ينمو معه على مدى العمر...

فعلماء التربية قد استنتجوا مسألة مهمة في تذوق الطفل للموسيقى والغناء وأثرهما في تربيته إذ أكدوا حقيقة تقول: إن الأطفال بشكل عام، وعلى مختلف الأعمار يميلون بطبيعتهم، إلى الأصوات التي تنظمها الموسيقى والغناء، وليس هناك أي طفل لا تتكون لديه القدرة على التأثر بالموسيقى.. ولكن نمو هذه القدرة يتوقف على طريقة التربية ونمو المواهب.. وكيفية التعامل معها...

والمعروف عند علماء التربية أن الطفل (يستقبل في بيئته أصواتاً مختلفة، منها ما هو أصوات موسيقية، ومنها ما هو غير ذلك، وتربية حاسة السمع ترتبط بتكوين شخصية الطفل، ومن دون هذه التربية يفتقد الطفل ذكاءه السمعي، والمرحلة المهمة في نمو الطفل موسيقياً هي مرحلة إدراكه لتركيب الأصوات، وتركيب الجمل الموسيقية وعلاقتها ببعضها، ويترتب على ذلك استمتاعه بالموسيقى التي يسمعها، ونمو قدرته الذهنية على اكتشاف الجمال فيها، والحكم على العمل الموسيقي الجيد والرديء... ولا يستطيع الطفل أن يصل إلى هذه المرحلة من نمو شخصيته الموسيقية إلا إذا مر بمرحلة تربية وظائفه السمعية بنجاح)[2]. هذه التربية هي التي ستحدد سمات الطفل الموسيقية بشكل علمي مدروس. وتنظم ميوله الموسيقية واتجاهاته الفطرية نحو الأصوات والحركات.. فبقدر ما ننمي مواهب الطفل الموسيقية والغنائية، بقدر ما نصل إلى نتائج جيدة في إدراك حقيقة التربية الموسيقية وأثرها في نفس الطفل..

ولذلك أصبحت التربية الموسيقية للطفل من الدروس المهمة في العالم المتقدم... وهذه التربية لا تقل أهمية عن تربية الجوانب الأخرى في شخصية الطفل.. ومن هنا وضعت المدارس العامة والمتخصصة المناهج العلمية والخبرات الحديثة والمستلزمات الكفيلة بنجاح عملية النجاح الموسيقية.. إذ أن (الدراسة الموسيقية العملية والميدانية

1- د. هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه.

2- المصدر السابق.

للطفل هي الطريق الأحسن لنشر نظام التعليم الذي يريده المربي لهذا النظام التربوي، على أن يقترن بما ينسجم والمسارات الكثيرة التي تصب جميعها في طريق واحد موحد لكي لا يحصل أي خلل قد يؤدي إلى نتائج مشوهة ومهوشة.. فلا بد من دراسة حالة الطفل النفسية والحسية والذوقية والإدراكية قبل الإقدام على أي عمل تربوي له علاقة بالطفل وتكوينه، وبجانب ذلك لا بد من تهيئة الإطار العام الذي يعيشه الطفل، البيت، المدرسة، الشارع، المعلم، الإذاعة، التلفزيون، الفيديو، الوالدين، الطبيب، وغير ذلك من عوامل قد تكون في معظم الأحيان وفي «مجتمعات معينة» متناقضة.. والنظام أي نظام كان إذا لم تحطه معظم العوامل العامة المنسجمة لنجاحه فسوف تكون النتيجة غير متكاملة، وناقصة وهذا هو سوء التقدير بعينه حيث إن دراسة أي موضوع بعيداً عن الواقع العام في المجتمع لا يصل بصاحبه إلى الهدف المراد تحقيقه)[1]. وبما أن التربية الموسيقية للطفل وسيلة جديدة تلاقي بعض الصعوبات في التدريس والإرشاد والتعليم... وتتطلب لتذليل هذه الصعوبات خبرات متقدمة ووسائل ناجحة وأذواق عامة.. وواعية في المجتمع.. واستعداد عام لدى الأطفال وفئات المجتمع كافة..

ولنجاح وسائل التربية الموسيقية للطفل وجعل الموسيقى والغناء من الحالات المتقدمة في تربية الطفل وتنشئته لا بد من اشتراك الجميع في دفع هذه العملية نحو الأمام.. وتشجيع الأطفال على حب الموسيقى والغناء، والإسهام بتنمية أدوات وقدرات الأطفال الموسيقية والغناء في حالة اكتشافها، إذ إن الطفل الصحيح النشأة (هو الطفل الذي يتحرك مع اللمسة الموسيقية الرقيقة، والأغنية المرحة وإن التوافق الوجداني، والتربية المرجوة للطفل لا يتمان إلا باستحكام عدة أفعال يواجهها الطفل، ويتفاعل معها، وتقف الموسيقى في مقدمة تلك الأفعال، وبوساطة الخبرات البيولوجية، والذهنية والبيئية التي تمنحه إياها تجربته الاجتماعية نستطيع أن نضمن وعي الطفل بالقيم الموسيقية، مسموعة أولاً ثم مترجمة إلى أفعال وترانيم. وحركات ورهافة سمع... وأغنية الطفل واحدة من وسائل التنشئة الموسيقية وبقدر إيماننا بأنها «وسيط» شائق لنقل القيم والأفكار والمعلومات فإن اكتمال شروط هذه الوسيلة أمر أساسي قبل إصدار أي أحكام سابقة، أو الشروع في قول ما هو عام ومرتجل.. والأغذية قبل كل شيء «نص» لكنه «نص» «مرتل» وفق أنغام،

1- منير بشير، مقدمة لنشرة الموسيقى.

ودرجات صوتية، وضوابط موسيقية)[1]. ومن هنا يتداخل الجانب الأدبي مع الجانب الفني أو ما سميناه التجانس وفق «الاندماجية الفن-أدبية» في اكتمال العمل التربوي ومنه أغنية الأطفال في تنشئة الطفل.. وتكوين معارفه وتطوير التجانس المعرفي في مخيلته وعقليته..

وكما هو الحال بالنسبة لتربية الطفل من مختلف النواحي، وظهور المدارس والمعاهد والمناهج والأساليب والطرائق الحديثة في تعليم وتربية الطفل موسيقياً فإن (محاولات مثيلة بدأت تظهر عندنا، حالياً، وتعمل على وضع طرائق تربوية خاصة بتربية الطفل وتقريبه من الموسيقى التي تصدح أنغامها وإيقاعاتها وأصواتها حول الطفل طوال ساعات يومه، في البيت والشارع والمدرسة، لهذا كان من الضروري توجيه الطفل توجيهاً «جديداً» نحو الموسيقى ومجالاتها وإتاحة الفرص العملية له للاطلاع على بعض عناصر ومفردات وآلات وأصوات هذا الفن، بدءاً من التعامل مع الأذن عبر الوسائل المتاحة وانتهاء - ولو أن الدراسة الموسيقية والفنية لا تنتهي - باختيار الآلة الموسيقية التي سيتعلم العزف عليها.. والأطفال عموماً مولعون بالإيقاعات البسيطة التي تهزهم، فنراهم يعبرون عن ولعهم هذا، بشكل غير إرادي، بالضرب والتوقيع على ما يقع تحت أيديهم من صفيح وقطع خشب وعصي وغير ذلك من أدوات ولعب أدخلها بعض الباحثين المتخصصين في مناهج التعليم الموسيقي (التوجيه) في مرحلة الروضة، إن الترنم بالألحان الشعبية أو أداءها كيفما اتفق، وعادة الضرب على الأدوات والأغراض تدلان على الحس الطبيعي الذي يتمتع به الطفل واستعداده الفطري لتقبل الأنواع الموسيقية البسيطة شريطة توفير المنهج الذي من شأنه تحقيق أبعاد هذا الموضوع وجعل الطفل في وضع خاص يساعده على تقبل الموسيقى ومن ثم دراستها، أما إذا افتقد الطفل التوجيه المطلوب ولم يجد أي آلة موسيقية بسيطة للضرب والتوقيع عليها، فإنه يلجأ إلى قطعة صفيح أو خشب تارة، وإلى عصا تارة أخرى، وإلى قطعة معدنية تارة ثالثة يضرب عليها تلبية لحاجته «اللاشعورية» إلى الإيقاعات والأصوات الموسيقية)[2]..

وحين دخول الطفل مرحلة الروضة أو المدرسة أخذ أبعاداً أخرى من التربية وتنمية الذوق الموسيقي حيث أسهم معلمو التربية الفنية في النشاطات المدرسية بتنمية

1- فاروق سلوم، الكتابة على صفحة بيضاء.

2- اسعد محمد علي، الموسيقى والطفل.

هذا الجانب عبر نوع من الغناء الذي يسمى بالغناء التربوي، وقد عرف فيما بعد (بالنشيد المدرسي الذي كان يتعلمه ويؤديه تلاميذ المدارس على أيدي معلمي الموسيقى الأوائل الذين لم تسعفهم مؤهلاتهم آنذاك لوضع منهج بالتعليم الموسيقى، لكنهم تركوا آثاراً كبيرة على مسيرة «النشر» الموسيقي في بداياته الأولى حيث علم أولئك المعلمون على تقريب الأطفال من الموسيقى ومصادرها المحدودة لا سيما في المجال الكشفي والنشيد، فكان أن حظي الطفل أثناء العقود الماضية بعنصرين من عناصر الموسيقى هما: الإيقاع بأنواعه التي توافرت أثناء الفعاليات والاستعراضات الكشفية، والصوت الملحن الذي اعتاده الأطفال تدريجياً بواسطة الأناشيد التي لم التي لم تخل من نغمات جميلة اجتذبت الطفل وتركت في نفسه آثاراً دفعته، فيما بعد، إلى دراسة الموسيقى)[1]. والبحث عن الوسائل الناجحة في تنمية ذوقه الموسيقي وتطوير قابلياته ومواهبه بهذا الاتجاه..

إن القصيدة المغناة تدخل بسهولة في نفس الطفل أكثر من القصيدة المجردة... لذلك فقد أثبت العلماء والباحثون (إن تلاميذ المدارس الابتدائية وغيرها الذين يتلقون حصصاً منظمة من الموسيقى يحرزون نتائج عملية في الدروس التربوية أفضل من تلاميذ المدارس الذين لا يتلقون دروساً منظمة أو متواصلة في الموسيقى، على هذا تم إدخال الموسيقى في مناهج المدارس الابتدائية)[2]. وعدت الموسيقى من الدروس الأساسية في كل مدرسة، ونجاح هذه المهمة ومبتغاها في كل مدرسة يقع على عاتق إدارة المدرسة، ولا سيما معلم الموسيقى. وحماسته في ربط العلاقة الكبيرة بين تلاميذه والموسيقى... والجدية في تطوير مواهب الأطفال ومساعدتهم في اكتشاف جماليات الموسيقى شيئاً فشيئاً، وترك المجال مفتوحاً أمام اختيار التلاميذ في الميل إلى هذه الآلة أو تلك.. وفي اختيار الوقت المباشر للتعلم... فمعلم الموسيقى يؤدي دوراً كبيراً في دفع التلاميذ إلى حب الموسيقى والنشيد والانسجام مع النغم الجميل... ومعرفته وتمييزه عن النغم الرديء...

ومن هذا المنطلق أيقن علماء التربية بأهمية الموسيقى والغناء في التربية وتنشئة الأطفال بشكل سليم..

1- اسعد محمد علي، الموسيقى والطفل.

2- المصدر السابق.

الأسس الفطرية

لأغنية الأطفال

من المفيد هنا أن نشير إلى البـدايات أو «الأسـس الفطريـة» لأغنيـة الأطفـال، والطريقـة التـي وصلت إلى مفهومها العام وترسيخها في حياة الطفل، لتصبح مدخلاً تربوياً، وقيمـة فنيـة، ومظهـراً مـن مظاهر الفن الإنساني الموجه للأطفال.. فأغنية الأطفال التي دللت الاختبارات العلميـة والمنهجيـة (عـبر الدراسات والبحوث الميدانية على دورها الفاعل في تقويم السلوك وتنظيم تصرفات الأطفـال، والإسـهام بتنظيم حواسهم وقدراتهم لتقبل الخطـط والـدروس التربويـة، واكتشـاف ميـولهم وقـدراتهم وتطـوير ابتكاراتهم.. أصبح لهـا الـدور الكبـير في تنشـئة الطفـل وإعـداده)[1] وجعلـه مهيـأ لأخـذ دوره الفاعـل والإيجابي في المجتمع..

وعبر هذه الأهمية تمت دراسة بدايات نشوء وتكون أغنية الأطفال وأسسـها «الفطريـة» التـي كونت إطارها العام ومفهومها الذي انتشر وتطور، حتى يومنا هذا..

لقد عرفت المجتمعات البشرية منذ القدم، ولا سيما مجتمعنا العربي.. أسـلوباً تربويـاً فطريـاً - أسس له في ما بعد - لرعاية الأطفال، ومنحهم الحنان الكبير، والحب والعناية، وهـذا الأسـلوب عـرف - لا سيما في مجتمعنا العراقي - بـ «أغاني التنويم» أو «الدللول».. أثناء تنويم الطفل في مهده...

وتطور هذا الأسلوب إلى ترقيص الطفل وتطريبه بعبارات شعرية قصـيرة ومـيسرة، ذات حركـة وإيقاع موسيقي واضح، سرعان ما توارث ليغـدو تراثـاً غنيـاً يحمـل سـماته، وخصوصـيته المميـزة عنـد سماعه.. والذي عرف في مرحلة متقدمة بـ «فلكلور الأطفـال الشـعبي»... وعـرف في عصرنـا بــ «أغنيـة الأطفال»...

1- فاضل عباس الكعبي، أغنية الأطفال، مفهومها وأثرها في السلوك.

وفلكلور الأطفال، هذا التراث المهم، الذي ساعد الأم كثيراً على فهم شخصية طفلها وترقيصه وتدليله.. وبالتالي تربيته بهذا الأسلوب الفطري، الذي توارثته الأمهات عن الجدات جيلاً بعد جيل، ظل مترسخاً في أذهان الأمهات القديمات فقط.. وهو بذلك مشتت في هذه المنطقة أو تلك.. وكاد يضيع تماماً، ويطويه النسيان، بسبب التطور السريع الذي حصل لمرافق الحياة في مجتمعنا.. وتمدن القرى ونزوح بعض ساكنيها إلى المدن الكبيرة.. وبسبب إهمال الجهات التوثيقية، وعدم اهتمامها بحفظ هذا التراث المهم، والغني بنصوصه «المحفوظة في الذاكرة»، وكاد هذا التراث الكبير أن يمحوه الزمن الجديد من واقع حياتنا المعاصرة، لولا المبادرة الذكية والمخلصة التي قام بها الفنان والباحث الموسيقي المتخصص بموسيقى الأطفال الأستاذ حسين قدوري، الذي يعود له الفضل الكبير بحفظ ورعاية فولكلور الأطفال من لعب وأغان شعبية وجعلها في متناول الجميع، حاضراً ومستقبلاً بعد مسعاه الخيّر... وبذله جهوداً مضنية على مدى سنوات عديدة قام ببحوث ومسوحات ميدانية عديدة، لكل المحافظات، وأقضيتها ونواحيها وقراها، مستخدماً كل الوسائل في إنجاح مهمته، ومنها أجهزة التسجيل الصوتية، حتى خرج علينا بكنوز من المؤلفات المهمة، منها كتابه الكبير والمهم والمسمى «لعب الأطفال الشعبية في جمهورية العراق» الذي صدر على مراحل عديدة بأربعة أجزاء يتجاوز الجزء الواحد الـ «500» صفحة، وعد هذا الكتاب مرجعاً مهماً وتحفة أدبية وموسيقية في المكتبة العربية... إلا أن الكثيرين لم يعوا أهمية هذا الفلكلور «التراث» ويتعاملوا معه في عمقه، وروحه الجميلة، فأساؤوا فهمه، الأمر الذي جعلهم يقدمونه بشكل خاطئ وتعاملوا به بسذاجة واستخفاف جعلت الكثير ينفرون منه... ولا يتعاملون معه بروحية تربوية كما يجب، باعتباره التراث الغني الذي لا يمكن الاستغناء عنه أو محوه، والذي أصبح قاعدة أساسية لأغنية الطفل...

ومع ذلك أصبح هذا الفلكلور قيمة فنية وتربوية.. بعد تشذيبه وتنظيمه.. وأخذ المفيد منه.. وأصبح مظهراً من مظاهر الخطاب التربوي، وواقعاً قائماً يسهم في إغناء «الاندماجية الفن-أدبية» في التوجيه والتربية...

وأمام سماع الموسيقى والغناء تكون استجابة الأطفال، استجابة فطرية للحن أو الأغنية، وتشتد رغبتهم في ترديد بعضها.. إذ يعتبر «أول وأهم اكتشاف للموسيقى يأتي إلى الطفل من ترديد الوالدين للهدهدات أو أغاني الألعاب، والأغاني الفلكلورية، أو حتى بعض الألحان المرتجلة في البيت، والتي يكون هدفها جلب المسرة للطفل.. وتتغير قدرة حفظ اللحن من طفل إلى آخر، فبعضهم يستطيع ذلك في سن الثانية، وبعضهم الآخر لا قدرة له أبداً، فيظل إلى الأبد مستمعاً، وقد وجد المربون أن الأشخاص الفقيري الحس الموسيقي يمكنهم فهم اللحن، وأن الأطفال الصغار يحبون الاستماع إلى الموسيقى ويسلون أنفسهم أوقاتاً طويلة عادة إذا ما امتلكوا جهاز تسجيل.. ومن الأغاني التي يمكن تقديمها للطفل، الأغاني الجديدة التي تشرح للطفل بعض الأشياء البسيطة من حوله، ومنها القديم الفولكلوري، ومنها أيضاً أغاني الهدهدات، وهناك أغنيات يؤديها الأطفال كمجموعة وهي للأطفال الأكبر سناً والتي تؤدي مهمات تربوية وتعليمية غير مباشرة، مع مراعاة تعليم الطفل على الاستماع إلى بعض القطع الموسيقية التي تقدم للأذن البكر مجموعة مختلفة من الأصوات، الأجراس، الأنغام، والأساليب الموسيقية لكل آلة»[1]. ولضمان النتيجة يتطلب من المعلم أو المربي القيام بالغناء أمام الأطفال لغرض شدهم وجعلهم يرددون معه المقاطع الغنائية وإعادتها لتسهيل عملية حفظها والتمتع بها... لأنها جزء مهم من حياته...

وهناك حقيقة واضحة أكدتها الدراسات التي قامت بقياس تأثير الأغنية في الطفل بعد دراسة أهم النماذج والأسس الفطرية التي أوجدت أغنية الأطفال - فبعد معرفة تأثير أغاني التدليل والهدهدات في الطفل اتضح لنا إن الطفل حين يولد (فإن واسطته الأولى للاتصال بالعالم هي أذناه ولا يختلف اثنان في أن الأذن واسطة تلق أساسية تستطيع عبرها أن توصل الطفل أول الدروس في أداء الأصوات. وربما لاحظ عدد من المربين والآباء، أن الطفل بعد الشهر الأول من العمر يستطيع أن يطبق شفتيه تقليداً لسماعه الحرف «باء» في «بابا» وحرف «الميم» في «ماما»، وهذه

1- معالجة - الطفل والموسيقى - مجلة العصفور، العدد الثاني.

الظاهرة تنقلنا إلى حقيقة مفادها إن نشأة اللغة كانت قد اعتمدت «التصويت» أولاً: فقد أدت الأصوات، والتنغيمات دوراً كبيراً في تدريب الإنسان الأول على إخراج الحروف، ثم المقاطع، ثم ولدت الكلمات، واتخذت معانيها ومواقعها في الاستعمال، ولا أغفل هنا، أن أذكر أن الإشارات، والرموز، وأصابع اليد، وحركات الجسم قد أدَّت آنذاك دوراً بارزاً في ترجمة تلك الأصوات واستقرارها في صيغ نهائية على مدى القرون الأولى للنشأة الإنسانية)[1].. وهذه النتيجة هي السائدة في تفسيرات ميول الطفل الحركية والموسيقية والتي وضحت حقيقتها عبر المراقبة المستمرة للطفل وحركاته في محيطه وأثناء مراحل عمره المتباينة...

1- فاروق سلوم، الكتابة على صفحة بيضاء.

واقع أغنية الأطفال

في العراق

في إطار معرفة واقع أغنية الأطفال في العراق، لم نتطرق إلى ما قامت به المدارس من تنشيط للنشيد المدرسي منذ زمن بعيد - فقط ننطلق من السمات الجدية والحقيقية لتنشيط ودفع أغنية الأطفال نحو الأمام...

في منتصف السبعينيات تشكلت في المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون فرق موسيقية وغنائية عديدة خاصة للأطفال، ومن الأطفال أنفسهم... وبرزت منها أصوات غنائية متميزة قدمت عشرات الأغاني التربوية الجميلة التي أحبها الأطفال، وتفاعلوا معها.. أذكر من هذه الأصوات التي اختفى بعضها، وبعضها هجر الغناء للأطفال وبعض أصبح اسماً معروفاً في أغنية الكبار وهم:

- بلقيس فالح.
- إلهام أحمد.
- علاء سعد.
- وفاء سالم.
- بيداء عبد الرحمن.
- منى.
- باسم جاسم.
- مي أكرم.
- هيثم يوسف.
- فاضل وأخته فوزية.
- ساهرة عبد الجبار.
- قصي حسين قدوري.

- سحر عبد الرحمن.

- مهند محسن.

- ناظم فالح.

- ماجد عبد الحق.

- والمرحوم عمو زكي.

ومن الملحنين البارزين في هذا المجال آنذاك:

- سعيد شابو.

- حسين قدوري.

- نجم عبد اللـه.

وغيرهم..

إلا أن فرق الأطفال الغنائية تلك لم يعد لها وجود، ولم يعد أي أثر لمطرب متخصص للأطفال باستثناء إلهام أحمد التي بدأت تغني للأطفال وهي طفلة في منتصف السبعينيات حتى كبرت وأصبحت معلمة، وما زالت تغني للأطفال كلما تيحت لها فرصة لذلك..

ونكاد نرى غياب أغنية الطفل الآن لولا بعض الأغاني الجميلة التي قدمتها الفنانة إلهام أحمد وعلى مدى السنوات الأخيرة.. وكذلك إسهامات الفنانة فينوس بتقديم بعض الأغاني الجيدة للأطفال من قصائد كاتب هذه الدراسة، وألحان الفنان باسم مطلب..

وهناك مسعى الآن من قبل قسم برامج الأطفال في دائرة الإذاعة والتلفزيون لإنتاج كاسيت غنائي للأطفال يضم أكثر من (12) أغنية متنوعة للأطفال من شعر كاتب هذه الدراسة، وألحان الفنان باسم مطلب وبأصوات مختلفة... أما دون ذلك نشعر تماماً بغياب أغنية الأطفال وتجاهلها من قبل المؤسسات الفنية المعنية..

ويعود سبب عزوف المطربين الذين لديهم إمكانية الغناء للأطفال عن هذا اللون من الغناء، إلى عدم دعمه وتشجيعه من قبل المؤسسات الفنية المعنية... ولا سيما الإذاعة والتلفزيون، إلا ما ندر في بعض المناسبات تقوم بتسجيل أغنية أو أغنيتين طبقاً لهذه المناسبة... فمثلاً يكلف إنتاج أغنية للكبار حسب تقدير عام 1993 أكثر

من خمسة آلاف دينار أما إنتاج أغنية واحدة للأطفال من قبل دائرة الإذاعة والتلفزيون فلا يصرف لـه أكثر من مئة دينار. وهذا المبلغ لا يشـجع لتقـديم أغنيـة للأطفـال.. الأمـر الـذي جعـل حتـى المعنيـين والمؤهلين لغناء الأطفال يتجاهلون ويهجرون هذا الغناء المهم... ويلجؤون إلى الغناء للكبار في الملاهـي وغيرها... لأنها «تدر» عليهم المبالغ التي يحلمون بها والشهرة الواسعة...

إن عدم إنتاج أغان جديدة للأطفال، وعدم تقـديم وعـرض الأغـاني المنتجـة سـابقاً والتـي تعـد بالمئات عبر التلفزيون والإذاعـة إلا مـا نـدر، أدى إلى انسـياق الأطفـال وراء أغـاني الكبـار والتـأثر فيهـا وترديدها من دون وعي وتذوق.. مما أدى بهم إلى السلوك المغـاير للسـلوك السـليم الـذي يفـترض أن يسلكه الأطفال في حياتهم.. لأن أغاني الكبار تكون خطورة بالغـة عـلى سـلوك وذوق وتربيـة الأطفـال، لأنها تحمل الكثير من المفاهيم والصور والتعابير والألفاظ التي لا تنسجم وعقلية ونفسية الأطفال، بـل الكثير منها تؤدي إلى نتائج عكسية وإلى سلوكيات سلبية في حياة الطفل..

وقد تعرضنا إلى ذلك. وأشرنا إلى أماكن الخلـل في أغنيـة الطفـل، وأثرنـا الموضـوع في أكـثر مـن دراسة ومقالة ورأي على صفحات الجرائد والمجلات... ولا سيما الموضوع الموسع في جريدة الثـورة عـام 1993 والذي نشر على حلقات موسـعة تحـت عنـوان «قضـية للمناقشـة - الثـورة تفـتح ملـف أغنيـة الطفل» وأجرينا مناقشات وحوارات مع أبرز المطربين والملحنـين والمعنيـين بالغنـاء والموسـيقى للكبـار والصغار.. إلا أن أي رد أو معالجة من الجهات المعنية لم يحصل...

وجرى في أروقة المؤسسات الفنية والثقافية العديد من الندوات والأماسي والحلقـات الدراسـية التي ناقشت واقع الأغنيـة العراقيـة، إلا أن أحـداً لم ينتبـه لمناقشـة أغنيـة الطفـل سـوى (رابطـة أدب الأطفال في العراق) كمنظمة ثقافية متخصصـة بـأدب الطفـل وثقافتـه، وتضـم كافـة الأدبـاء والكتـاب والمثقفين والفنانين والتربويين المعنيين بالأطفال.. حيث عقدت ندوة تعتبر أول ندوة من نوعها، لمناقشة واقع أغنية الطفل في العراق وسبل الارتقـاء بهـا، حضرهـا العديـد مـن المهتمـين بهـذا المجـال الثقـافي، والفنانين وغاب الكثيرون ولا سيما بعض المتخصصين.

وكان من ضمن الحاضرين للمشاركة في أعمال الندوة الفنان طالب القره غولي رئيس قسم الموسيقى والغناء آنذاك في المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون، وأثناء المناقشات أثير أمام القره غولي تساؤل عام مفاده: عدم قيام قسم الموسيقى والغناء بإنتاج أغاني الأطفال، فأجاب الفنان القره غولي، إن السبب عدم وجود النصوص الغنائية الجيدة للأطفال.. وطالب الرابطة بكونها معنية بهذا الأمر أن تختار عشرة نصوص شعرية متميزة لأجل إنتاجها كأغانٍ للأطفال، وفعلت الرابطة ذلك بعد تشكيل لجنة من أعضائها برئاسة كاتب هذه السطور باعتباره رئيساً للرابطة.. وتم اختيار النصوص وإعطاؤها بكتاب رسمي من رابطة أدب الأطفال في العراق إلى قسم الموسيقى والغناء في دائرة الإذاعة والتلفزيون، إلا أن إدارة الرابطة لم تلق من قسم الموسيقى والغناء إلا الوعود والأعذار حتى انتهت النصوص العشرة المختارة التي كتبها أبرز شعراء الأطفال في العراق، إلى طريق مسدود...

مقترحات و توصيات

ومن أجل الوصول بأغنية الطفل إلى مستوى متقدم، وجعلها - كما هو المطلوب - قيمة تربوية، ومفهوماً فنياً واسعاً، ومظهراً متقدماً من مظاهر الخطاب التربوي، ومرتكزاً من مرتكزات التجانس المعرفي، وحالة قائمة في حياة الأطفال لا بد من تسجيل هذه الملاحظات التي نجدها مهمة في مجال الارتقاء بأغنية الطفل في قطرنا وفي جميع الأقطار العربية، لذلك نسجلها هنا بصيغة المقترحات والتوصيات للعمل على تنفيذها في جميع الأقطار العربية..

ومن أبرز ما نجده مهماً وضرورياً هو:

1- من المهم جداً قيام مجموعة من أبرز المطربين العرب بالغناء للأطفال ولا سيما اشتراك هذه المجموعة بتقديم أغنية مشتركة للأطفال، كل مطرب يؤدي مقطعاً منها.. وأهمية ذلك تكمن بتطلع الطفل إلى هذا المطرب بعد انتشاره، وبات يعرفه الجميع والطفل أيضاً والذي يردد أغانيه للكبار.. فتؤدي الأغنية المشتركة للأطفال انعطافة كبيرة في ذوق الطفل، وتخليصه لبعض الشيء من خطورة السماع والترديد لأغاني الكبار... وبالإمكان أيضاً اشتراك مجموعة من المطربين البارزين في العراق بتقديم أغنية مشتركة تؤدي دورها الفاعل في نفوس الأطفال.

2- أهمية إنشاء قسم موسيقي وغنائي متخصص للأطفال في دائرة الإذاعة والتلفزيون، مهمته إنتاج الأغاني المخصصة للأطفال، ويكون ملاكه المتخصص من مطربين وملحنين وشعراء وفرقة موسيقية، وفنيين وفنانين بارعين ومبدعين في مجال التوزيع الموسيقي الذي يعتبر عنصراً مهماً في نجاح الأغنية.. وتلحق بهذا القسم شعبة للدراسات، وشعبة للأرشيف تضم الأشرطة التي تحمل موسيقى وأغاني الأطفال القديمة والحديثة، وتسعى إلى بثها وعرضها كل يوم

ضمن أوقات البث الإذاعي والتلفزيوني، ليس في أوقات برامج الأطفال فحسب، إنما في الأوقات الأخرى التي تناسب وقت الأطفال، من أجل تعويد المستمعين والمشاهدين من الأطفال أغانيهم.. وكذلك يجب أن يكون هناك برنامج في التلفزيون ومثله في الإذاعة بشكل يومي أو أسبوعي مخصص لطلبات الأطفال من أغانيهم على غرار طلبات الكبار من أغانيهم..

3- في حالة أداء المطرب الكبير لأغنية موجهة للأطفال، من الضروري أن يرافقه الأطفال في اللعب أو الرقص أو الأداء، ولا بأس من استخدام الدمى والأشكال الحيوانية التي ينجذب إليها الطفل ويكون لها صوت أو دور مؤثر في واقع الأغنية المقدمة للأطفال...

4- عدم طرح المسائل الذاتية والانفرادية في أغنية الطفل. ومن المفيد تشكيل بنية الأغنية من الجماعة...

5- من المفيد استخدام الإيقاعات السريعة.. واللحن الجميل.. والكلمات والألفاظ المهذبة والبسيطة، حيث يستطيع الطفل التعايش والتفاعل معها وترديدها.. وتذوق لحنها وموسيقاها بشكل سريع..

6- من المفيد إعادة صياغة الأغاني الشعبية، وتقديمها بطرائق لحنية جديدة تحافظ على قوالبها القديمة، وقربها من بيئة الطفل لتتماشى مع تطوره الذهني والبيئي..

7- تطوير مدرسة الموسيقى والباليه لتشمل مساحة أوسع، وممكن إيجاد مدرسة مماثلة في كل محافظة من محافظات القطر...

8- تكريس دروس الموسيقى والغناء بشكل جدي في المدارس الابتدائية، واعتبار درس الموسيقى والغناء لا يقل أهمية عن دروس الرياضيات والعلوم وغيرها من الدروس، وإجراء مسابقات للتلاميذ في هذا المجال بشكل دوري..

9- اختيار الأطفال البارعين في العزف على تأدية موسيقى وألحان أغاني الأطفال وتوضيح طريقة عزفهم أثناء تصوير الأغنية، فهذا الجانب يجذب الأطفال ويجعل صورة الأطفال العازفين تبقى عالقة في أذهانهم، مما يدفعهم إلى حب التعلم والعزف..

الخلاصة

وبالمحصلة النهائية في خلاصة القول حول أغنية الطفل، يجري هنا مجدداً تأكيـد أهميـة أن يكون لأغنية الطفل الدور الواضح والفاعل في حياة الطفل، لتأخذ مجالها الواسع في مخيلتـه، ضـمن المجالات الأخرى، المنطلقة من مجسات ثقافة الأطفال، لتعميـق التجـانس المعـرفي في وعـي الطفـل، وتعزز علاقته بثقافته، التي لا تتكامل وتـؤدي دورهـا المطلـوب دون الاعـتماد بشـكل أسـاسي عـلى مرتكز الأغنية، التي تشكل الثقل الأكـبر في ثقافـة الأطفـال، لاعتمادهـا في لغـة الخطـاب عـلى أهـم حلقات الترابط الموضوعي بين أدب الأطفال وفنون الأطفال، في تشكيل الوحدة الاندماجيـة «الفـن-أدبية» التي تنطلق من أساسـيات واضـحة، تشـكل بمجملهـا بعـض مرتكـزات ثقافـة الأطفـال، عـبر اعتمادها بالدرجة الأولى على عنصري الشعر والموسيقى، لتدخل عالم الطفل، وتتفاعـل مـع وجدانـه ومشاعره بشكل مباشر..

ويمكننا أن نعي أهمية أغنية الطفل للطفل بشكل واسـع وأدق بواسـطة مراقبـة واقـع الطفـل وسلوكه اليومي، الذي يبرهن لنا وبيقين لا يقبل الشك، أن الطفل بطبيعته عبـارة عـن عـالم واسـع مـن اللعب والـلـهو والإيقاع والتنغيم... وسرعان ما تجده يتحرك ويرقص ويدور على إيقاع العالم والمكونات التي تتحرك حوله... وهو بذلك يعبر عن مكونات الأغنية والموسيقى في أعماقه...

إذن كيف لا نعطي أغنية الطفل أهميتها وفاعليتها في عالم الطفل... ونقدم لـه تنغيمـه الوجـداني بشكل منظم ومدروس، يجعلـه يعـي تصـوراته وتصرفاتـه، ويعيـد تشـكيل لعبـه ولهـوه في ضـوء قدراتـه وخيالاته التي تتناسق مع الإيقاع الجديد للأغنية المعدة له وفق قدراته وأحاسيسـه.. والتـي تـأتي لتنظـيم حركته وواقعه المحدود في حركة المجتمع الكبير وواقعه الواسع.. ولا نتركه سارحاً في بيئته، سرعان مـا يقـع

فريسة سهلة لضجيج أغنية وموسيقى الكبار، التي لا يعي مؤثراتها السلبية في نموه المعرفي وقيمه وأحاسيسه وسلوكه.. فعندما نوجد له أغنيته المناسبة، فإنما نضعه في الواقع الصحيح، وفي المنطقة المناسبة التي تجعله يميز بين الأغنية التي يتفاعل معها وينشد إليها وفق قدراته وإدراكه، وبين الأغنية التي ينفر منها بعد أن يعي الفاصلة بينها وبينه.. وبذلك تنمو لديه القدرة على تحديد سمات أغنيته الخاصة، والتمييز بين أغنية الأطفال وأغنية الكبار.. وهذا ما نسعى له دائماً.. وتقع المسؤولية الأكبر في هذا الاتجاه على الكبار...

الفصل السادس

مدخل إلى شعر الأطفال

140

مرتكز الشعر

في لغة الأطفال

يشكل الشعر الموجه للطفل، أحد أهم العناصر الصوتية التي تزيد من ثروته اللغوية، وتساعده على معرفة تطور الأشياء والمعارف التي تتشكل عنده في بادئ الأمر، بواسطة المفردات والألفاظ.. ثم الدهشة، والاستفهام... فيدخل بعدها مرحلة البحث والاطلاع.. محاولاً تحليل هذه المفردات والألفاظ، وجمعها في جمل بحسب وعيه وقدراته، بعدها يبحث لها عن إطار واقعي، ملموس أو مرئي أو محسوس ضمن محيط حياته..

من هنا تتكون إمكاناته في اللفظ المتقدم... والتطور في البحث عن العناصر الجميلة في كائناته الملفوظة، والتعلق بكل ما يصله من هذه العناصر اللفظية التي يكتسب منها بعض المعارف، المضافة إلى معارفه، ويكون الشعر الموجه له أحد أبرز هذه العناصر، بعد العناصر اللفظية المكتسبة من مجموع علاقاته مع محيطه، وأسرته، وكل ما يتعلق به...

وبما أن شعر الأطفال يعد أحد أهم الفنون الأدبية في إطار أدب الأطفال، ومرتكزاً مهماً ضمن مرتكزات التجانس المعرفي في لغة الأطفال، لما له من قدرة على تحريك عواطف الطفل وأحاسيسه، والتفاعل مع مكوناته وقدراته العقلية والفكرية والجسمية، وتطوير ألفاظه وإثراء قاموسه اللغوي الذي يتطور بشكل تدريجي بواسطة اتصال الطفل مع الحياة..

وتكون اللغة من أبرز هذه الوسائل، فلغة الطفل هي التي تحدد سمات تطوره، ونموه اللفظي، بوصفه أداة تخاطب وتأثير منه وإليه، إذ أن (لغة الطفل مصدرها الطفل ذاته، إنه اشتقاقي بارع، ومكتشف للمرادفات بشكل يدهش اللغويين دائماً... وعندما يفاجأ الشاعر أو الكاتب بالسؤال عن مصدر إلمامه بلغة الطفل فإن الجواب لا ينطوي على حقيقة نهائية إذا كان يعني أن المدركين هم مصدر لغة الطفل، إن أحق الأجوبة

هي أن يكون الشاعر أو الكاتب على اتصال بلغة الأطفال، وإن معرفته بالمحصول اللفظي لكل مرحلة من مراحل الطفولة، وعلاقة استخدامات اللغة عند كل مرحلة بتطور الفكر، هي مصدر مباشر لإتقان استخدام اللغة في كتابة قصيدة الطفل بصفة خاصة)[1]. ومخاطبة الطفل والوصول إلى مدلولات ألفاظه البدائية بصفة عامة...

وهكذا فمعرفة اللغة ومصادرها من أهم الجوانب والعوامل المساعدة، في اكتشاف عالم الطفل والوصول إليه، والتعامل معه...

ولمعرفة لغة الطفل لا بد من الوصول إلى عمق الطفل ومحاكاة الأصوات في عمقه، ومعرفة ارتباط هذه الأصوات وعلاقاتها مع العوالم وموجهات وعي الطفل فحين (ترتبط الأصوات بنشاطات معينة ينتج عنها اكتساب اللغة نفسها «عبارات ابتدائية من لفظ واحد ثم أفعال اسمية مختلفة وأخيراً جمل بكاملها» وإلى حين اكتساب شكل محدد للغة)[2]. فإن عوامل الإيماءات والأفعال الجسمية والحركية للطفل تساعده على تطور لغته، وتحديد سماتها، وبتطور اللغة عند الطفل (يتقوم السلوك عميقاً، وجدانياً وفكرياً معاً، فضلاً عن كل النشاطات الواقعية أو المادية التي يتعلم الطفل التحكم بها أثناء هذه المرحلة[3] كما تعلم أثناء المدة السابقة، يصبح الآن قادراً بفضل اللغة، على التحكم بإعادة تشكيل أفعاله السابقة على شكل خلاصة، وأن يستبق أفعاله المستقبلية بوساطة التمثيل اللفظي، ولهذا الأمر ثلاث نتائج جوهرية للتطور العقلي: (1) احتمال التبادل اللفظي مع شخوص آخرين، فيعلن عن مستهل مجتمعية النشاط، (2) استبطان الألفاظ يعني ظهور الفكر نفسه، مدعوماً باللغة الداخلية وبنظام إشارات، (3) وهو الأخير والأهم استبطان الفعل في حد ذاته، الذي سيكون منذ الآن فصاعداً، ليس إدراكياً وحسياً كما كان في السابق بل قادراً على تقديم نفسه حدسياً بوسيلة الصور و«التجارب العقلية» ومن وجهة النظر الوجدانية تلي ذلك سلسلة متوازية من التحولات، تتمثل في تطور المشاعر التشخيصية «التعاطفات والكراهيات والاحترام، الخ» وتطور الوجدان الداخلي المنظم بطريقة

1- فاروق سلوم - الكتابة على صفحة بيضاء.

2- جان بياجيه - التطور العقلي لدى الطفل.

3- المقصود بهذه المرحلة، مرحلة الطفولة الأولى من السنة الثانية حتى السابعة.

أكثر استقراراً مما كان عليه سابقاً)[1]. ويكون نمـوه العقـلي واللفظـي وتطـوره الوجـداني الـداخلي أكـثر تطـوراً، وباتجاه متقدم، ويدخل مرحلة بإمكانه أن يحدد سمات العلامات والألفاظ وعلاقاتها مع بعضها، مـع المعـارف المضافة، لتكويناته واستنتاجاته...

وإذا أردنا أن نعي الوظائف الابتدائية للغة؟ وتطور النمو في مرسل اللغة واسـتلامها، نسـتطيع متابعة أحاديث الأطفال من سنتين إلى سبع سنوات أو ثمان، قبل أن نسلط أي موجـه ثقـافي عـلى لغـة الطفل ونتابع بدقة طريقة الأحاديث بين الأطفال وعلاقات الألفاظ في هذه اللغة سنعي عفوية اللفـظ ونحكمه بسلوكيات وتصرفات العلاقات بين مجموعة الأطفال، ونرى إن الأطفال كل يلـتقط مـن الآخـر بعض الألفاظ فيعيدها سواء وصل إلى فهم معناها أو لم يصل.. والمهم فيها أن هذا الطفل يبرهن عـلى إجادته لفظها ونجاح فضوليته في اكتساب هذه المفردة أو اللفظة وضمها إلى قاموسـه.. وتتفـتح بعـض وظائف تطور اللغة بشكل بطيء.. بينما لو سلطنا أحد الموجهات الثقافية على لغة الطفل، كأن يكـون الشعر. فسيكون تطور اللغة هنا أكثر سعة.. ووضوحاً، لا سيما عندما يحفـظ الطفـل مقطوعـات هـذا ويبدأ بترديدها، فإن ألفاظها وعوالمها سيتيح له اكتساب عوالم وخيالات وأفكار جديدة، تتيح له البحث عن عوالم لفظية جديدة عبر قصائد شعرية أخرى..

ومن هنا تصبح الجدلية بين الشعر ولغة الطفل حالة قائمة، ومتلازمة للنمو والتطور.. حيث تحاول لغة الطفل الارتقاء إلى مستوى العوالم والألفاظ والعلاقات والخيالات وكل ما تحمله القصيدة الشعرية، وفي الوقت ذاته يسعى الشعر إلى الارتقاء بمستوى اللغة وتطورها عند الطفـل.. إلى درجـة يجعـل لغـة الطفـل بحالة من التقبل الواعي والاستقبال الموضوعي لموجهات الشعر، وبالتالي جعل الاستعداد الكبير لدى الطفل مهيأ دائماً للتفاعل مع الشعر، الذي يعد تفاعلاً مع اللغة الداخلية لهذا الطفل.

وهكذا يكون مرتكز الشعر في لغة الطفل، حالة ملازمة لنموه اللفظي.. وتطوره اللغوي، وعـنصراً فـاعلاً في إطـلاق العنـان لخيالاتـه، ومتعتـه اللفظيـة والإيقاعيـة في دائـرة الشـعر.. وتتحول هذه المتعة بعـد ذلـك إلى معرفـة وحصـول أفكـار، واكتسـاب وعـي.. بحيـث يصـبح الشـعر عـاملاً مسـاعداً للغـة الطفـل، في تحديـد مسـتوياتها وأنشـطتها وألفاظهـا الفرديـة

1- جان بياجيه - التطور العقلي لدى الطفل.

والجماعية.. وتأشير الضعيف منها والقوي في توضيح سمات الشخصية.. ووصف الأشياء.. بل يرتقي الشعر بالطفل إلى مستوى يجعله متمكناً من نشاطاته اللغوية والحركية بدرجة واعية ويتمكن من مراقبة نفسه واستعداده السلوكي واللفظي والحركي.. محاولاً تطوير هذه الاستعدادات ودفعها نحو التكامل.. فيأتي الشعر ليكون عوناً له في التنظيم وخلق التكوينات الأولى للشخصية السلوكية واللغوية..

وإذا ما عرفنا أن دور الشعر، فاعل في محيط الطفل، فإن استعدادات الأطفال متباينة في القبول والتفاعل مع مؤثرات المقطوعات الشعرية وألفاظها في الدخول إلى عالم الطفل والتعايش معه...

وهنا يتحدد نوع الشعر وقوته في جذب الطفل، إذ إن الشعر الجيد بإمكانه أن يفعل فعله ويسيطر على لغة الطفل والتفاعل معه.. بل بإمكانه السيطرة حتى على وجدان وأحاسيس الطفل الذي لم تكن له قابلية الميول والاستعدادات لتقبل الشعر.. مع أن الاستعداد لاكتساب الألفاظ الشعرية وغيرها قائماً وبدرجات متفاوتة لدى جميع الأطفال - كدرجات الذكاء - إلا أن قوة الموجهات، وطريقة توجيهها للطفل هي التي تحدد سمات نجاحها ووصولها إلى عمق الطفل..

والمهم في الأمر كله إن الشعر في لغة الأطفال هو المنظم الإيقاعي والمعرفي لتكوينات هذه اللغة إذا أحسنا إخضاع الطفل إلى اكتساب الشعر كعامل مساعد لتطوير مهاراته اللغوية.. واكتشاف قوة الاستقبال والتفاعل مع الصور والألفاظ والجمل الإيقاعية واللغوية في بنية القصيدة الشعرية..

ولا يمكن أن نتجاهل في هذا الأمر أهمية السيطرة على اتجاهات اللغة وموجهات الشعر لها في دائرة المراحل العمرية... فبهذه الطريقة نكون قد اكتسبنا الشرعية في التعامل مع الطفل، وتطوير الخبرات في محصنات التوجيه، التي لا تخرج عن كون ما نتعامل معه ونقدمه له هو حالة وعناصر مترابطة لم تأت خارج وعي وفهم الطفل في هذه المرحلة أو تلك..

والمهم لدينا أن نعي قوة المفردات والألفاظ في القصيدة الشعرية وحصولها على شرعيتها في مخاطبة هذه المرحلة دون سواها، لأنها قررت وخرجت من رحم هذه المرحلة، ومن قاموسها اللغوي المحدد بصيرورتها دون غيرها...

مفهوم و خصائص

شعر الأطفال

بعد أن أثمرت جهود، وإسهامات، وآراء الأساتذة من الكتاب والتربويين والشعراء، في توفير القناعة الكبيرة بقضية الكتابة للأطفال، ترسخت مفاهيم هذه الكتابة لبعض الشيء، وبدأت تتوضح شيئاً فشيئاً ملامح هذه الكتابة وتأسيس القواعد والمفاهيم الثابتة لها مما جعل الجدل بين مؤيديها ومعارضيها، ينتصر لصالح مؤيديها، وتصبح قضية الكتابة للأطفال، حالة إبداعية وظاهرة فنية واضحة الملامح ضمن فنون الكتابة الإبداعية في عصرنا الحالي. وراحت معظم الأنشطة الثقافية والقنوات الإعلامية تروج وتدعو لهذه الكتابة المهمة التي يعي الكثير دورها وأهميتها في المجتمع بشكل عام والطفل بشكل خاص..

وجاءت هذه النتيجة المتطورة لبعض الشيء، بفضل صبر وتضحيات الكثير من المبدعين في مجالات الفنون الأدبية الكثيرة، الذين اهتموا بالكتابة للأطفال، وتواصلوا برفدها بالإبداعات الجديدة والمتطورة، على الرغم من النظرة القاصرة للكتابة للأطفال التي كانوا يواجهونا من بعض الذين يجهلون خطورة وأهمية الكتابة للأطفال.. مما جعل الكثير من أصحاب النظرة القاصرة، يعودون إلى الصواب ويعترفوا بأهمية الكتابة للأطفال والقدرة الفائقة لكل من استطاع تطويع قدرته الإبداعية، وترسيخها للكتابة للأطفال..

وأذكر عندما كنت أواصل نشر قصائدي المخصصة للأطفال في الصحف والمجلات العامة عام 1992 وفي المجلات والصحف الخاصة للأطفال، "كنت أواجه بآراء قاصرة وأحاديث تستخف بما أكتبه من قصائد من بعض الزملاء في الجريدة

وخارجها، وبالمقابل كنت أسمع كلمات التشجيع والإطراء والقبول الكبير لقصائدي الخاصة للأطفال" من العديد من القراء وأصحاب الاختصاص والتربويين، حتى إن الكثير من إدارات رياض الأطفال والمدارس كانوا يهتمون بما أكتبه من شعر للأطفال، فيقومون بتلحينه وتقديمه للأطفال الصغار في الروضة، والتلاميذ في المدارس.. وبعض هذه القصائد قدمت في الإذاعة والتلفزيون كأغان للأطفال، وحينما جمعت كل القصائد التي نشرتها الأطفال" ونشرت بعضها في ديوان «أجنحة وبساتين» الصادر في بغداد عام 1993، أحسست بفرح كبير يغمرني، وأنا أجد الزملاء من أصحاب الآراء القاصرة بالكتابة للأطفال، والذين استخفوا في بادئ الأمر بما أكتبه من قصائد للأطفال، وقد طلبوا قراءة «الديوان» من جديد، وقد تراجعوا عن آرائهم القاصرة، وراحوا يشيدون بقدرة الكتابة للأطفال.. وهذا يمثل انتصاراً لأدب الأطفال)[1]. وجاء بعد نقاشات وشروح كثيرة لإفهام من لم يفهم أهمية وصعوبة أدب الأطفال...

إذاً فترسيخ أهمية الكتابة للأطفال، لا بد أن يكون من الكاتب أو الشاعر نفسه، فهي بالدرجة الأساس قضية هذا الكاتب أو الشاعر وتقع عليه مسؤولية ترسيخها وإشاعتها ونشرها.. وإذا حدث أن نظر بعضهم لقضية الكتابة للأطفال نظرة قاصرة فالنسبة الأكبر من مسببات هذه النظرة تكمن بالكاتب أو الشاعر الذي لم يقدم ما يقنع المقابل.. عبر كتابته ومسبباتها.. فالكاتب الذي يجهد بتقديم النصوص الإبداعية المتميزة حتماً سيصل إلى الطفل وإلى قناعة الكبير بما يكتبه للأطفال.

فبعد أن انتهت النقاشات ووصل الجدل إلى بعض القناعات ارتقت قضية الكتابة للأطفال منصة الجميع... وشكلت جانباً مهماً في الساحة الثقافية.. فبات على المعنيين من الكتاب والأدباء والشعراء الخروج من حالة التجريب وضياع المفاهيم، إلى حالة التنظير وحصول القناعات والمفاهيم الواضحة الملامح، بعد وضوح الملامح العامة لقضية الكتابة للأطفال... ولا سيما في مجال شعر الأطفال،

1- فاضل الكعبي - رأي في أدب الأطفال.

الذي بقي في دائرة ضيقة من التنظير، ولم ينل نصيباً كافياً من الاهتمام والدراسة والبحث كما حصل مع قصص الأطفال.. مع أن إسهامات المبدعين من شعراء الأطفال كثيرة، وواضحة الملامح، وتغني عشرات الدراسات التي من شأنها أن تؤسس لنظرية أو تقاليد إبداعية لحالة شعر الأطفال...

وأمام ذلك أصبحت المسؤولية كبيرة على شعراء الأطفال لا سيما الذين تركوا كل المجالات الأخرى وتخصصوا في مجال الشعر للأطفال، بات عليهم أن يرسموا ملامح تجربتهم المهمة، ويضعوا تقاليدها ومعارفها الإبداعية، وملامحها الفنية، بعد أن برزت تجاربهم، وأخذت نصوصهم الإبداعية التجريبية شرعية الوصول إلى الطفل.

إن كل ما كتب، وما قيل حول شعر الأطفال لم يكن بالمستوى الذي يؤهله لتحديد معنى المفهوم وملامح الخصائص الفنية لشعر الأطفال...

وشعر الأطفال، بمعناه الغني كشعر خاص موجه إلى الأطفال لم يبرز إلى الوجود إلا في السنوات الأخيرة، وقبل ذلك كان شعر الأطفال بصيغة أخرى مع أن الدارسين له، والمتعاملين معه يعتبرونه هكذا «شعر الأطفال» وبعد أن تطورت أساليب الكتابة والتعبير والبناء في بنية شعر الأطفال، وبعد اطلاعنا على الكثير من نماذج الشعر الموجه للأطفال قديماً، والذي كتبه شعراء كبار، أصلاً كتبوه للأطفال ليس من باب التخصص، بقدر ما هو نتاج حاصل لحالة من التعاطف مع الطفولة والأطفال، وتلبية دعوة فرضها عليهم التراث الأدبي الكبير لأدبنا العربي، وكذلك بعد التأثر بما اطلعوا عليه من نماذج من أدب الأطفال في الأدب العالمي، ولا سيما الشاعر الفرنسي «لافونتين - 1696-1620» وما كتبه من أدب للطفل على ألسنة الحيوانات.

ونظرة إلى أدبنا العربي في مجال الكتابة للأطفال، ومراجعة سريعة لتاريخ ونماذج هذا الأدب نجد أن «أحمد شوقي - 1932-1868» يعد من أوائل من اعتنى بأدب الأطفال، ومن المتقدمين في مجال كتابة الشعر للأطفال متأثراً في حكايات لافونتين وقصص «كليلة ودمنة» إلا أن شوقي يعلن صراحة تأثره في لافونتين (ولم يذكر شيئاً عن قراءاته أو تأثره فيه كليلة ودمنة» المصدر الأصيل لأدب الحيوان،

والمنبع الذي تأثر به أدباء العالم وعلى رأسهم «لافونتين» نفسه، وكذلك نجد «لافونتين» الفرنسي يعتز بتأثره بحكايا بيدبا، ويعترف بجميلها عليه، في حين أن «شوقي» - ولا بد أنه قرأها في مصدرها الأصلي «كليلة ودمنة» - يتجاهلها ولا نسمع لها منه ذكراً، وأقرب التعليلات إلى الذهن، أن «شوقي» وجد أن تأثره بحكايات «لافونتين» أقوى من تأثره بكليلة ودمنة، ذلك أن «لافونتين» بلغ بحكايات الحيوان أقصى ما قدر لها من كمال فني، فشوقي أخذ من لافونتين الخصائص الفنية والأسس والقواعد العامة لهذا اللون من الأدب، في حين أن كليلة ودمنة لم تقدم إلا مادة بعض موضوعاته التي تصرف بها بحسب مقتضيات فن أستاذه، وظلت الأسس والخصائص الفنية غريبة الوجه والصورة. ومن ناحية أخرى فإن ارتباط شوقي وهو في مطلع الحياة - إذ نظم هذه الحكايات قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره - بأديب غربي طبقت شهرته الآفاق في هذا المجال، لا بد أن يعكس عليه قدراً من هذه الشهرة، فيقبل عليه القراء، لا سيما أن الناس في ذلك الوقت قد تفتحت لهم أبواب الثقافة الغربية، فبهرتهم وخطفت أبصارهم، وجعلتهم ينظرون إلى كل ما هو غربي نظرة إكبار وتقدير)[1].

وإضافة لشوقي نظم معروف الرصافي «1877-1945» مقطوعات شعرية للأطفال... وقد سبق شوقي والرصافي شعراء عديدون منهم محمد عثمان جلال «1838-1898» في ديوانه «العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ» وفيه يترجم الشاعر أمثال لافونتين في مئتي قصة شعرية.. والشاعر إبراهيم العرب «المتوفى في عام 1927» في ديوانه «آداب العرب» الذي تضمن قصصاً شعرية على لسان الحيوانات، وكذلك الشاعر جبران النحاس في ديوانه «تطريب العندليب» عام 1940، وتضمن سبعاً وتسعين قصة شعرية مأخوذة أكثرها من أمثال لافونتين.. ثم «شاع هذا اللون من القصص الشعري فيما بعد لدى جماعة أبولو في مجلتها الأدبية التي صدرت في أيلول 1932 حتى كانون الثاني 1934، وكانت تنشره تحت باب «شعر الأطفال» ومن بين الذي نشرت لهم: الصاوي محمد شعلان، بركة محمد، علي عبد

1- د. علي الحديدي - في أدب الأطفال.

العظيم، وكامل الكيلاني، وكامل الكيلاني، وعلى الرغم من صدور عدد آخر من الدواوين إلا أن محمد الهراوي «1885-1939» يعد أول من انصرف بجد نحو شعر الأطفال فأبدع مقطوعات شعرية يتناسب كثير منها مع مستويات الأطفال الإدراكية واللغوية)[1]..

إلا أن ما كتبه هؤلاء لم يتعد المدارس أو ما يسمى بـ «الشعر التعليمي» الذي لم يخرج عن نطاق المدرسة، وتوجهاتها وخططها التربوية..

بعد هذه المجموعة من الشعراء جاء الشاعر الكبير سليمان العيسى المولود عام 1921، ليتفرغ لشعر الأطفال ويبدع فيه الكثير.. حتى يبلغ إبداعه عشرات الدواوين المخصصة للأطفال.. مع أنه في الكثير من قصائده للأطفال استخدم ألفاظاً يصعب على الطفل فهمهما وتوضيح معانيها - وحين سئل العيسى عن سبب ذلك قال: (ربما تعمدت الرمز، والصعوبة في الألفاظ، والغرابة في بعض الصور، ربما كانت بعض العبارات فوق سن الطفل، كل ذلك أتعمده وأقصده في كثير من الأناشيد، لإيماني بقدرة الطفولة على الالتقاط، والإدراك بالفطرة، صغارنا يفهمون بإحساسهم المتحفز أكثر مما يفهم الكبار أحياناً بعقولهم الصلبة المرهفة.. وهدف آخر أريده من هذه الكتابة لعله أهم ما يدفعني إلى أن يكون نتاجي كله شعراً حتى الآن... إنه الموسيقى.. أريد أن يصغي الصغار للحفظ والغناء... أكتب لهم أناشيدي ومسرحياتي الشعرية قبل أن تكتب للقراءة والفهم والتفكير، ولتبق بعض الصور صعبة غامضة لتظل في أعماق الطفل كنزاً صغيراً يشع ويتفتح باستمرار، ويوحي له على مر الأعوام.. عندما يكبر ستكون له هذه الأسرار الغامضة زاداً له، وذخيرة متواضعة، يضيف إليها ما يشاء ويبني فوقها ما يشاء»[2]...

وسليمان العيسى ما إن يُذكر شعر الأطفال في وطننا العربي حتى يذكر اسمه ونتاجه في مقدمة هذا الفن الأدبي الصعب. ويدين له بالفضل الكبير،

1- د. هادي نعمان الهيتي - أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه.

2- سليمان العيسى - الموقف الأدبي، عام 1974.

والقدرة الفائقة على نشره وجعله ظاهرة أدبية راسخة في الحياة الثقافية، ومصدراً مهماً من مصادر الطفل الثقافية والتربوية.. ولقد (أدرك سليمان العيسى وهو يبدع القصيدة للطفل، عناء التعامل مع تبسيط الكلمة العربية، لذلك فقد وضع معاييره السالفة الذكر تلك التي تجعل الغموض أو الصعوبة في تلقي طرف من أطراف المعادلة الشعرية، فالطفل في بداية التلقي قد يكتفي أحياناً من الفهم بالترنم والدندنة، وبتنغيم الكلمات الموزونة كخطوة أولى نحو معرفة محتوى النص الشعري، ولا شك أنه قد وجد في نفسه عملية الاختبار أدش حيرة في التعامل مع القصيدة التراثية ومحاولة تقريبها إلى وجدان الطفل، وكان الثبات والاستعصاء على التغير أو التحوير أهم أسباب الحيرة)[1]، وقد سبق له أن جسد كل أفكاره للطفل في ديوانه الكبير «ديوان الأطفال»[2]، الصادر بطبعته الأولى عام 1969، وقد كتب في غلافه الأخير «هذا الديوان أول ديوان في الأدب العربي يكتب للأطفال». ولا أدري كيف كتبت هذه العبارة وهناك دواوين عديدة سبقته للأطفال... المهم أن سليمان العيسى أبدع في هذا المجال الكثير، أبرزها ديوانه الكبير «غنوا يا أطفال»[3]. وديوانه الكبير الآخر «شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال)[4]، الذي تحدث فيه الشاعر إلى الأطفال عن سبعة وعشرين شاعراً من أهم وأبرز الشعراء العرب منذ الجاهلية إلى أواخر عصور الازدهار الإسلامية.

وقد قدم الشاعر العيسى هؤلاء الشعراء بأسلوب شيق ومبسط يجعل الأطفال يقتربون أكثر من قيمة الشعر العربي، وإنجازات هذا الشعر المهمة في التراث العربي...

وفضلاً عن هذه الدواوين وغيرها العشرات، قدم عشرات المسرحيات الشعرية الجميلة للأطفال أخذت مجالها الوسع في عالم الأطفال...

1- د. عبد العزيز المقالح - الوجه الضائع، دراسات عن الأدب والطفل العربي.
2- سليمان العيسى - ديوان الأطفال - دار مكتبة النوري.
3- سليمان العيسى - غنوا يا أطفال - دار الآداب.
4- سليمان العيسى - شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال - دار الآداب.

ومن القصائد الجميلة التي كتبها الشاعر الكبير سليمان العيسى للأطفال قصيدة «حروفنا الجميلة» التي تشكل حصيلة تلقائية ورقصة إيقاعية تجذب الطفل إلى عالمها وحفظ معانيها التي تتجسد بجمالية الحروف العربية الجميلة «الألف باء» وتجعل هذه الحروف في أسلوب طيع، سهلة الوصول للطفل وتقبلها. بواسطة طريقته بالتناول حيث يقول فيها:

ألــف بــاء   تــاء ثــاء

هيــا نقــرأ   يــا هيفــاء

ألــف.....   أبنــي

بــاء...   بلــدي

بيــدي بيــدي   أبنــي بلــدي

تــاء   تعــدو

نحــوي   وعــد

قالــت: مــاذا   يــأتي بعــد؟

ثــاء   ثــورة

تحيــا   الثــورة

جــيم حــاء   خــاء دال

هيــا ننشــد   يــا أطفــال

جــيم ...   جبــل

حــاء...   حمــل

خــاء...   خــالي

رجــل...   فعــال

جــاء الــدال   يــا أطفــال

قــال ســلاماً   ردت مامــا

ذال   راء   زاي ســين

ســوف نكــون   المنــتصرين

ذال ذهبـــــــــــوا

راء رســـــــــــبوا

زاي زارا

عمـــــــــــــي الـــــــــــــدارا

حيينــــــــــــاه صـــــــــــافحناه

قلنـــــا أهـــــلاً يـــــا عـــــماه

شـــــين صـــــاد ضـــــاد طـــــاء

بعـــــد الطـــــاء تجـــــيء الظـــــاء

غنـــــي معنـــــا يـــــا لميـــــاء[1]

وهذه القصيدة مع سلاستها وجـمال معانيهـا، وجرسـها الموسـيقي، إلا أنهـا طويلـة، ولا يمكـن للطفل حفظها بسهولة، في بادئ الأمر، دون الاستعانة بالموسيقى والتلحين، وحفظها بشـكل تـدريجي.. ومن ثم التفاعل معها وجهاً لأنها تمثل حصيلة مهمة لمعاني وتسلسل الحـروف العربيـة، التـي يتطلـب من الطفل معرفتها وحفظها لإغناء معارفه وقاموسه اللغوي... الذي تشكل «الألف باء» أهم عناصره..

وسليمان العيسى يعد رائد المدرسة الحديثة «إن صح التعبير» في شعر الأطفـال بعـد أن كانـت قصائده، وأفكاره، وأسلوبه، مناهج متقدمة في شعر الأطفال، انطلق منها العديد من الشـعراء الشـباب العرب للكتابة للأطفال.. وترسيخ تجاربهم في هذا المجال.. وأعترف (أننـي عنـدما بـدأت كتابـة الشـعر للأطفال منذ عام 1975، كنت خائفاً من هذا المجال الصعب.. وكنت أستمد العزيمة من براءة الأطفال، وأستمد القوة من شعر سليمان العيسى، فكان هذا الشاعر الكبير المعلم الأول لي في هذا الاتجاه، حتـى بدأت تجربتي تنمو شيئاً فشيئاً، وتأخذ ملامح تعبيرية جديدة غير التي وجدتها عند العـيسى، إلا أننـي للآن أدين للعيسى ودوره الكبير، في توسيع قاعدة شعر الأطفال وانتشارها في جميع الأقطار العربية)[2].

1- سليمان العيسى - الأعمال الكاملة.

2- فاضل الكعبي - رأي في أدب الأطفال.

ومن هذا المنطلق لزاماً علينا أن نراجع ونستقرئ أفكار سليمان العيسى حول شعر الأطفال، وكيف يعبر عن مفهوم وخصائص شعر الأطفال.. حيث يقول: «الشعر الحقيقي، وأعني الشعر السهل الصعب، القريب البعيد، في وقت واحد، سهل.. لأن الصغار يغنونه ويحفظونه في الحال، وصعب.. لأن بعض معانيه وصوره تظل غامضة، بعيدة عن مداركهم بعض الشيء، وقد تعمدت هذه السهولة والصعوبة في شعر الأطفال وسميتها «المعادلة الشعرية الجميلة» معادلة... أبذل جهداً كبيراً كي أحققها في كل نشيد، بل في كل بيت أحياناً، على قدر ما أستطيع، وأحرص أن تكون في النشيد الذي أكتبه للصغار العناصر التالية:

1- اللغة الرشيقة الموحية، الخفيفة الظل، البعيدة، التي تلقي وراءها ظلالاً وألواناً وتترك أثر عميقاً في النفس.

2- الصورة الشعرية الجميلة التي تبقى مع الطفل طوال حياته.. مرة ألتقطها من واقع الأطفال وحياتهم، ومرة أستمدها من أحلامهم وأمنياتهم البعيدة.

3- الفكرة النبيلة الخيرة، التي يحملها الصغير زاداً في طريقه وكنزاً صغيراً يشع ويضيء.

4- الوزن الموسيقي الخفيف الرشيق الذي لا يتجاوز ثلاث كلمات أو أربعاً في كل بيت من أبيات النشيد، والموسيقى رئة الشعر العربي التي يتنفس بها وسر جماله وبقائه وأثره في الأجيال...

وبهذه العناصر أو المعادلة الرباعية في القصيدة، إنما يضع مفهوماً ومعياراً لخصائص شعر الأطفال ويحدد سمات هذه العناصر ومسألة التشابك والتزاوج بينها حينما يضيف إلى قوله: (إنني أحرص أن يتشابك في النشيد الذي أكتبه للصغار الوضوح والغموض، الواقع والحلم، المحسوس والمعقول، الحقيقة والخيال). وهكذا يضعنا الشاعر الكبير سليمان العيسى أمام التعريف الدقيق لشعر الأطفال واهم ملامح هذا الشعر، والوقوف على حقيقته، ومفهومه وخصائصه في عالم الأطفال..

فالسؤال المطروح دائماً، والذي يثير الكثير من الجدل، أمام المعنيين وغير المعنيين هو: هل بالضرورة أن يكون للأطفال شعرهم الخاص، كما هو حال الشعر بكيانه وخصائصه ومفاهيمه في عالم الكبار؟.

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: بما أن الإنسان هو كائن مرحلي، يتدرج نموه، ووجوده ضمن مراحل عديدة منذ الولادة حتى الشيخوخة، وهذه المراحل هي التي تحدد سمات شخصيته، ووجوده، وتطوره، لذلك درس علم النفس هذه الشخصية، ووضع تفسيرات السلوك وخصائصه التطورية وفق المراحل العمرية، التي يمر بها هذا الإنسان... وعد مرحلة الطفولة من أخطر وأهم مراحل النمو التي تحدد شخصية هذا الإنسان، وما يجب أن يوجه به الإنسان وما يوضع له من المقومات الثقافية والفنية والعلمية والاجتماعية، يجب أن يوجه به ضمن مرحلة الطفولة، وبحسب خصائص ومفاهيم هذه المرحلة.. وكما أن للكبار ثقافتهم، وفنونهم، وآدابهم للأطفال نصيب منها.. ولكن بشروط وسمات وخصائص تختلف تماماً عن حالها في مراحل الإنسان المتقدمة...

ومن هنا تأتي أهمية وخصوصية شعر الأطفال في حياة الطفل، فهو لم يأت إقحاماً أو ترفاً في عالم الطفل... إذ أن شعر الأطفال يشكل أحد أهم الموجهات الثقافية في لغة الخطاب التربوي، ويستهوي اهتمام الأطفال، ويجعلهم يحفظونه ويرددونه ببساطة، بعد أن يكتسب شروطه ومقوماته من واقع الأطفال وعالمهم...

وشعر الأطفال، يتسم بالكثير من الخصائص أبرزها تتجسد بالإيقاع الراقص، والأوزان الخفيفة والكلمات القصيرة، والمؤثرة، التي لا تتشعب بالتفاصيل العميقة، والكبيرة التي يضطلع بها شعر الكبار، فالشعر الأقرب إلى الأطفال، ذلك الشعر الذي يجعلهم يحلقون في خياله، وجماله، ويرقصون معه، ويرددون أبياته بسهولة.. مما يشكل جزءاً من حياتهم وحاجاتهم الثقافية..

وشعر الأطفال (إضافة على أنه يلبي جانباً من حاجاتهم الجسمية والعاطفية، فهو - باعتباره فناً من فنون أدب الأطفال - يسهم في نموهم العقلي والأدبي والنفسي

والاجتماعي والأخلاقي)[1]. ويساعد على تطوير قابلياتهم في الأداء والحفظ وتحسين النطق.

مع أن قدرة الطفل على حفظ قصيدة ما وترديدها لا يعبر عن وصول هذه القصيدة إلى مستوى إدراكه وتذوقه. إنما يأتي ذلك من باب التقليد والترديد اللاواعي، ودخول هذه القصيدة أو تلك المقطوعة إلى ذهنية الطفل وقيامه بترديدها دون معرفة سابقة بمعانيها ومؤثراتها، كما حدث مع الكثير من الأطفال الذين نجدهم يحفظون ويرددون العديد من القصائد والمقطوعات الشعرية والتي كتبت أصلاً للكبار.. ويحسون بعدم جدواها لهم عندما يصلون إلى مرحلة الإدراك... وتذكر ما كانوا يحفظونه من مقطوعات شعرية وغنائية طارئة على مداركهم وفهمهم، فيحاولون محوها من ذاكرتهم والبحث عن البديل عنها الذي يستجيب لخصائصهم وأذواقهم ومتطلبات وعيهم.

ويمكن أن نعزو تأثر الأطفال، وحفظهم وترديدهم للمقطوعات الشعرية والغنائية المفروضة على مداركهم من عالم الكبار، يعود سببه إلى وقوعهم تحت التأثير القوي لهذه المقطوعات أولاً.. وغياب شعر الأطفال، وقصوره عن الإشغال الكامل لمساحة الطفولة نهائياً...

فوجود شعر الأطفال في حياة الطفل، بالقوة نفسها التي توجد فيها المقطوعات الشعرية والغنائية المحيطة بهم من عالم الكبار، يجعلهم أكثر حصانة في التذوق والاستجابة وحفظ ما يستجيب لهم...

والأكثر تأثيراً في نفوس الأطفال، الشعر الذي يأنس له الأطفال لطبيعته الإيقاعية، المنسجمة مع طبيعتهم الإيقاعية... التي تساعد على نمو الطفل، وزيادة قابلياته الحركية واللغوية والجسمية...

إن الطفل (بالنسبة للمعنيين والشاعر واحد منهم، يتدرج على مستويين، المستوى الأول يتعلق بملكته اللغوية، والثاني يتعلق بدرجة نضوجه العقلي، وتوازنه النفسي، لذلك فمن غير المقبول أن يعامل على أساس كونه كائن

1- د. هادي نعمان الهيتي - أدب الأطفال.

استهلاكي بقدر ما هو على حقيقته كائن منتج، يتطور باستمرار على صعيد قدراته الإنتاجية، اللغوية والشعورية، لقد انتبه علماء نفس الطفل إلى أهمية التعامل مع الطفل ككيان متكامل، منفرد بخصائصه التي تنطوي على فهم متميز للعالم ومختلف، وليس ككيان مصغر، أو على أحد تعبيرهم كرجل صغير، وهذا بالضبط ما يجب أن يضعه شاعر الأطفال في المقدمة من الاعتبارات، فالقصيدة التي تكتب للطفل، وهو في مختلف مراحله العمرية ينبغي أن تكون متمثلة وممثلة لهذا العالم، والاعتبار الأول أقوى من الاعتبار الثاني فمن المهم أن يشعر الطفل أن الخطاب موجه له وليس على القدر نفسه من الأهمية أن يكون الخطاب معبراً عنه)[1]. فهناك اختلاف كبير، ما بين الكتابة عن الطفل، وبين الكتابة للطفل...

الكتابة عن الطفل تعني بشكل مختصر، التعبير بلغة الكبار عن الشكل الخارجي لعالم الطفولة، بينما الكتابة للطفل، تعني التعبير عن الطفولة من عمق الطفولة وحاجاتها وخصائصها، وبلغة تنسجم وخصائص كل مرحلة من مراحل الطفولة...

ومع كل المزايا والخصائص التي يتصف بها شعر الأطفال ووضوح مفهومه أمام الجميع، نجد الكثير من القصائد الموجهة للأطفال، قديماً وحديثاً، بعيدة، كل البعد عن عالم الطفولة، ولا يجد الطفل فيها ما ينمي خياله، ويثير انفعالاته وإحساسه بالجمال والمتعة والتعلم... وجاءت هذه القصائد مقحمة بالصور والمعاني والكلمات التي لم يجد الطفل فيها أي مدخل لفهمها... ولم تصل إلى عالم الطفل ومخاطبته بالطريقة التي وجد من أجلها شعر الأطفال.. حيث إن الأطفال (يقبلون على الشعر البسيط الذي يروي قصة، ويكون فكاهياً مرحاً كما أنهم يفضلونه في صورة «غناء» أو «نشيد» كما أنهم يميلون إلى أن يكون قصيراً، ومعظم الشعر الفكاهي للأطفال يدور حول الحيوان، ونحن نعرف أن الطفل يحب القصة فإذا ما اجتمعت هذه العناصر،

1- فاروق يوسف - 50 قصيدة للأطفال.

الشعر، والفكاهة، والحيوان، والقصة، فلا شك أننا سنجتذب إلينا الطفل ونكسبه إلى صفنا)[1].

وهذه العناصر «الشعر، الفكاهة، الحيوان، القصة»، قد تجسدت في قصائد شوقي للأطفال، فكانت مصادر شعره للأطفال: هي حكايات لافونتين كما ذكرنا، والقصص الديني، والتراث العربي.. وتجاربه الخاصة (وكان شوقي مبدعاً وخلاقاً في الكثير من مقطوعاته الشعرية للأطفال ولقد لقيت هذه القصائد الكثير من اهتمام المدارس والهيئات والجماعات... وكان الأطفال يغنونها في المناسبات، وينشدونها في الحفلات وقد حفظوها عن ظهر قلب، وأحبوها كثيراً على الرغم من أنها مباشرة، والصور الشعرية فيها قليلة، فإنها كانت موضع عناية الآباء والمعلمين وكان يسعدهم أن يستمعوا إليها من أبنائهم، كما كان الأبناء فخورين بترديدها كلما أتيحت لهم الفرصة لذلك)[2].

غير أن هذه القصائد، فيها الكثير من المعاني والمفردات التي يصعب على الطفل فهمها، وما عادت تستهوي أطفال اليوم بعد تطور مستوى وطبقات شعر الأطفال، وأساليبه التعبيرية، وهناك في شعر أحمد شوقي للأطفال (قصائد لها فلسفتها التي قد تصلح للكبار وتمتعهم غير أنها لا تتفق مع المفاهيم والقيم التي تسعى لغرسها في نفوس الأطفال، وخير مثال لذلك مقطوعة جميلة بحق يتحدث فيها شوقي عن ساعته)[3].


لي ســـــاعة مـــــن معـــــدن
لا يقتنيهـــــا مقـــــتن
تعجـــــل دقـــــاً وتنـــــي
مثـــــل فـــــؤاد المـــــدمن

1- عبد التواب يوسف - ديوان شوقي للأطفال.
2- المصدر السابق.
3- المصدر السابق.

مثـل هـذه المفـردات والمعـاني لا يمكـن أن يصـل إليهـا الطفـل ويفهمهـا، ولا يمكـن أن تصـلح للأطفال، أو تحسب هذه المقطوعة ضمن شعرالأطفال...

وفي شعرنا الحديث هناك الكثير من القصائد التي كتبها الشعراء، لا يمكـن أن تصـلح للأطفـال، مع أنها استخدمت بعض عناصر شعر الأطفال، إلا أنها جاءت جامدة وعبرت بمفردات وتركيبات صـعبة عن مرحلة الطفولة...

اللعب والتنغيم
في شعر الأطفال

يعد اللعب والتنغيم في شعر الأطفال من العناصر المهمة التي تجذب الأطفال إلى هذا الشعر الذي يعتبر الطفل مصدره الأول، فالطفل يستهويه التنغيم اللفظي والحركي فهو بطبيعته يميل بشكل عفوي إلى هذا الجانب، لأنه يرى فيه ملاذه، وإسعاده.

إن الجانب المهم الذي يجعل الأطفال ينجذبون إلى شعر الأطفال هو (الاقتضاب، إلى جانب الاتجاه المباشر عند بحث الأشياء التي يألفونها، ثم إنه لا توجد قيود على الموضوعات التي يعالجها الشعر، إذ أنه يعالج أي شيء تحت الشمس، ولكن الطريقة التي ينبغي أن يعالج بها هذه المحتويات هي التي تخضع للتحديد، فالقدرة الفنية تقتضي التعبير عن الكثير في كلمات قليلة واستثناء عدد كبير من الخبرات في سطر واحد، وتوضيح أن ما ترك دون ذكر، لا يقل دلالة عما ذكر، وكل يحتاج إلى مهارة فائقة في استخدام الكلمات، وإذا كانت القافية والنغم والأسلوب - مع ما لها من أثر في التركيز المطلوب - عناصر مقيدة للشاعر، فإنها في الوقت نفسه ذات أثر كبير في إرشاد المستمع أو القارئ، ويستطيع المعلمون أن يعينوا الأطفال على أن يحبوا الشعر، على ضوء مساعدتهم على إدراك الحقيقة التالية: وهي أن الشاعر يكتسب صفته كشاعر لأنه يرى أكثر من غيره، ولأنه يستطيع أن يتحدث عما يراه بأكثر الطرائق اختصاراً وأقربها إلى الموسيقى)[1]... بكل ذلك مع مزايا أخرى يتصف بها الشاعر الذي يكتب للأطفال. يستطيع أن يجذب الأطفال على ما يكتبه لهم ويتعلم من عالمهم ليقترب منهم أكثر، فالشاعر

1- عبد التواب يوسف - ديوان شوقي للأطفال.

بإمكانه أن يفتح أبواب اللعب والمتعة أمام الأطفال عبر القصيدة، ويجعل الأطفال يرقصون، ويعلبون طرباً ولهواً على وقع الكلمات وأنغامها... فالطفل (حتى وعمره عام واحد، يتوقف عن حركاته واهتزازته إذا سمع مقطوعة من الشعر، منغمة ملحنة، موقعة، مغناة، ويعدها قد تضيء وجهه ابتسامة حلوة الأمر الذي يؤكد التأثر السحري للشعر، ولو أننا أعدنا على مسمعه ذات المعاني من دون تنغيم أو توقيع، فلن يعيرها اهتماماً أو التفاتاً.. والصغار الذين يتقافزون كالقرود، لو قرأنا عليهم شعراً جيداً لاستكانوا، وهدؤوا وثبتوا في أماكنهم وتوالت على وجوهم ألواناً شتى من الانفعالات، وسرعان ما تلتصق بآذانهم فيرددونها، حتى لتصبح جزءاً لا يتجزأ من مكوناتهم ولا ينسونها أبداً)[1].. لأنها أصبحت من ممتلكاتهم مثل اللعبة التي لا يستغنون عنها...

فالشعر الذي يمنح الطفل اللعب والتنغيم يكون أقرب إلى نفسه من غيره.. وكثيراً ما نجد أطفالاً وهم يلعبون ويرقصون حين نسمعهم قصيدة تحمل مواصفات اللعب والتنغيم.

وهناك قصائد كثيرة في شعر الأطفال الحديث. تمثل هذا الاتجاه، وتشكل عند الأطفال حلقة من اللعب والمتعة بعد تمثيل روح القصيدة فيما بين الأطفال. وتصبح لعبة منغمة يرافقها الإنشاد والرقص والتمثيل... فضلاً عن جملها ومفرداتها الإيقاعية الراقصة...

والأمثلة على ذلك كثيرة، نورد هنا بعضاً منها في هذه النماذج التي تمثل هذا الاتجاه.

فمن قصيدة «هل تعرف»:

تعـــــال يـــــا ســـــمير

وأنـــــت يـــــا ســـــميرة

وأنـــــت يـــــا نمـــــير

وأنـــــت يـــــا نمـــــيرة

1- عبد التواب يوسف - ديوان شوقي للأطفال.

عنـــــدي لكـــــم حــــزورة
خفيفـــــــة مســـــــــتورة
إذا عـــــــــرفتم حلهـــــــا
ولونهـــــــا وشـــــــــكلها
أعطيـــــــــتكم هديـــــــة
حـــــــــلاوة لوزيــــــــــة
لذيـــــــذة بطعمهـــــــا
ترضـــــيكم بحجمهـــــا
ملفوفــــــة بــــــالورق الــــــ
ــــــزاهي الجميــــــل الفســــتقي
فـــــما اســـــم شيء يؤكـــــل
لـــــيس لديـــــه أرجـــــل
لــــــه قشـــــور تلمـــــع
مـــــــدورات أجمـــــــع
يعــــــيش في المــــاء فقـــــط
حروفـــــه بــــــلا نقــــــط؟[1]

ومن قصيدة «أنا الشجرة»:

دوروا حـــــولي فأنــــا شـــجرة
أعطـــــــــي خشـــــــباً
أعطـــــــــي حطبـــــــاً
أعطـــي ظـــلاً، يعطـــي ثمـــرة[2]

1- باقر سماكة - قصيدته «هل تعرف».
2- عبد الجبار العاشور - قصيدته «أنا الشجرة».

ومن قصيدة «طيارة الورق»:

ارتفعـــــــــــي في موجـــة الهـــواء
ورفـــرفي وانـــدفعي كـــالطير في الفضـــاء
ارتفعـــــــــــــــــــــــــــــي
ارتفعـــــــــــــــــــــــــــــي
خيطـك مـا زال معـي وأنـــت تبعـــدين
عقدتــه بإصـــبعي فـــأين تهـــربين؟
ارتفعـــــــــــــــــــــــــــــي
ارتفعـــــــــــــــــــــــــــــي
إيـــاك أن تمـــيلي بـــذيلك الطويـــل
فيحـــــــــدق الخطـــــــــر[1]

ومن قصيدة «أرجوحة الهواء»:

دار يــــــدور الـــــدار
وتـــــدور الأقـــــمار
حـــــــول لياليـنـــــا
خـــــذنا يـــا تيـــار
خـــذنا ليـــل نهـــار
نتـــأرجح في الـــريح
نهـــبط ثـــم نصـــيح...
خـــذنا فـــوق الـــدار
مـــن فـــوح دوار[2]...

1- عبد الرزاق عبد الواحد - قصيدته «طيارة الورق».
2- فاروق سلوم - قصيدته «أرجوحة الهواء».

ومن قصيدة «طائرتي الورقية»:

طـــــــــائرة مـــــــــن ورق	قـــــد حلقـــــت في الأفـــــق
بـــــالخيط لـــــو مـــــددتها	تطـــــير نحـــــو الشـــــفق
تجـــــــاور النجومـــــــا	وترتقـــــــي، وترتقـــــــي
أكـــــــاد لا أراهـــــــا	ابتعـــــدت عـــــن حـــــدقي
كأنهـــــــا نسر عـــــــلا	أو كـــــــائن لم ينطـــــــق
لكنهـــــــا في نظـــــــري	كطـــــــائر محلـــــــق
تطيـــــــل في تحليقهـــــــا	مسرورة في العمـــــــق
وبعـــــــد ســـــــاعتين	تشـــــــتاق لي في الطـــــــرق
تعـــــود نحـــــوي مسرعـــــة	تحضـــــــنني فنلتقـــــــي[1]

وهناك نماذج أخرى كثيرة في شعر الأطفال، كأمثلة على اتجاه اللعب والتنغيم في شعر الأطفال لا مجال لحصرها هنا... المهم في هذا الجانب أن صفة اللعب والتنغيم في شعر الأطفال صفة أساسية لشد الطفل وتفاعله مع عوالم القصيدة التي تمنحه سعة من الانطلاق والإيقاع... ورقصة الأصوات المنغمة التي تداعب مشاعره، وتراقص كيانه. عبر حركات القصيدة الإيقاعية، فأساس اللعب هو التنغيم والإيقاع الموسيقي، والتفاعل مع الموسيقى يمثل المدخل إلى التهيؤ إلى اللعب في إطار الموسيقى التي هي (لغة النغم التي تتخذ لها شكلاً فنياً خاصاً من أشكال التعبير، أو هي شعر يتخذ من الأنغام بديلاً عن الألفاظ، فأنغام الموسيقى هي عبارات لحنية تنطوي على ما للكلمات من معان، وعلى هذا فالموسيقى هي بناء أدبي يخاطب عقول الناس ومشاعرهم فتتحرك له وتتأثر به.. وحين يوقع الطفل بعض الإيقاعات أو يردد بعض الأنغام أو الأغنيات، فإنه يمارس لوناً من ألوان اللعب في الأصوات، واللعب في حد ذاته حاجة من حاجاته الأساسية له دوره في إثراء عالمه المادي والخيالي)[2] ويجعله أكثر قدرة على استقبال المعارف واكتساب المهارات،

1- فاضل عباس الكعبي - قصيدته «طائرتي الورقية».

2- د. هادي نعمان الهيتي - أدب الأطفال.

والتحكم في رغباته وتطلعاته التي تبدأ بـالنمو والتطـور، كلـما تواصـل باللعـب وحصـل عـلى حركـات وتشكيلات وعناصر جديدة في اللعب الجديدة..

واللعب بصورة عامة (يعبر عن الحالة النفسية للطفل تعبيراً صادقاً لما يمتاز بـه مـن صـفات الحرية والتلقائية المصحوبة بالمتعة وهـو يـدفع الطفـل إلى الاسـتمتاع والفحـص والتنقيـب والابتكـار، ويكسبه الخبرة تلو الأخرى، ويسهم في نمـوه، ولهـذا يعتـبر اللعـب وسـيلة للنمـو، وهـو رمـز للصـحة النفسية السليمة، إضافة إلى كونه نوعاً مـن أنـواع العـلاج الـنفسي لأنـه وسـيلة لمعالجـة الأطفـال غـير الأسـوياء بتعـديل سـلوكهم وحـل مشـكلاتهم)[1]. وجعلهـم أكـثر اتزانـاً مـع محـيطهم وفي مجـتمعهم وعلاقاتهم الاجتماعية...

وعبر الميول التي توضحت لدى الأطفال لاحظنا أن اللعب والتنغيم أكثر استجابة لميول الأطفال في التفاعل مع شعر الأطفال، ولهذا فقد سعى الكثير من الشعراء إلى ترسيخ هذه العنـاصر في شـعرهم للأطفال... إلا أن الكثير منها جاءت رتيبـة ودخـول التنغـيم والأصـوات التنغيميـة جـاء جامـداً، فجعـل الأطفال يشعرون بالضـجر والملـل إزاء هـذا الأسـلوب الـذي لم يخلـق التفاعـل الموسـيقي بـين الإيقـاع الموضـوعي للقصـيدة والإيقـاع الـنفسي للطفـل، فـالتنغيم الرتيـب (يحقـق عـزلاً للطفـل عـن واقعيـة ما يسمعه من أصوات، الأمر الذي يجب التصدي له بعنف، ذلك أن انـدماج الطفـل بالعـالم لا يـتم إلا عبر شعوره بقدرته على احتواء العالم والتحكم به، والصوت من أهم العنـاصر التـي ينبغـي للطفـل أن يتحكم بها تواصلاً مع العالم المحيط... لقد انعكست التطورات الهائلة التي طرأت عـلى بنيـة القصـيدة العربية في العصر الحديث على بنية قصيدة الطفل، فصار الشـعراء يكتبـون قصـائدهم بثقـة وبحريـة منحتهم قدرة كافية على التنويع بالأصوات، فباتت قصيدة الطفل اليوم، لا تحدث دويـاً، وصـخباً، عـبر إيقاعها المنتظم، بل تتسلل بهدوء وبرقة إلى الطفـل لتعـبر عـن حاجتـه وعـن اهتماماتـه الصـوتية)[2]. وميوله الإيقاعية التي تنطلق من ذاته لتنظيم سلوكه وحركاته في المجتمع.

1- سهير أحمد - تربية الطفل عن طريق اللعب.

2- فاروق يوسف - 50 قصيدة للأطفال.

وضمن محور التنغيم وتفاعل الأصوات داخل القصيدة برز الشاعر فاروق سلوم في هذا المجال، فقد نجح باستخدام الإيقاعات وعني بفنية القصيدة عناية كبيرة... ففي حديث معه عن قصته مع شعر الأطفال يقول: (في كتاباتي كنت أحاول دائماً أن أصل إلى صيغة مقنعة في إطار الكتابة للأطفال، كنت مقتنعاً منذ البداية أن الأطفال الذين فوق التاسعة تستدعي مخاطبتهم شروطاً فنية غير تلك الشروط التي تستدعيها مخاطبة الأطفال دون هذا السن، لذلك أشعر بتوافق مع الأطفال الذين تقع أعمارهم بين الثالثة والسابعة، وهكذا أجدني حراً طليقاً في الكتابة لهم، استخدمت الأصوات التي توحي بالمعاني، وهو حقل طيع لا يستدعي الكشف عنه أي جهد استثنائي، إلا أن هناك الأصوات التي تسمى اصطلاحاً «ننسنس» صحيح أنها متداولة شعبياً مثل «حادي بادي» و«تاتي توّاتى» إلا أن ظروف انتشارها تتسم بنوع من المواجهات، مع الجهات الوسيطة[1] بين الشاعر والأطفال، إن قصيدة الطفل هي احتراق بمعنى حقيقي، البحث عن المفردة الملائمة، الخوف من السقطة، النحت في جسد القصيدة بحيث تكون مقبولة وسيالة)[2]...

ومن قصائد التنغيم والإيقاع الصوتي في شعر الأطفال، كأمثلة على ما ذهبنا إليه سابقاً القصائد التي أخذت الحروف في التنغيم وتصوير الإيقاع والمعنى، وهي طريقة تنطلق من قدرة الطفل اللغوية وتلاعبه العفوي بالألفاظ...

1- «الجهات الوسيطة بين الشاعر والأطفال» هي الأب أو الأم أو المعلم أو المربية، الذين يقرؤون أو يقدمون القصيدة للطفل، وكثيراً ما يساء فهم القصيدة بواسطة هؤلاء الذين يقصرون في إيصال القصيدة إلى الطفل كما يجب، إذ أن ذائقتهم أحياناً تتحكم بنوع الشعر الذي يقدمونه إلى الأطفال، وما يسعى إليه شاعر الأطفال دائماً هو إلغاء الوسيط بينه وبين الطفل، وهذا أهم ما يتمناه الشاعر لوصول شعره إلى الطفل مباشرة... لذلك يسعى الشعراء إلى الكتابة الحقيقية التي تنتقل من الشاعر إلى الطفل مباشرة.. أما في حالة دخول الوسيط وفي معظم الأحيان لا بد منه، لأنه مفروض الوجود في العملية التربوية أو في حصول المتعة لدى الطفل الذي لا يستطيع الاتصال بوسائله الثقافية أو اختيار شعره دون مساعدة المعلم أو الأب أو الأم أو المربية... فإن على الوسيط أن يجعل الطفل طيعاً ولا يفرض عليه النوع الذي يتمناه الوسيط دون رغبة الطفل، بل يجعل دوره - أي الوسيط - وسيلة توصيل وتحبيب ولا يتحكم بالطفل حسب ذائقته ومعارفه، بل يجعل الطفل مهيأ للوصول إلى الشاعر وشعره دون عناء...

2- طلال حسن - مقابل مع فاروق سلوم.

فمن قصيدة «القنفذ والشتاء» التي جسدت الانسجام الكامل بينها وبين الطفل بمستوى متقدم جعلها تعد من القصائد الجميلة والمتميزة في شعر الأطفال:

عطـــــــــس القنفـــــــذ
آتشـــــــــو... آتشـــــــــو
والبطـــة قالـــت: آمشـــو... آمشـــو،
الـــــــــــــــــــــبرد أتى...
الـــــــــــــــــــــبرد أتى
وطريـــــق الـــــدرس طويـــــل
ومشـــــينا مثـــــل الجنـــــد
للـــــدرس فيـــــا للســـــعد
ولبســـــنا ضـــــد الـــــبرد
أصـــــــــوافاً وسراويـــــــــل
والقنفـــــذ يلهـــــو يلهـــــو
بـــــــالبرد... وبالأمطـــــــار
فتعجبـــــــــت الأطيـــــــار
قالـــــت: مـــــن يتعـــــد الحـــــد
سيصـــــاب بضربـــــة بـــــرد
وســـــــــــــــــيعطسُ:
آتشـــــــــــــــــــو...
آتشـــــــــــــــــــو[1]

وفي قصيدة «قصائد الصباح» يستخدم الشاعر دقات الساعة في حوارية مع الأطفال ودعوتهم إلى استقبال الصباح الجديد:

1- فاروق سلوم - قصائدي للأطفال.

تـــــك... تـــــك... تـــــاك

هيـــا أصـــحو.. ودعـــوا النـــوم

مـــا أحلاهـــا الشـــمس اليـــوم

مشرقـــــة خلـــــف الشـــــباك

تـــــك... تـــــك... تـــــاك[1]..

وفي قصيدة «قال الدش» يتمثل الشاعر صوت الماء في لغة طيعة:

قـــــــال الـــــــــدش:

شُـــشْ شُـــشْ شُـــشْ... شـــاء

أطيـــــب مـــا في الأرض المـــاء[2]

وفي قصيدة «أغنية القطار» ينقل الشاعر صوت القطار إلى أسماع الأطفال هكذا:

تـــــــوت... تـــــــوت

صـــــوت غنـــــى في الأســـــفار

صـــــوت قطـــــــار

مـــــــر سريعـــــــاً

مـــــــر طـــــــويلاً

مثـــــــل الحـــــــوت

تـــــــوت... تـــــــوت

حلـــــــو المركـــــــب...

يـــــأتي يـــــذهب[3]..

1- حسن دكسن - ديوانه «أغاني وحكايات».

2- خالد يوسف - قصيدته «قال الدش».

3- فاضل عباس الكعبي - ديوانه «أغنية القطار».

وفي قصيدة «الخطأ والصواب» يعلم الشاعر مكامن الرفض والقبول في التصرف والعمل مستخدماً الخطأ بكلمة «لا» والصواب بكلمة «نعم» فيقول:

تـــــــــرللا... تـــــــــرلّلا

قولـــــوا نعـــــم... قولـــــوا لا

نـــنهض صـــبحاً... هـــذا نعـــم

نـــكسر صـــحناً.. هـــذا لا

تـــــــــرلّلا... تـــــــــرلّلا

أقـــرأ درسي... هـــذا نعـــم

أهمـــل نـــفسي... هـــذا لا

تـــــــــرللا... تـــــــــرللا[1]...

وفي هذا المعنى تشترك قصيدة «1+1=2» مع قصيدة «الخطأ والصواب» في ذات الهدف:

هُنـــا هُنـــا.. يـــا ضـــيفنا

الخـــيط والإبـــرة... نعـــم

الغصـــن والزهـــرة.. نعـــم

الخبـــز والملـــح.. نعـــم

الـــذئب والنعجـــة... كـــلا[2]...

وفي قصيدة «أغاني» يستخدم الشاعر حروف السلم الموسيقي في تنغيم المعاني للطفل:

غنيـــــت دو... ري... مـــــي

للنخـــــل والكـــــرام

والصـــــول... فـــــا... لا.. سي

للحـــــب والنـــــاس[3]...

1- تركي كاظم جودة - ديوانه «ماذا تقول الأشياء».

2- كريم العراقي قصيدته «1+1=2».

3- محمد حبيب مهدي - ديوانه «بيت السعادة».

ومن القصائد الجميلة في هذا المحور قصيدة «الديك في السماء طار» التي يتناسق فيها التنغيم والمعنى بأسلوب بارع يدخل بسهولة إلى أسماع الطفل ويتفاعل مع لغته:

طـــــار غـــــراب مصـــــطفى

نعـــــــــم طـــــــــار

والـــــنسر طـــــار واختفـــــى

نعـــــــم طـــــــــار

والمـــــــــاء والبســـــــــاتين

مـــــــا طـــــــــارت

طـــــارت خـــــراف ياســـــين

مـــــــا طـــــــــارت

ومـــــن لديـــــه منقـــــار

طـــــــــار طـــــــــار

الـــــديك في الســـــما طـــــار

لا مـــــا طـــــــــار[1]...

إن ما جعل شعراء الأطفال ينساقون وراء التنغيم في المفردات لدعم الإيقاع الموسيقي في وزن القصيدة وجعله أكثر صولاً إلى الأطفال هو إيمانهم بأهمية التنغيم والحركة في شعر الأطفال إضافة إلى الأوزان التقليدية الراقصة التي تفرضها على القصيدة «الحرفة» الشعرية...

وشاعر الأطفال يختلف عن شاعر الكبار «إن صح التعبير» هي سمة التنغيم واللعب التي تضاف إلى شروط اكتمال قصيدة الطفل بالإضافة إلى الشروط التقليدية لآلية الشعر... بل ذهب البعض إلى اعتبار «المقطوعات النثرية» التي لا تمتلك مقومات الشعر من وزن وتفاعيل موسيقية، محببة إلى الطفل، إذا امتلكت سمة التنغيم التي تعوض عن الموسيقى التقليدية للشعر إذا استطاعت أن تغني هذه

1- عبد الرزاق عبد الواحد - ديوانه «الديك في السما طار».

المقطوعات بالإيقاع وتدفعها إلى لباس التنغيم، وتحريك طاقة نغمية في إيقاع الطفل النفسي...

ومن هنا تقع على شاعر الأطفال مسؤولية كبيرة في تحقيق ذلك إلى الطفل، وعدَّ الكتابة له بمثابة الجهاد والنحت بالصخر من أجل تحقيق الهدف الكبير من وراء ذلك... فإن الكتابة للأطفال (هي نوع من التضحية اللانهائية من دون ثمن، ومرات يتساءل المرء: ما الذي يحققه الوالدان بعد أن يسهرا على تربية طفلهما غير العرفان... وكذلك هو حال شاعر الأطفال... فما الذي يجنبه وهو يفني سنوات العمر من أجل قصائد وأناشيد يتهجى أحرفها الأطفال ثم يعبرون الزمن... والأحداث، وربما لا تثمر الذاكرة بعدها عن تذكر... وتمر أسماء الكتاب والشعراء الذين ملؤوا حياة الطفولة بالقول، والقص، والغناء، دونما إشارة أو دليل.. أو ذكرى)[1]. مع ذلك فالجهود الإبداعية لكتاب وشعراء الأطفال تشكل التراث المهم والأساس القوي لبناء الأجيال.

1- فاروق سلوم - مقدمة ديوان «أشيائي الجميلة»، للشاعر فاضل عباس الكعبي.

أنواع القصيدة

في شعر الأطفال

بما أن قصيدة الطفل تحمل الكثير من الأغراض، في بنيتها وتوجهاتها الموضوعية والشكلية تبعاً لخطابها اللغوي الموجه للأطفال.. وفق درجات قبولهم، وميولهم في دائرة الشعر...

ومع أن أبرز العناصر التي يميل إليها الأطفال في شعرهم، وأصبحت خصائص أساسية في قصيدة الطفل مثل «القصة، الفكاهة، الحيوان» وغيرها، إلا أن إدخال الطفل في دائرة الموضوعات العامة، قد لا تحظى بقبوله، ووصول قصيدة الطفل إلى الطفل بالذات يتطلب العناية الفائقة بميول الطفل ورغباته، للوصول إلى تحقيق الهدف المرجو من قصيدة الطفل...

ومن هذا المفهوم اهتم الشعراء بشكل القصيدة ونوعها لموضوعتها العامة التي تتسم ببعض الخصائص المستعارة من الأجناس الأدبية الأخرى، وانطلاقاً من الأشكال والموضوعات الأكثر وروداً في قصائدهم تم تحديد أربعة أنواع، أو أشكال لقصيدة الطفل هي:

1- القصيدة القصصية،

2- القصيدة التعليمية،

3- القصيدة السردية،

4- القصيدة الغنائية،

وقد أعطت هذه الأشكال قدرتها على التأثير والحضور في وعي الطفل...

ف ـ القصيدة القصصية:

هي القصيدة التي تعتمد على الحكاية أو القصة، ويتضح فيها الحدث ومكانه وعدم تشعب هذا الحدث، وقد أطلق عليها بعض الشعراء، لا سيما الشباب: «الحكاية الشعرية» وهذا القصيدة لا تخرج عن إطار الكتابة التقليدية للشعر في اعتماد الأوزان والقوافي كما عند الشعراء القدامى، (على الرغم أن الشعراء الشباب قد حققوا تطويرات كثيرة لهذا اللون من ألوان الكتابة الشعرية للأطفال، مما جعل القصيدة القصصية تجمع بين مميزات القصائد السردية مقطعيتها، وحبكة النص الكلاسيكي، ودقته، وطلاقة القصيدة الغنائية بشكل أعطى القصيدة القصصية، إمكانات فنية معروفة في جدتها)[1].

ويمكن لهذا النوع من القصائد أن يمثل ليحظى بقبول أكبر من قبل الأطفال. ويمكن اعتبار هذا النص نموذجاً ومثالاً للقصيدة القصصية:

(يحكى بأن السمكهْ

حين هوت في الشبكهْ

ظلت تدور حائره

حزينة منكسرهْ...

تصيح ساعدوني

يا ناس أنقذوني،

وفكرت

بحيلة ذكيهْ

إذ جاءها الصياد

وفك عنها الشبكهْ

بدت له ساكنة

1- فاروق سلوم - الكتابة على صفحة بيضاء.

ولـــــيس فيهـــــا حركـــــهْ

فظنهـــــــا ميتـــــــةً

مـــــن زمــــن بعيـــــدْ

جـــــاء بهـــــا للـــــماء

لــــــكي يـــــرى الحقيقـــــهْ

فانفلتـــــت مـــــن كفِّـــــهِ

هاربـــــــة طليقـــــــهْ)[1]

أما القصيدة التعليمية:

فهي قصيدة تعتمد الدروس والمناهج والحكم وما إلى ذلك في إيصال المعلومات العلمية والتعليمية إلى الطفل، ويمكن أن نعد القسم الأكبر من قصائد شعر الأطفال القديمة قصائد تعليمية، لأنها كتبت لهذا الهدف، وفي سبيل المثال لهذا الشكل من القصائد نختار قصيدة «الصفر» نموذجاً للقصيدة التعليمية الحديثة:

(هــــــذا سرٌّ.. هــــــذا سرْ

فأنـــا اســـمي، اســـمي صـــفر

أنـــا في الـــدنيا منـــذ زمـــانْ

موجـــود في كـــل مكـــان

في الأحـــرف... أو في الأســـماء

وأرافـــق كـــلَّ الأشـــياء

في الفـــاء.. أكـــون الفـــارس

في الجـــيم... إذا كنـــت الجـــالس

في الـــعشرة.. أو في العشريـــن

1- فاضل عباس الكعبي - قصيدته «السمكة الذكية».

في مئـــــــة أصـــــــبح اثنـــــين

في الألــــــف ثلاثـــــــة أصـــــفار

فـــــــــتعلم هـــــــــذي الأسرارْ

واحســـــــب بأصـــــــابع كفيـــــك

وتلفَّـــــــظ.. حـــــرِّك شـــــفتيكْ

تبــــــدأ عـــــداً حتــــــى الألـــــف

ثـــــم نغنـــــي وســـــط الصـــــف

هـــــذا صـــــفر.. هـــــذا صـــــفر

رقـــــم حلـــــو يـــــدعى صـــــفر)[1]

إن قصيدة «صفر» من القصائد المتقدمة في الجانب التعليمي حيث تمنح الطفل أفقاً واسعاً من الخيال والتفكير ومتابعة إيقاع القصيدة، وملاحقة «الصفر» في مواقعه ومواقع الحروف الأولى التي سيتعلمها بواسطة الصفر وقد وفق الشاعر توفيقاً كبيراً في تعليم الطفل أهمية ووظائف «الصفر» في الحروف العربية...

أما القصيدة السردية:

فهي قصيدة ذاتية (تنقل الحوارات بين الناس أو بين مكونات القصيدة، وتنتقل من فكرة إلى فكرة داخل موضوعاتها عبر مقاطع مختلفة القافية محددة الأفكار أي أنها تصف الأشياء فقط، مثل قصيدة تصف أفراد الأسرة.. الأب عامل، الأم ربة بيت والابن طالب يدرس، والبنت الصغيرة تلعب، والبيت يلم كافة الأفراد، غير أن هذا الفضاء الذي في السرد تنطوي عليه القصيدة القصصية)[2]. أي أنها تشترك مع القصيدة القصصية في بعض خصائصها الفنية، إلا أنها تمثل الجانب السردي أكثر من الجانب القصصي في القصيدة..

1- فاروق سلوم - ديوانه «قصائدي للأطفال».

2- فاروق سلوم - الكتابة على صفحة بيضاء.

ولنا في قصيدة «أغنية المستقبل» مثال القصيدة السردية:

(هيـــــــــــا... هيـــــــــــا

للمســــــــــــــــــــــتقبل

نـــــــــزرع أرضـــــــــاً

نبنـــــــــــي معمـــــــــل

هــــــا أنـــــا جنـــــدي

أمــــــــــي عنــــــــدي

وبــــــــــلا وهــــــــمِ

يكـــــــــبر عزمـــــــــي

وإلى وطنـــــــــــــــــي

أغـــــــدو مشـــــــعل)[1]

أما القصيدة الغنائية:

فهي القصيدة التي تعتمد الغنائية في بنائها، وتعتبر أهم الأشكال في شعر الأطفال، والأكثر قرباً إلى الأطفال، لأنها تؤثر مباشرة في حاسة السمع وتخلق إيقاعها في إحساس الطفل، وهي تتشكل من إيقاع الطفل قبل كل شيء، حيث تعتمد في بنيتها روح النشيد، وروح الأغنية، ومجموعة أصوات وأفكار، وتجسد حالة اللعب أيضاً.. وتعنى أيضاً بالمضامين التي تتيح لها أن تؤدي مهمتها بكل مرونة ولا تحدد بمضامين معينة. وفي المحصلة النهائية إن الطفل يميل إلى القصيدة الغنائية أكثر من القصائد الأخرى.. ولهذا نستطيع أن نقول: إن معظم النتاج الشعري لشعراء الأطفال العرب حالياً يعتبر شعراً غنائياً.

ومن نماذج هذا الشعر، قصيدة «تك... تك... تاك»

1- محمد حبيب مهدي - ديوانه «بيت السعادة».

(تـــــك... تـــــك.. تـــــاك

تـــــك تـــــك تـــــاك

حـــط الطـــير عـــلى الشـــباك

وأنـــــــا عنـــــــــدي

ثـــــــــــــــوب وردي

تـــــك.. تـــــك.. تـــــاك

وطنـــي العـــربي مـــا أحـــلاك)[1]

1- خالد يوسف - ديوانه «تك تك تاك».

الخطاب التربوي
في قصيدة الطفل

يشكل الجانب التربوي سمة واضحة في قصيدة الطفل، فإضافة إلى تحقيق اللعب والتنغيم والمتعة، والجوانب الفنية الأخرى، يسعى شعر الأطفال إلى تحقيق السمات التربوية في شخصية الطفل وتوسيع مداركه، فقد أدرك شعراء الأطفال منذ القديم أهمية الوظيفة التعليمية، والتربوية، وضرورة تجسيدها في قصائدهم الموجهة للأطفال، فبرزت (الفضائل الأخلاقية والنفسية في مقدمة هذا اللون من المعارف لما لها من أهمية في تكوين الفرد، وبالتالي بناء جيل جديد سليم من الناحية العلمية والأخلاقية والجسدية، وقد تجمعت هذه الفضائل في شعر هؤلاء الشعراء، بما نطلق عليه اسم المروءة، حيث تضم الفضائل كلها وتنبذ الرذائل وبما يتناسب ومدارك الأطفال الذي يتوجه إليهم مثل هذا الشعر)[1]. فنجد كل الصفات الحميدة والنظرة المشرقة والأمل والتفاؤل والسعادة، والحياة المشرقة كلها تتجسد في هذا الشعر، الذي لا يعرف النظرة السوداوية على الحياة، ومفردات الحزن واليأس كما هو الحال في شعر الكبار. وقد (بقي التعلم يمثل سمة أساسية في شعر الأطفال، سواء أكان هذا التعلم متمثلاً بدروس المدرسة أم دروس الحياة أم ما يتعلمه الطفل من الأسرة وحب البيت)[2]. فكل ذلك أصبح علامات بارزة في شعر الأطفال، مما جعل الجانب التربوي فيه واضحاً كل الوضوح.. ومن إشارات نجاح قصيدة الطفل في الكمال الموضوعي.. فللأطفال احتياجات كبيرة. (وقد يكون في تعليمهم ومحيطهم وتنشئتهم فجوات تؤدي إلى كوارث، ولا يعيش جميع الأطفال في أسر سعيدة أو بيوت منظمة

1- د. عمر أحمد الطالب - أدب الأطفال في العراق.

2- المصدر السابق.

جيداً، وأي طفل مهما كان موفور الحظ قد يكون بحاجة يمكن أن تساعد القراءة على ملئها، فهل يشعر الكتاب بأي مسؤولية أخلاقية تجاه ذلك؟ وهل بوسعهم عمل شيء لملء هذه الفجوات)[1]. من هنا تكمن مسؤولية الكاتب أو الشاعر في تنظيم ما يكتبه للأطفال وجعله بالاتجاه الصحيح في العملية التربوية الموجه للأطفال...

إن الشعراء (هم النقاط الحساسة في الحضارة، فهم الذين يمكن أن يساعدوا على إدراك المشكلات، ولا مفر لكتاباتهم من عكس هذا الإدراك.. ولا أدري مدى الخطأ أن نخبر الأطفال أنهم يمكن أن يجدوا حلاً لكل مشكلة من المحتمل أن تواجههم، إنها أولاً، كذبة واضحة، وإذا صدقوا ثانياً هذه التأكيدات فإنهم سينتهون إلى الفصام «الشيزوفرينيا» وإذا لم يصدقوا ثالثاً ما يقال لهم، فإن ذلك سيجعلهم عديمي الثقة، يشكون في طيبة الدوافع البشرية، لذلك فمن واجب الكاتب أن يبين للأطفال أن العالم ليس مكاناً بسيطاً بل بعيد عن ذلك، العالم ثري للغاية، وغريب ومحير، وعجيب، وغامض وجميل، ولغز يتعذر تعليله، وأننا محاطون بمدلولات لا نستطيع أن نفهمها إلا بشكل غامض مهما حاولنا أن نتعلم)[2]. فتعليم الأطفال خواص العالم بشكل تدريجي، وتوضيح بعض ألغازه بواسطة المقطوعات الشعرية سيسهل له اكتشاف العالم، مع توسيع مداركه وخياله، وجعله يكتشف ألغازاً أخرى بطرائقه الخاصة.. فليس من واجب الشاعر في قصائده أن يصدر أحكاماً مطلقة ويعطي حلولاً نهائية، أو يؤكد للطفل أن بإمكانه أن يحل كل مشكلاته.. فذلك الخطأ الكبير في التعامل مع الطفل، لذلك نعد ما نقدمه للطفل عوامل مساعده في تربيته وتعليمه وزيادة متعته...

وتعد مسألة المكان من المسائل المهمة في شعر الأطفال والتي تساعد على تحقيق الهدف التربوي في الوصول إلى مرتكز التربية.. أما الزمان فهو مسألة طبيعية لا تشكل في ذهن الطفل سوى حالة وقتية متعاقبة يحددها الليل والنهار. أما المكان فهو (محسوس مدرك، والزمان فكرة غامضة، وبين مكانين مختلفين - هما البيت والمدرسة - ينفق الطفل معظم وقته، وفي هذين المكانين تتكون مدركاته الحسية

1- جون ايكن - كيف تكتب للأطفال.

2- المصدر السابق.

والعقلية، ويبدأ في تكوين العلاقات التي سوف تشكل منه شيئاً ما في المستقبل)[1]. وتجعله مهيأ للوصول إلى هذا المستقبل وتحقيق ما يصبو إليه.. فالمدرسة هي المكان المقدس والمهم للطفل، ففيه يتخرج المهندس.. والطبيب، والشاعر، والفنان، والعبقري، وكل الخبرات العلمية التي ترقى بالإنسان إلى مستويات متقدمة، لهذا حين تنتهي السنة الدراسية، يظل يحلم الطفل ببدء السنة الدراسية الجديدة ليعود إلى المدرسة يمارس حياته التعليمية الجميلة فيها، كما عبرت عن ذلك قصيدة «العودة إلى المدرسة» التي تقول:

(يـــــــا جوقـــــــة الحـــــــمام

طـــــــيري إلى مدرســـــــتي

خـــــــذي لهـــــــا ســـــــلامي

قـــــــولي لهـــــــا: أوحشـــــــني

فراقهـــــــا الطويـــــــل

اشـــــــتقت للمقاعـــــــد

لصـــــــفنا الجميـــــــل)[2]..

فتبقى المدرسة، المكان الأكثر قرباً من الطفل ولا يقل أهمية عن البيت، وعلى الشاعر أن يستغل هذا الجانب في الدخول إلى وعي الطفل بالارتكاز على العناصر التي توفرها المدرسة للطفل، واعتبارها مداخل أساسية في القصيدة التربوية..

إن بداية نشوء شعر الأطفال، كانت بداية تعليمية، وكان الهدف من كتابة شعر الأطفال في تلك الأزمنة، هدفاً يسعى لأغراض تعليمية، تربوية وقد نجح بعضه في تحقيق هذا الهدف، وأخفق البعض الآخر لتشعبه بالأغراض والموضوعات، واعتماده الحكم والأمثال والمواعظ والنصائح الآمرة والناهية التي جعلت الطفل يقف أمامها موقفاً خائفاً، حائراً، ومجبراً على متابعتها لأنها اعتبرت بالنسبة له واجباً

1- د. عبد العزيز المقالح - الوجه الضائع - دراسات عن الأدب والطفل العربي.

2- جليل خزعل - ديوانه «عصافير».

مدرسياً صارماً ليس إلا.. مما جعله يهملها بمجرد الانتهاء من أداء هـذا الواجـب، لأنهـا بالدرجـة الأولى، لم تعتمد الخيال وتوسيع مدارك الطفل في هذا الاتجاه...

وحين تطورت أساليب الكتابة، والتعليم، والمدارس، ووسائل الاتصال، أصبح الاهـتمام بالطفـل أكبر من السابق وأخذ جوانب أخرى، حتى اهتم شعراء الأطفال بالكتابـة الشـعرية التعليميـة بطرائـق وأساليب جديدة، كشفت عن قدرتها وإمكاناتها في الوصول إلى الطفـل وتعليمـه.. وتغذيتـه بالـدروس التعليمية، وحتى الأوامر والنواهي، بلغة وأساليب لا تجعل الطفل ينفر منها، ويعدها مجـرد واجبـات مدرسية، بل عدها متممات وسائله التعليميـة.. حيـث لم تغفـل هـذه الكتابـات مـن قصـائد وأناشـيد ومسرحيات شعرية، عناصر الخيال والمتعة والتنغيم، فجاءت أقرب إلى الطفل من القصائد القديمة.. بل إن عدم دخول الشعر في العملية التربوية يشكل نقصاً في خططها، وكذلك عدم ميول الطفل إلى قـراءة الشعر، يشكل جانباً سلبياً على وعيه، إذ إن (عزوف الطفل عن قراءة الشعر، بسبب الـنقص في الـوعي الثقافي والاجتماعي للأهمية الاستثنائية التي يتخذها هـذا النـوع مـن القـراءة، لا بـد أن يـؤثر سـلباً في قدرات الطفل التخيلية وقد يؤدي إلى نشوء جيل معذب، يمتلك مـن القـوة التـي تؤهلـه عـلى إفسـاد الواقع بسبب نقص في الخيـال، وهـذا بالضـبط مـا يجعـل مـن قصـيدة الطفـل فعـلاً مصـيرياً، مـؤثراً، وصميمياً، وليس مجرد تعبير عن نزعات ثقافية مجردة)[1]. وهكذا هي أهمية الشعر بالنسبة للأطفـال في العملية التربوية وفي تطوير خيالهم...

ومع أن الكثير من قصائد الأطفـال القديمـة لا مجـال للخيـال فيهـا، مـا زالـت تقـدم إلى الطفـل، وتدرس في المناهج الدراسية، مع بعض القصائد الحديثة، إلا أن ذلك لا يحدد الطفـل بـالنوع الواحـد مـن القصائد حالياً... إذ أن بإمكان الطفل أن يختار من قصائده التـي تغنـي خيالـه، مـا يشـاء لتـوفر ذلـك في وسائل أخرى غير المدرسة.. لذلك يجب ألا نترك الطفل خارج منطقـة الشـعر... ولا نعـي أن هنـاك فراغـاً كبيراً في حياته، تتطلب مسؤوليتنا الإنسانية والأدبية ملء هذا الفراغ بالشعر الجميل والمؤثر...

1- فاروق يوسف - 50 قصيدة للأطفال.

كيف
نعلم الأطفال كتابة الشعر؟

قد يبدو غريباً هذا العنوان، للوهلة الأولى فكيف نعلم كتابة الشعر؟ ومعارفنا تؤكد أن الشعر لا يعلم... وليست هناك مدارس أو معاهد لهذا الغرض... صحيح أن هناك مدارس ومعاهد ودراسة جامعية، تدرس ضمن مناهجها، أغراض الشعر، وفنون الشعر، ومقومات الشعر، ونقد الشعر، إلا أنها لا تدرس أو تعلم «جنون» الشعر ومخاض الشعر، وموهبة الشعر.. أو تجعل من هذا الطالب أو ذاك شاعراً وتمنحه شهادة تخصص بالشعر. كما تفعل مع الاختصاصات الأدبية والعلمية والإنسانية الأخرى، فتجعل من هذا الطالب مهندساً، وتمنحه شهادة في الهندسة، وذلك طبيباً فتمنحه شهادة في الطب، وكذا الحال مع الاختصاصات الأخرى... إلا الشعر..

فالشعر أساسه الموهبة، والموهبة حالة عفوية تنبع وتتطور بشكل تدريجي داخل ذات وأحاسيس الموهوب فنخلق في دواخله محفزات ودوافع، وتفجرات وتأملات، وخلجات متفاعلة مع الإحساس والشعور للقيام بفعل إبداعي خلاق سواء في مجال الفن أو الشعر أو غيرهما.. ويحدث الشعر من تفاعل كل هذه العناصر مع بعضها بتنظيم، واندفاع كبير من الموهبة... التي لم تأت يوماً، مكتسبة، أو بالوراثة.. فالموهبة هي طاقة الشاعر في خلق الإبداع الشعري... ودون الموهبة لا يمكن للمرء أن يكون شاعراً حتى لو درس كل فنون الكتابة وأساليبها، وتعلم مقومات الشعر الأساسية التي يعتمدها في كتابة وبناء القصيدة كل شاعر خلاق، بدليل أن مئات الطلاب يدرسون خصائص الشعر ومقوماته، من أوزان مختلفة في بحور الشعر، وعلم النحو والصرف والبلاغة وكل ما له علاقة باللغة العربية وآدابها. إلا أنهم لم يكونوا شعراء... ولن يكونوا ما زالت تنقصهم الموهبة...

وهؤلاء يستطيعون أن يجيبوا إجابة شافية إذا سألتهم: ما مقومات القصيدة أو الأسس العلمية التي يعتمد عليها الشاعر في بناء القصيدة؟ سيكون جوابهم صحيحاً عندما يقولون: تعتمد فضلاً على تمكن الشاعر من أداته التعبيرية ومعاناته الداخلية وتفاعله مع موضوعة ما، الوزن والقافية، وعندما تسألهم عن معنى الوزن والقافية سيقولون: إن ذلك شيء كبير يسمى علم العروض، فيذهبون إلى الشرح الطويل والتفصيل في هذا العلم، فيقولون: إن العروض هو العلم الذي يمتاز به مستقيم الشعر من منكسره في الإيقاع... وموضوع هذا العلم هو التفاعيل العروضية، التي تتخذ مقياساً لمعرفة البحور، والتمييز بين أوزان هذه البحور وما يعرض لها من خلل واختلال يحرفها عن الشعر، وقد وضع قوانين هذا العلم العالم الكبير المولود في البصرة الخليل بن أحمد الفراهيدي قبل اثني عشر قرناً.. والعروض يعتمد على التقطيع الذي هو الطريقة التي يتم بها فحص البيت الشعري لمعرفة مطابقته للتفاعيل، وذلك أن يقطع البيت الشعري على مقاطع صوتية يقابل كل منها ما يكون في التفعيلة من أسباب وأوتاد وغيرها من المصطلحات العروضية.

هذا الكلام كله صحيح... وعندما تتعمق أكثر، ويأخذك الفضول الجميل للوصول إلى نتيجة تسأل من جديد: ما البحور؟ وما التفاعيل؟ فيكون جوابهم: البحور هي «الكامل، والطويل، والمتدارك، والرجز... و... والخ» والتفاعيل هي «فعولن، مفاعلين، مستفعلن.. إلخ» وحين تطلب منهم تطبيقاً لذلك في أبيات من الشعر يقولون هكذا:

من البحر المتدارك:

لغتـــــي لغتـــــي   مـــــا أحلاهـــــا
فعلـــــن فعلـــــن   فعلـــــن فعلـــــن
أنـــــا أحبهـــــا   أنـــــا أرعاهـــــا
فعلـــــن فعلـــــن   فعلـــــن فعلـــــن...

ومن بحر الرجز:

الـــدار لـــولا واعيـــه	مـن كـل أنـس خاليـة
مســتفعلن مســتفعلن	مســتفعلن مســتفعلن
ليس الفتى كـل الفتـى	إلا الفتـــى في أدبـــه
مســتفعلن مســتفعلن	مســتفعلن مفــتعلن...

وبذلك تصل إلى نتيجة جيدة، وأن كل ما سألت عنه، أعطي الإجابة الصحيحة.. ويزيد اعتقادك.. أنك أمام شعراء متمكنين.. إلا أنك تفاجأ... عندما تقرأ أمامهم أبياتاً من الشعر، وتطلب منهم تحديد وزنها، وإلى أي بحر من بحور الشعر تنتمي... ساعتها لا يعرفون الجواب... ويحيلونك إلى تقطيع هذه الأبيات، وعندها تتأكد تماماً أن هؤلاء درسوا كل هذا العمل دراسة نظرية، وقد يخرج منهم واحد من المئة مؤهلاً للتطبيق... إلا أنه هو الآخر ليس بشاعر.. فالشاعر من لديه - إضافة إلى كل تلك العلوم والمعارف - الحس المرهف، والأذن الموسيقية، التي تستطيع بسهولة وسرعة معرفة الأصوات وتميز الإيقاع واختلاف التفاعيل والأبحر بمجرد أن تمس الكلمات سمعه...

إذن فالشاعر من يجسد كل تلك العلوم في تجربته، وإحساسه وعواطفه، مع تأملاته في خلوته لخلق الأشياء الجميلة التي تعصر ذاته فيخلق القصيدة.. نعم... الشاعر المبدع (شبه مجنون، يحمل فكرة رائعة إذا لم يودع تلك الفكرة المدهشة إلى الورق فالأفضل أن يعمل شيئاً آخر مختلفاً تماماً)[1]. وهذه الحالات أو الانفعالات الداخلية، في ذات الشاعر، هي أساس تكون الشاعر، ولا يمكن لأي دراسة أو مدرسة أن تعلمها، ما لم تأت بشكل عفوي بإطار الموهبة...

ومن هنا أصبح اليقين واضحاً أن الشعر لا يعلم... ولكننا نخلص إلى نتيجة وهي الاستثناء... فنؤكد أن بإمكاننا أن نعلم الشعر... كيف يحدث ذلك؟.. هذا ما سنبحثه هنا.. لنثبت صدق ما ذهبنا إليه... وما نهدف بالوصول إليه في دراستنا الدقيقة لموضوع الشعر، وفنونه، وأغراضه.

1- جون ايكن - كيف تكتب للأطفال.

إن الاستثناء بالنتيجة، هو ما نقصده بالبداية، أي بداية الإنسان، التي نعني بها الطفولة، والموهبة تتوضح معالمها منذ الطفولة، فكل الأطفال يحملون غرائز الموهبة ولكن بدرجات متفاوتة.. فهناك من تبرز موهبته بشكل سريع، وتتهيأ له كل الأجواء والإمكانات والعوامل المساعدة في البيت أو في المدرسة، لنمو وتطور موهبته، وهناك من لا يجد ذات المحفزات والرعاية والاهتمام لإبراز موهبته وتطويرها... فتبقى هذه الموهبة ضامرة، قد تموت وتنتهي، شيئاً فشيئاً، أو تبرز وتتحفز بشكل كبير في مرحلة المراهقة أو قبلها بقليل... فمعظم الشعراء الذين اطلعنا على سيرهم الذاتية، نجد أنهم بدؤوا كتابة الشعر في مرحلة الطفولة، وبعضهم الآخر بدأ منذ سنته العاشرة أو الرابعة عشرة، ولم يحدث لشاعر بدأ الشعر منذ الثلاثين، أو الأربعين من عمره، ففي هذه المرحلة لا مجال للموهبة، والذي لم تتحفز موهبته وتنمو في طفولته أو في مراهقته، لا يمكن لها أن تبرز في المراحل القادمة.. التي تجاوزت مرحلة قبول المحفزات لنمو الانفعالات الذاتية في إحداث الفعل، ورد الفعل في عمل إبداعي، كما يحدث لدى الشاعر في كل مراحله...

نفهم من هذا أن الموهبة إذا سقيت بالرعاية والاهتمام منذ الطفولة، نمت وكبرت وأثمرت دائماً.

إذاً فالموهبة هي الأساس، الذي سننطلق منه ابتغاء تعلم الشعر... وهدفنا أن نؤسس قاعدة صحيحة لتعليم الأطفال كتابة الشعر وحب الشعر.. وأملنا كبير أن يأخذ ما نطرحه هنا مجاله الصحيح في المناهج الدراسية، وتهتم به المدارس ورياض الأطفال، ونوادي ودور الأطفال وغيرها، ويسعى المربون والمعلمون والآباء لاستخلاص الدروس من هذا البحث لتنمية مواهب الأطفال، وجعلهم في الطريق الصحيح باتجاه الشعر...

فمثلما توجد في المدارس، دروس في الرسم، والموسيقى، وكتابة الإنشاء ضمن دروس اللغة العربية، لماذا لا يكون هناك درس في الشعر؟...

نحن لا نريد من التلاميذ أن يكونوا جميعاً شعراء، ونريد لهم جميعاً أن يعوا أهمية الشعر، وجمال الشعر الذي يفتح أمامهم آفاق المستقبل ويوسع مداركهم، ويجعلهم أكثر اهتماماً بكل علوم الحياة...

ونهدف من ذلك أيضاً، في أقل تقدير أن ينشأ من المجموع شاعر خلاق، وإن لم نصل إلى هـذا الهدف، فنصل بكل تأكيد إلى هدف كبير، قـد يكـون أهـم مـن الهـدف الأول، وهـو أن نجعـل جميـع التلاميذ يعون تراثهم، ويهتمون بكنوز هذا التراث، وأبرزها اللغة العربية وآدابها، فالتلميذ الجيد، الذي يتـدرج بنجـاح وتفـوق، في كـل مراحلـه الدراسـية، حتـى يصـل إلى المرحلـة الجامعيـة، فيـدخل أرقـى الاختصاصات.. فيدرس الطب، أو الهندسة، أو القانون، وغيرها من علـوم الحيـاة، حتـى يتخـرج حـاملاً شهادة جامعية جيدة، فيتحول بفضل مثابرته، وتفوقه، ونجاحه في دروسـه، مـن تلميـذ إلى طبيـب، أو مهندس، أو محام... ولكن لا تكتمل ثقافته دون الإلمام أو الاطلاع، بـأدب شـعبه، وثقافـة أمتـه، ولغتـه العربية.. التي تعد وسيلة في التعبير، وحين لا تكتمل شروط الوسيلة التعبيريـة، ويتضـح سـلامة نطقهـا تقصر في الوصول، وقد تؤدي إلى أخطاء غير مقصـودة، فكثـيراً مـا نجـد، في مناسـبات عديـدة أناسـاً في وظائف واختصاصات معينة، عندما يتحدثون، أو يكتبون رسائل أو مخاطبات في أعمالهم، نجد العديـد من الأخطاء في النطق، وفي الإملاء... وكذلك الارتباك في الإلقاء...

ويعود سـبب ذلـك، بالدرجـة الأولى إلى مرحلـة الطفولـة، حيـث لم تتطـور لـديهم في تلـك المرحلة الميول القرائية والأدبية، ولم تشبع محفزات المواهب الأدبيـة لـديهم، كـذلك الأسرة لم تكـن بالمستوى المسؤول تجاه هذا الجانب المهم في حياة طفلها.

ومن هنا تقع المسؤولية الكبيرة، على الأسرة، والمعلمين، والمربين، والتربويين، في السـير الحثيـث، ووضع البرامج المهمة في رعاية وتطوير مواهب الأطفال، وتنشيط محفزاتهم تجاه الشعر، ومسـاعدتهم في قراءة الشعر المخصص لهم، وتوفير الكتب والدواوين الخاصة بالشعر، وجعلها في متناول الجميـع في البيت، وفي المدرسة، لأن الإلمام بمكونات الطفل، ومكونات قدراته، ومواهبـه، غايـة لا تـدرك إلا بوضـع المناهج الناضجة، وتكاتف الجهود المثمرة، وتوفير الإمكانات المادية والعلمية والتربوية والثقافيـة لنمـو هذا الكائن ونجاح تكوينه بشكل يضمن وصوله إلى المستقبل، ليشكل عنصراً مهـماً فيـه، فالطفـل كـما

يقول الشاعر الإنكليزي «وردزورث» هو أبو الإنسان... فإذا أحسنا تربيته، وإعداده، أحسنا بذلك بناء المجتمع بشكل كامل..

إن بدايات التوجه والاهتمام لرعاية مواهب الأطفال لها دور كبير في إعدادهم لتقبل دروس الشعر، ومتابعتها شيئاً فشيئاً حتى الوصول إلى مرحلة النضوج وأعتقد (أن بدايات اهتمامي بالشعر وحب الإيقاع، تعود إلى طفولتي، وأذكر عندما كان عمري سبع سنوات، كان هناك في مدينتي «اليوسفية»[1] بعض «الشحاذين» يمارسون تقاليد معينة للحصول على المال، فمنهم من يطرق الأبواب، ويجلس أمام الباب دقائق معدودة يحمل «رباباً» وهي آلة موسيقية شعبية، فيبدأ بالعزف وأداء بعض المقاطع الشعرية، وحينها كنت أستمتع بما أسمعه من إيقاع موسيقي وأصوات متناسقة من آلة «الربابة» وكذلك كنت لا أفهم ما يقوله في الأبيات الشعرية، إلا أنني كنت أتابع ما يقوله.. وقد تعلمت منه بعض الكلمات الجميلة... وعرفت فيما بعد أن هذا الكلام هو شعر، فأحببت الشعر، وأحببت الموسيقى من تلك اللحظة التي حفزت عندي الإحساس بأهمية الموسيقى والشعر.. فبقي في إحساسي وذاكرتي ذلك الكلام. وذلك الإيقاع. حتى نمت عندي الرغبة في كتابة الشعر، وحين أصبحت في الرابعة عشرة كتبت الشعر دون أن أعرف شيئاً عن الوزن والقافية، وسرعان ما تعلمت الوزن والقافية فيما بعد بكل سهولة)[2].. لذلك فالتعلم منذ الصغر هو العامل الأساس في نمو المواهب وتطورها...

ولإدراك التوجه السليم في تعليم الأطفال كتابة الشعر، في المرحلة الأولى على المعلم أن يكون العون الأول للتلاميذ في مساعدتهم للوصول إلى مواهبهم وتحفيزها.. ومثلما يفعل في درس الإنشاء، ليفعل ذلك في درس الشعر.. ويكون فعله التربوي على مراحل متعددة، تمثل طرائق التدريس والتعليم الأساسية.. وكما يأتي..

1- اليوسفية مدينة صغيرة من مدن فضاء المحمودية التابع إلى بغداد، والتي ولد فيها الكاتب... وكانت مرحلة طفولته في هذه المدينة.

2- فاضل عباس الكعبي - رأي في أدب الأطفال.

المرحلة الأولى:

يبدأ المعلم أو المربي، في اختيار مقطوعات شعرية سهلة تناسب مدارك الأطفال وعواطفهم واهتماماتهم. ولا سيما الأطفال الذين لم يتقنوا بعد القراءة، أي في المرحلة التمهيدية والروضة.. وذلك بوضع الأطفال في جو الدرس مستخدماً وسائل الإيضاح مع محادثة تمهيدية، وتوجيه الأسئلة التي تحمل الطفل على تركيب جمل النص المعد للحفظ، وتكون أجوبة هذه الأسئلة تشكل جمل النص، إلقاء المعلم للجملة الأولى من النص (إذا كان النص نثراً) أو لصدر البيت الأول (إذا كان النص شعراً) ثم الطلب إلى الأطفال إعادته انفرادياً ثم جماعياً. وتكرير الأسئلة بالنسبة إلى الجملة الثانية من النص، أو عجز البيت الشعري الأول، ثم إعادة الجملتين أو البيت الأول بكامله من قبل المعلم، ثم من قبل الأطفال انفرادياً ثم جماعياً، وهكذا إلى أن تنتهي المقطوعة. ثم إعادة القطعة بكاملها من قبل المعلم ثم من قبل التلاميذ انفرادياً ثم جماعياً)[1].

أما بالنسبة إلى التلاميذ الذين يستطيعون القراءة: فيكون التدريس على النحو التالي: (محادثة تمهيدية لوضع التلاميذ في جو الدرس... ثم كتابة المقطوعة الشعرية على اللوح بخط واضح مع تحريك الكلمات... ثم قراءة المعلم المقطوعة مرتين أو ثلاث مرات قراءة واضحة هادئة.. ثم قراءة الطلاب المقطوعة واحداً واحداً.. ثم شرح الكلمات الصعبة وتوضيح المعاني، ثم محو كلمة من البيت الأول، وثانية من البيت الثاني، وثالثة من البيت الثالث، ثم الطلب إلى تلميذين أو ثلاثة أن يقرؤوا النص الشعري وذلك بعد وضع خطوط مكان الكلمات التي تم محوها تتلاءم حجماً مع هذه الكلمات.. والقيام بمحو كلمة جديدة من البيت الأول، وثانية من البيت الثاني، وثالثة من البيت الثالث، وإعادة القراءة، ثم تكرير العملية حتى تصبح جميع كلمات النص ممحية، ثم محو الخطوط وتسميعها من قبل التلاميذ، ثم فتح الكتب وقراءتها من قبل المعلم ثم التلاميذ.. وبهذه الطريقة نجني فوائد جمة من أهمها: تقوية الذاكرة، وذلك عن طريق الحفظ والتسميع، وتنمية الذوق الأدبي

1- لجنة من المربين - أشعار حلوة.

والجمالي، وتنمية الشعور الوطني، وزرع القيم الخلقية الرفيعة في نفوس الناشئة.. وتشجيع التلاميذ على حسن النطق، وجودة الإلقاء، واكتساب الجرأة على التحدث أو الخطابة أو المرافعة.. وإنماء لغة التلاميذ.. ومد التلاميذ بالحكم والأمثال والأقوال المأثورة التي تساعدهم في نموهم التربوي، وفيما يكتبونه من خطب ومقالات وغيرها، وكذلك اطلاع التلاميذ على تراث وطنهم القومي.. وغير ذلك)[1].

أما المرحلة الثانية وهي المهمة فتبدأ هكذا:

يقوم المعلم بشكل متواصل بقراءة بعض المقطوعات الشعرية بعد اختيارها، بدقة، وكتابة بعض هذه المقطوعات على اللوح.. والطلب من التلاميذ ترديدها وحفظها، وشرح معانيها... وطرح الأسئلة أمامهم عن أهمية هذه المقطوعات وماذا شكلت لهم.. ومعرفة مدى ميولهم وحبهم لهذه المقطوعات.. وبعد تلقي الإجابة.. البدء بالمرحلة التجريبية في حثهم على كتابة الشعر.. حيث يطرح المعلم موضوعاً معيناً ويطلب من التلاميذ تناول هذا الموضوع، أو كتابته بطريقة الشعر...

ومن المؤكد أن الأطفال سينظرون إلى الجانب النظامي في الشعر. وشكله وما يتطلبه من وزن وقافية، وهم في هذه الحالة البدائية، لا يستطيعون أن يتعاملوا مع الوزن والقافية بشكل جدي.. ومعرفة... فيجب على المعلم أو المربي إلغاء هذا الجانب.. وإفهام الطلاب أن هناك الكثير من نماذج الشعر الحديث أمام الطلاب... والطلب منهم أن ينسوا معمارية الشعر وما يتطلبه من قوانين... ويطلب منهم توضيح بعض ما يحسون به في المدرسة أو في البيت أو في الشارع.. وأهم المواقف التي تواجههم، وطلب منهم (كتابة ردود أفعالهم إزاء الأحداث المتكررة والأشياء والمواقف الأخرى المماثلة.. ولكي يتم ذلك يعطي لكل طالب قطعة ورق «مسودة» ويناقش مع الجميع موقفاً معيناً، ثم يتركهم ليكتبوا ردود أفعالهم من دون أي شكلية.. وبإهمال حتى الأعراف السائدة في الكتابة من حيث القواعد أو التنقيط، ثم تؤخذ النماذج التي تمتلك روحاً وميزة أكثر من سواها وتناقش مع الصف لإظهار كم ستكون مؤثرة أكثر لو كتبت بشكل شعري. وبهذا سوف يدرك الطلبة أن

1- لجنة من المربين - أشعار حلوة.

شكل القصيدة جزء مهم وذو تأثير أساسي على معنى ومضمون القصيدة)[1]. ويمكن تشجيع الطلبة وحثهم على المزيد من الكتابات ولو لم تكن شعرياً. ولم تتخذ شكل القصيدة.. فتشجيعهم على ذلك بعد طلب المزيد سيجعلهم يتوصلون إلى شكل القصيدة ثم التعمق في البحث عن إيقاعها.. بعد أن يقوم المعلم بتنغيم الكلمات أمام الطلبة.. والطلب منهم تنغيم الكلمات أمامه.. وقد يتبادر إلى الذهن تصور: أن المعلم له دخل في هذا الجانب وقد ساعد التلاميذ على الكتابة، مع أننا نريدها كتابة تلقائية.. وبهذا المجال يقول «اريك جي بولتون» الذي عمل على تعليم الشعر في المدارس: (طبعاً إن المعلم أعان التلميذ على هذه الأشياء - تنقيط السطور وترتيبها وبالتركيب والإملاء - وإنه واجب المعلم أن يفعل ذلك، ولا أحد ينتقد معلم الشعر لفعله ذلك، كلنا نقدر هذا الجانب من عمله.. وأنا شخصياً أعتقد بأن ليست هناك طريقة لتدريس قواعد لغتنا أفضل من تلك التي تتم أثناء الكتابة الشعرية مع أني لا أريد أن يكون ذلك هو الغرض الأول الجدير بالانتباه.. أنا لا أرغب في هذه المحاولة أن أبعد الطلاب كثيراً عن الشعر الموزون المقفى.. فشعر بلا قيم وضوابط، في بعض أحواله، نوع من الجحيم، وسبب دعوتي لئلا يهتموا بذلك في هذه المرحلة، وهو خشية أنهم سيتعاملون مع القافية باعتبارها أهم شيء في القصيدة، وفي بحثهم عن «الكلمات القوافي» سوف يخسرون كل التلقائية والأصالة، وستكون القصائد تافهة مصطنعة ولعب ألفاظ صغيرة عادية، إن ما يملكه الطفل من المفردات ليس كبيراً بحيث يكفي لكتابة شعر مقفى... وبهذه الطريقة سوف يتضح لمعظم الأطفال أن الشعر الجيد يمكن أن يكتب بأشكال أخرى. وما إن يبدؤوا باستخدام الشعر الحر.. حتى تزيح مكاسبهم الخاصة كل الشكوك المتبقية «سيبقى القليل من الأطفال لا يقدرون على تجاوز الشعر الموزون المقفى أو تصور إمكان ذلك» لم أجد أي طريقة سهلة للتعامل مع هذه المشكلة عدا الاستمرار والمواظبة على الطريقتين اللتين ذكرت.. هناك طبعاً حل أخير وهو أن تأمر الأطفال

1- أريك جي بولتون - كتابة الشعر في المدارس.

المعنيين ألا يكتبوا شعراً مقفى، قد يكون مما لا يعذر فعل ذلك وحده. أما إذا تم مع قراءة شعر حديث وبمساعدة شخصية من المعلم.. فربما كان ذلك مجدياً.. أعتقد بأن عدداً قليلاً من الأطفال لن يدركوا أبداً حقيقة إمكانية كتابة الشعر من دون قافية وبحر عروضي).

أما المرحلة الثالثة فتبدأ بزيادة قاموس الطفل اللغوي عن طريق تعريفه بمعاني الكثير من المفردات القريبة من عالمه ومحيطه وتوضيح مدلولات هذه المفردات.. وكذلك إجراء مناقشة مع الأطفال.. حول أهم القضايا والموضوعات التي تشغل بالهم.. كأن يكون حول الطقس والجو.. حيث الشتاء، وتساقط الثلوج والأمطار.. وكل الأطفال عانوا من الثلوج والبرد.. و (عندما انتهت المناقشة بدأ الأطفال بالعمل، مستعملين أوراقاً «مسودات» ناسين كل شيء عن الشكل الشعري حتى انتهوا من كتابة كل ما يشكل الشتاء بالنسبة لهم، ثم بدؤوا بتغيير النسخة المسودة وكتابتها ثانية سطوراً وأبياتاً..

ويذكر «اريك جي بولتون» في كتابه «كتابة الشعر في المدارس» نماذج من قصائد كتبها الأطفال.. ويقوم بتحليلها، نوردها هنا للأهمية، ولا سيما ما يتعلق بالشتاء.

قصيدة «أفكار عن الشتاء» للطفلة «آن» في الحادية عشرة:

(الشتاء بارد جداً وحاد
في الظلام العميق والقاسي
قوى مجهولة تعض جسدي
وأفكار مرعبة تجتاز عقلي
ركبتاي تصطكان ويداي ترتجفان،
ثانية وصلنا الشتاء.
الشتاء، الشتاء، الزمن الوحشي،
لماذا يرسل إلينا هذا الفصل...
أهو إنذار أم عقاب

لأعـــمال قـــام أو يقـــوم بهـــا النـــاس
الكراهيـــــة، الغـــــيرة، كـــــل عواطـــــف
الإنســــــــــــان المتـــــــــــوحش...
الضـــــباب هـــــو العـــــبء الثقيـــــل
الـــذي تحـــتم عـــلى الإنســـان أن يحمـــل
الـــبرد لـــلألم الـــذي يتحمـــل الإنســـان
والـــــثلج لقســـــاوة الجـــــنس الـــــبشري
ثانيـــــــة وصـــــــل الشـــــــتاء)..

هذه القصيدة ليست اعتيادية بالنسبة لطفل في الحادية عشرة، فقد استعمل الشتاء كرمز شخصي لمعاناة الشر، والأكثر أهمية، الرمزية هنا واعية جداً «آن» طفلة ضمنت نفسها في القصيدة بطريقة شخصية جداً.. إن ما قالته هو رأيها في الشتاء وليس هو مجرد تسجيل حقائق عنه، والقصيدة تتفق تماماً مع ما أعرفه أنا عن شخصية «آن» إنها فتاة متوترة الأعصاب وقد عانت الكثير من اعتلال صحتها، وكانت تهيمن عليها حكاية والديها كثيراً.. وأمها تمنعها باستمرار عن عمل أشياء تود هي كثيراً القيام بها.. كان لهذا نتيجته، فهي في المدرسة غير مستقرة ودائماً ما تحصل لها مشادات مرة مع الأطفال الآخرين تنتهي كلها بامتلاء عينيها بالدموع.. القصيدة نفسها، كما أرى قطعة دعوى، ووجدان ووسيلة..

والقصيدة الأخرى من قصائد طلاب الصف ذاته، قصيدة «برد» كتبتها الطفلة «جانيت» وهي في الحادية عشرة:

(كـــــم بـــــاردة هـــــي الـــــدنيا
الـــــــــثلج عـــــــــلى الأرض
قطـــع الجليـــد تتـــدلى مـــن الجـــدران.
كـــــم بـــــاردة هـــــي الـــــدنيا
الخيـــــــول تنفـــــــث بخارهـــــــا
الكـــــــــلاب ترتجـــــــــف

الأطفـــــــــــال يهتـــــــــــزون،

كـــــــــم مبتهجـــــــــين يبـــــــــدون

بملابســــــهم الحمـــــر، الـــــخضر والصــــفر،

كي بـــــــــــــــــــــــــــاردة...

كـــــــم بــــــــاردة هــــــــي الــــــــدنيا..

الأشـــــــجار فضـــــــة مـــــــن الـــــــثلج

وأقـــــــــــــــــــــــدامها في الأرض

الأرض تمتـــد كثيفـــة بالجليـــد الـــذي عليهـــا).

وعن هذه القصيدة يقول «اريك»: لا أستطيع أن أقول إن التكرار المؤثر «كم باردة» حصل عفوياً. واضح أن «جانيت» من دون أي تعليم مباشر عن الشكل الشعري، قد فكرت بعناية بشكل قصيدتها. إن هذه «الحيلة التكنيكية» تجعلنا نعي جانيت باعتبارها مراقبة للمشهد الشتائي.. وقدمت أمثلة هذه القصائد لأبين كيف يمكن أن يكون العمل الفعلي للطلبة أنفسهم موضوع مناقشة في الصف للتغلب على الشعور السابق لديهم، أن الشعر يجب أن يكون معفى لكي يكون شعراً. والأفضل كثيراً أن تكون المناقشة عن التكنيك مستندة إلى أمثلة مثل هذه لأنها ستشعر الطلبة بقوة تأثير طرائق معينة من الكتابة الشعرية. وأن هذه الطريقة أو تلك قد أنجزها واحد من بينهم يعرفونه جيداً، سوف يكون لهذا تأثيره الأبعد في كسر الشعور إن هناك غموضاً وسرية يحيطان بالشعراء والكتابة الشعرية...

ويصل «اريك جي بولتون» في كتابه المهم «كتابة الشعر في المدارس» الذي ترجمه الشاعر ياسين طه حافظ، الفصل الثاني في إدامة حب الشعر، ويحدد مرحلة الثالثة عشرة والرابعة عشرة من العمر، فيقول: المعلم الذي يتولى مهمة تعليم الشعر يدرك حقيقة أن هذا العمل لم يعتادوه، وأنه جديد عليهم، أنه يختلف عن واجباتهم المدرسية الأخرى التي سبق أن فهموا درسها.. ومن سوء الحظ أن جدة هذا العمل سرعان ما تنسى وتصبح الكتابة الشعرية جزءاً من الروتين المدرسي العام.. إن هذا خطر جداً من حيث إن الشيء الذي يجب تحاشيه هو أوتوماتيكية العمل

واعتياديته. وقد تبرز مشكلة: أنهم يكتبون شعراً تتوافر فيه الشروط للكتابة.. ولكنه بغير حياة، هذه أعظم المشكلات في هذه المرحلة من العمر.. فقد صار الأطفال الآن قادرين على أن «يكتبوا» شعراً وقد فعلوا ذلك بعض الوقت، لكن الرغبة في إنتاج قصيدة تعبر عما يشعرون به هم، لم تعد حوافزها بعد مثيرة بالنسبة لمعظمهم، لقد استقر الأمر، وما كان يوماً جديداً ومتخلفاً صار مثل مكان معتاد، مثل أمر يومي، مثل التجمع صباحاً ودرس الحساب. إذا حصل هذا، فإنه سرعان ما ينعكس في الشعر الذي يكتبونه.. ويمكن الاستفادة من أي شيء يشعر المعلم أنه يثير استجابة، هذه مرحلة يجب أن يكون المعلم فيها مغامراً ومجرباً في اختيار الموضوعات التمهيدية التي ينطلق منها للكتابة، يجب قدر المستطاع محو فكرة الدرس الميت الذي يدخل فيه الأطفال، يجلسون ويكتبون درس الشعر، يجب أن تكون استجاباتهم حية وطازجة، إن الحصول على التولع ليس هو المشكلة الوحيدة التي يجب العمل على حالها، وهناك واجب تشجيع الأطفال على تطوير هواياتهم الشعرية وتكنيكهم، في هذا الوقت تصبح أعمالهم أقل موضوعية ووجهات نظرهم تنحرف إلى الذاتية والاستيطان الشخصي.. هذا يمكن التخفيف منه وموازنته بنوع الشعر الذي يقرأ في الصف.. إن التحول سيكون بالتأكيد تدريجياً، وأعترف أن ستكون له استثناءات، لكني وجدت ذلك قاعدة عامة يتحرك بموجبها الأطفال نحو الشعر الذي يتعامل مع نفوسهم الخاصة وعلاقاتهم بالآخرين، إنهم يتخذون الموضوعات التمهيدية - نقاط البدء أو الشروع في القصيدة - يتخذونها منطلقاً بوصفها تعبيراً عن شيء ما في شخصياتهم هم، في البداية سيظهر التعقيب الشخصي (الذاتي) في القصيدة قليلاً، ولكنه سوف يزداد حتى يصبح الموضوع التمهيدي أداة وواسطة لتحرير شيء كان ينتظر منذ وقت طويل، إذا تم الوصول إلى هذه المرحلة، سيكون الأطفال تقريباً في الخامسة عشرة من أعمارهم، و (طريقة أخرى لإثارة وتحفيز القصائد هو جعل الأطفال يكتبون قصائد لمناسبات مدرسية خاصة)[1]..

1- أريك جي بولتون - كتابة الشعر في المدارس.

وهكذا يصل أريك جي بولتون في كتابه «كتابة الشعر في المدارس» إلى المرحلة الأخرى في الفصل الثالث والأخير عن الاستبطان والتساؤل فيقول عن الاستبطان والتساؤل: (لأن أعمال الأحداث في هذه المرحلة تتسم بهاتين الصفتين، إنهم يبدؤون في هذه المرحلة بالنظر إلى داخل أنفسهم ويسأل كل منهم نفسه: أي نوع من الأشخاص أنا؟ وأي شخص أريد أن أكون؟ وهذان السؤالان مترابطان جداً.. فهناك تلاؤم وائتلاف بين ما يعتقده الطفل أو الحدث عن كيانه الحالي وما يريد أن يكون. وما يضيف تعقيداً لهذا الموضوع هو حقيقة أن فكرة الطفل عما يريد أن يكونه دائمة التغيير... وهذه الدعوة لمراجعة وكشف حساب النفس نجدها حاضرة في معظم قصائد مجموعة هذه المرحلة من العمر، وهذا ما أعنيه بكلمة «الاستبطان» وإذا هم ينظرون لأنفسهم عن كثب، ويتابعونها بدقة فهم يراقبون المجتمع من حولهم بعين ناقدة أيضاً.. يبدؤون الآن بإعادة النظر والسؤال عن كثير من المفاهيم التي سبق أن تقبلوها بلا اعتراض.. يبدؤون الآن بالكتابة عن الأسرة والدين والمدرسة محاولين تثبيت مواقفهم الخاصة وسط تلك المفاهيم والمسلمات، أحياناً تقودهم تساؤلاتهم هذه إلى رفض كل تلك المفاهيم أو بعضها. وفي معظم الأحيان تمكنهم تلك التساؤلات من امتلاك فاعلية فكرية، سمتها الإيجابية، هذا المظهر من مظاهر كتابة الأطفال هو الذي وصفته بالتساؤل).

بهذه المراحل يتم استقراء دواخل الأطفال ومعرفة ميولهم، وتطويرها باتجاه تمكينهم من كتابة الشعر، وإعانتهم بوضع اللبنات الأساسية لكتابة خوالجهم.. وأحاسيسهم بطريقة شعرية تقربهم من كتابة القصيدة. ثم تطوير هذه الكتابة حتى يصلوا إلى مرحلة النضج والانطلاق في كتابة الشعر الجيد والمناسب.. لعمق الشعر وشروطه الصحيحة.. فإن (الموهبة الكامنة للتعبير عن الذات لدى أي طفل هي موهبة لا حدود لها. وأؤكد أن من المحتمل أن جداً يكون هذا الافتراض خطأ ولو كان صحيحاً، فليس ثمة مدرس يستطيع أن يهيئ التأزمات النفسية «السايكولوجية» والتدريبات الطويلة التي من شأنها إيقاظ العبقرية في عقلية كانت لولاها عقلية اعتيادية، غير أنه طريق عرض فرص كثيرة أمام مخيلة الطالب والتقليل من القيود وتعزيزه بالثقة والحافز

الطبيعي للكتابة)[1]. هذا الحافز الذي يحدده «تيدهيوز» بالدعوة إلى الطفل الموهوب بالقول: «تخيل ما تريد أن تكتبه، انظر إليه وعشه، لا تفكر به بجهد كما لو كنت تقوم بحل مسألة رياضية عقلية.. تطلع إليه فقط. المسه، تشممه، أصغ إليه، ضع نفسك في داخله وحين تفعل ذلك فإن الكلمات سترعى نفسها مثل السحر، وحين تفعل ذلك ليس عليك أن تزعج نفسك بالفارزة أو النقطة أو ما شابه ذلك، راقب بعينيك، بأذنيك، بأنفك، بتذوقك، ولمسك وكيانك كله ذلك الشيء الذي تحوله إلى كلمات، وفي اللحظة التي تتوقف فيها وتبتعد بذهنك عن ذلك الشيء. ثم تبدأ بالتطلع إلى الكلمات وتقلق بشأنها، فإن قلقك حينذاك سينتقل إليها فتشرع بقتل بعضها بعضاً، لذا عليك الاستمرار قدر ما تستطيع ثم عد ثانية وانظر إلى ما كتبت، بعد قليل من التمرين وبعد أن تؤكد لنفسك بضع مرات أنه لا يهمك كيف كتب الآخرون حول هذا الشيء. وباتباع هذا الطريق ستجد القصيدة».. أي أنك وصلت إلى مرحلة متقدمة في اكتشاف طاقتك الإبداعية، في الخلق والكتابة...

إن اختيار بعض القصائد في عملية التعليم، مسألة مهمة وغاية في الدقة.. وهذه القصائد قد تنمي ميول الطفل إلى الشعر.. أو بالعكس.. لهذا تعد عملية الاختيار الدقيق للقصائد المختارة والتي تكون مداخل تعليمية أو أمثلة توضيحية أمام الأطفال هي من العناصر الأساسية في مراحل التعليم وتطوير قابليات الطفل الشعرية، على أن تكون هذه الاختيارات غير مرغمة.. أو طارئة على وعي وخيال الطفل، فإرغام الأطفال على أشعار محددة (يخمد جذوة الشعر تماماً، كما لا يحق لأحد أن يرغم طفلاً على اكتشاف الجمال في العمل الفني.. لكن من الخير إرشاد طفل إلى سعادة تأمل العمل الفني.. فلدى الأطفال خيال مجنح وأفكار مجسمة وهم يفرحون ليس بالشعر الذي يكتفي بالأخبار بل بالشعر العميق وهذا لا يحصل إلا مع شعر جيد الصياغة، طريف وزاخر بالصور الشعرية مع مضمون مبتكر، الشعر على سبيل المثال، ليس سفينة لنقل تعليمات الطلائع، وإنما هو عمل فني يخاطب

1- تيدهيوز - صناعة الشعر.

العقل والشعور، وباختصار، على الشعر أن يؤثر في البشرية كلها تماماً كما تفعل أفضل أشعار القرون الماضية في كل حين)[1]. ولهذا فعملية الكتابة للأطفال عملية صعبة جداً.. وتحتاج إلى قدرات هائلة وخيال واسع، ومعرفة كبيرة بعالم الطفل ومكوناته وتفاعلاته مع العالم المحيط به، إذاً فالكتابة للأطفال أعقد من الكتابة للكبار، وكما قال غوركي «كتابة جيدة للكبار وللأطفال أجود»..

إن كل ما ذكرناه هنا حول طرائق تعليم الشعر للأطفال، وتنمية قابلياتهم وتحفيز مواهبهم لكتابة الشعر يدعونا - بعد ما تحدثنا عن دور المعلم والمربي - ألا نغفل دور الأب أو الأم في البيت، كعامل مساعد على تطوير قابليات الأطفال وتشجيعهم، فالوقوف إلى جانب الطفل في البيت في مراحل نموه الذهني والعقلي، مهمة ولا تقل أهمية عن مهمة المعلم أو المربي في المدرسة.. فمراقبة الطفل في البيت، وتحفيزه وتشجيعه على الكتابة ومساعدته في فهم القصائد قراءتها.. وحفظها، وتوفير ما يجب أن يتوافر للطفل في البيت من كتبه ولا سيما دواوين الشعر المخصصة للأطفال.. والسعي إلى اجتياز مراحل التعلم والنمو المعرفي بنجاح.. كل ذلك من مسؤولية البيت من أجل خلق الطفل الموهوب والمبدع...

وضمن هذا الإطار نشير هنا إلى تجربة مهمة قام بها الأطفال، ففي العام 1981 نشر ديوان شعر فريد في نوعه، لا مثيل له في العالم، نظمه أطفال متخلفون عقلياً في مدرسة نومورا كاكوني في اليابان، وكان معلم هؤلاء الأطفال وراعي إبداعهم الشعري الشاعر تاكيشي ناكانو، وتم نشر الديوان وترجمته بمعونة البروفيسور ناوشي كورياما وقام بترجمة ما في الديوان إلى العربية المترجم البارع الأستاذ كاظم سعد الدين.

ففي مقدمة الديوان يقول تاكيشي ناكانو: «أبدعت هذه القصائد القوة الإنسانية الروحية الرائعة لدى هؤلاء الأطفال الذين يعيشون في عالم من الإحساس المطلق. وترينا هذه القصائد حقيقة الكائن البشري، ففي خريف 1972 صنعت ديوان شعر من قصائد أحد تلامذتي، فقد جعلت تلامذتي في مجموعة صغيرة

1- فيرنر لنده مان - كتابة الشعر للأطفال.

يلعبون بالصلصال «الطين الأحمر» ويخطون الكلمات التي تخطر ببالهم في أثناء اللعب بالطين على رقم «ألواح» طينية بقطعة من سلك «كما كان يفعل التلامذة السومريون»، وبهذه الصورة من النشاط ولد ديوان شعر لصبي عمره اثنا عشر عاماً، وكان ديوانه باكورة «تربية وتعليم بواسطة التعبير الشعري على ألواح طينية» في نومورا كاكوين، وكانت تجربته الخلاقة نقطة انطلاق لكثير من التلامذة الآخرين للتعبير عن أنفسهم بالقصائد الشعرية، وهكذا أسهم التلامذة في مجتمعهم عن طريق نشاطاتهم الشعرية.. على أنني في البدء لم أكن مدركاً تمام الإدراك مغزى القصائد التي كتبها هؤلاء الأطفال وبعد أن أكملت إخراج ديوان الصبي، نشرت ديوان شعر من قصائدي أيضاً. وقد التقطت الكلمات التي يتفوه بها أولئك الأطفال في نشاطاتهم اليومية، ففسرت بشكل شعري قصائد تلامذتي التي نظموها شفوياً، فكان كتابي ديوان شعر مكوناً من تفسيرات لتعبيرات تلامذتي الشفوية التي يمكن أن أطلق عليها «الأطفال كما أراهم».. وأرسلت الكتابين «ديوان الصبي وديواني» إلى السيد «أجيجي تامورا» أطلب فيها تعليقاته وقد كنت أعتقد في نفسي إن قصائدي أرقى من قصائد الصبي. ولكن كنت على خطأ مبين.. فقد بدأ السيد تامورا تعليقه بقوله: «قبل كل شيء.. لا يمكن للشخص البالغ أن يباري الطفل شعراً» فزعزع رأيي زعزعة كاملة في ما كنت أعتقد بتلامذتي، ومنذ ذلك الحين حصل لدي إيمان راسخ أن تلامذتي يعلمونني الشعر.. وفي آذار 1982 بلغ عدد الدواوين في مجموعات لشعراء مختلفين أو كتب لشعراء أفراد من التلاميذ بلغ 64 ديواناً في 3000 قصيدة وما يزال الأطفال يبدعون قصائد من تجاربهم الحياتية وبطريقة طبيعية جداً، هؤلاء الأطفال الذين يعيشون حياتهم بكل عنفوانها يصبح كل شيء قصيدة، ويستطيع كل واحد منهم أن يفصح عن نفسه شعراً، وقد كتبت في إحدى المجلات ما يأتي:

«إن الفهم الصادق لهؤلاء الأطفال المتخلفين عقلياً سيؤدي إلى استعادة إنسانيتنا المفقودة وسيقودنا إلى الاعتقاد بأن هؤلاء الأطفال هم نور الدنيا».. وبوسعي أن أجد في التعبيرات الشعرية لهؤلاء الأطفال دليل صدق القول المذكور آنفاً. وإني لأضع هذا نصب عيني لأبذل جهوداً أعظم لأجعل عالم هؤلاء الأطفال، الذي

يؤسفني أن أقول: إنه «عالم ما يزال لا يعرفه أحدً» لأجعل عالمهم معروفاً لدى كثير من الناس بواسطة قصائد هؤلاء الأطفال»[1].

وعن قصائد الديوان يقول البروفيسور كورياما: (بدأ السيد ناكانو صنعة دواوين شعر تلامذته في 1972 فجمع وطبع أكثر من ستين مجلداً من الدواوين الشعرية، طبع القصائد على الآلة الطابعة في مدرسته وطواها وجلدها ونشرها بشكل فردي خاص.. دواوين شعر لتلامذة تطبع في طبعات متواضعة بعدد قليل تبلغ عشر نسخ، وعلى هذا فإن هذه الدواوين كتب نادرة في العالم.. هذا وبعد أن تابع الديوان تلامذة الصف السادس من مدرسة ابتدائية عامة في فوجو وطوكيو جاؤوا بمجموعة من «انطباعاتنا عن قراءة «الأطفال يعبرون عن أنفسهم» بتحرير معلم الصف السيد كونينومي، كانت مجموعة الانطباعات كتاباً مؤثراً يبين استجابة حساسة من أطفال أصحاء، أسوياء لقصائد الأطفال المتخلفين عقلياً.. واحد وأربعون تلميذاً، كتب كل واحد منهم ورقتين، واحدة لدى القراءة الأولى، وأخرى بعد أربع حصص من النقاش الصفي لديوان «الأطفال يعبرون عن أنفسهم» وإليكم مثالاً بقلم التلميذ يوكوكوباياشي من مجموعة انطباعاتنا بعنوان «قصائد قصيرة يمكن أن تقول كل شيء»: «تختلف هذه القصائد عن القصائد الاعتيادية في كل طريقة، تختلف في طرائق الشعراء في التفكير وفي موضوعاتهم، إنها تمتلك جمالاً فريداً لا يسعنا تقليده)[2].

وهنا ننقل بعض قصائد الأطفال التي ضمها ديوان «الأطفال يعبرون عن أنفسهم»:

قصيدة «أمي» لسيوري نينوميا (10) سنوات:

جـــــاءت أمـــــي يومـــــاً
إلى مدرســـــــــــــــتنا
وعنـــــــــدما جـــــــاءت
كنـــــــت أصـــــنع قناعـــــاً

1- كاظم سعد الين - مترجم - نحن كتبنا هذه القصائد.
2- المصدر السابق.

دهشـــــــــــــــــــت

وفرحـــــــــــــــــــت

وترقرقـــت الـــدموع في عينـــي،

تحـــــدثت مـــــع أمـــــي،

وتناولنـــا الغـــــداء معـــا...

قصيدة «الجبل» لشيكوتوشي انيو (14) سنة:

الجبـــــــل محبـــــــة

لأن الطـــــائر المغـــــــرد

يجـــــــد فيـــــــه

حبيبتـــــــــــــــــــه

ويطـــــــير بســـــــعادة،

الجبـــــــل محبـــــــة...

قصيدة «أولئك الذين يكتبون الشعر» لفوساي هايودو (12) سنة:

نحـــــــن الطيـــــــور

الـــــورق طعـــــام الطيـــــور

المعلـــــم هـــــو الـــــذي

يقـــــدم الطعـــــام

الصـــغار الـــذين يكتبـــون الشـــعر

هـــــــم الطيـــــــور...

قصيدة «عمل طيب» لشيكي توشي اينو (14) سنة:

عندما كنـت ومعلمـي نكـانو نكتـب

ســـــــال أنفـــــــه

فأخرجـــت منـــديلاً ورقيـــاً

مـــــــن جيبـــــــي

وأديـــت عمـــلاً لطيفـــاً...

قصيدة «كومي تغادر» لماساتو نيشيكاوا (14) سنة:

عنـــــدما تغـــــادر كـــــومي

هـــــــــذه المدرســـــــــة

في الســـــــــــــــادس عشر

لا يســـــــــعني أن أراهـــــــا

بعـــــــــــد ذلـــــــــــك

لـــــذا فعنـــــدما تكـــــون هنـــــا

ســـــــــــــــــــــــــــأرى

وجههـــــــــــا الجميـــــــــــل

قـــــــدر مـــــــا أســـــــتطيع...

قصيدة «الهازجة» لتوشي كيكوجي (16) سنة:

عـــــــــــلى التـــــــــــل

خلـــــــــــف مدرســـــــــتنا

تغـــرد الهازجـــة عـــلى الأشـــجار

وتغـــــــــــــــــــــــــرد

عنـــــدما نشـــــتغل في الحقـــــل

وتغـــــــــــــــــــــــــرد

عنـدما نصـنع طـابوق السـمنت،

وعنـــــدما تغـــــرد الهازجـــــة

أحـس أني أود العمـل بجـد أكـثر...

وسائل

اتصال الطفل بالشعر

تعد الوسائل الأساسية التي يتلقى الطفل بواسطتها الشعر، أي وسائل اتصال الطفل بالشعر، من العناصر المهمة في توسيع مدارك الطفل واطلاعه على قصائد هذا الشعر.. وهذه الوسائل تؤدي دوراً أساسياً في تحفيز الطفل نحو الشعر، وتحبيب الشعر لديه:

فهناك عدة وسائل وطرائق يتلقى الطفل بواسطتها الشعر.. أبرزها:

1- الوسائل الإعلامية،

2- المناهج المدرسية،

3- وسائل الاتصال الجماهيرية،

1- الوسائل الإعلامية:

ونعني بها الصحف والمجلات والكتب والإذاعة والتلفزيون، وغيرها.

على مستوى الصحف كانت هناك جريدة «المزمار» وهي جريدة أسبوعية للأولاد كانت إحدى الوسائل الإعلامية التي تنشر شعر الأطفال، أما بقية الصحف فهي صحف الكبار، وقد أسهمت بنشر شعر الأطفال في مناسبات عديدة وفي صفحات مخصصة للكبار أيضاً.. إضافة إلى صفحات خصصت للأطفال. فجريدة (الثورة) خصصت صفحة «الجيل الجديد» تصدر أسبوعياً مخصصة للأطفال تواصلت بالصدور لسنوات عديدة ثم توقفت، وكانت تنشر شعر الأطفال بشكل متواصل..

وأسهمت جريدة (الجمهورية) في نشر شعر الأطفال بواسطة ملحق «تموز» وهـو ملحـق أسبوعي مخصـص للأطفـال صـدر لسـنوات عديـدة وتوقـف، كـذلك نشرت جريـدة الجمهوريـة عشرات القصائد للأطفال على صفحتها السابقة وبشكل يومي تحـت زاويـة «قصـيدة للأطفـال» وتواصلت بالنشر أكثر من عام ثم توقفت..

ونشرت جريدة (العراق) شعر الأطفال بشكل متقطع.. أما بالنسبة للمجلات فهنـاك مجلـة «مجلتي» التي تصدر أسبوعياً ويعود لها الفضـل الكبـير في نشر وتطـوير تجربـة شـعر الأطفـال في العراق.. عبر اهتمامها بـنشر شـعر الأطفـال وبشـكل متواصـل في كـل عـدد مـن أعـدادها.. الـذي لا يخلو من قصيدة أو قصيدتين أو أكثر..

كذلك قدمت مجلة الأطفال «مجلة المسيرة» التي كان يشرف على قسمها الثقـافي كاتـب هـذه الدراسة.. كانت تهتم كثيراً بالشعر.. منذ صدورها في عام 1979 - حتى توقفها في 1990...

ونشرت مجلة «المرأة» عشرات القصائد للأطفال عبر صفحاتها الخاصة بالأطفال..

مع كل الوسائل.. هناك الوسيلة الأهم وهي دار ثقافة الأطفال التي أصدرت وما زالـت تصـدر شعر الأطفال بشكل موسع.. وبدرجة من الاهتمام الكبير بطريقة نشر الشعر وتقديمـه للأطفـال.. فقـد أصدرت عشرات الدواوين الخاصة بشعر الأطفال لأبرز شعراء الأطفال في العراق...

أما على المستوى الإذاعة والتلفزيون... فقد قدمت الإذاعة عبر برامج الأطفـال اليوميـة عشرات القصائد التي كان يكتبها شعراء الأطفال..

أما التلفزيون.. هناك برنامج أسبوعي يقدم كل يوم جمعـة عنوانـه «ديـوان الأطفـال» إعـداد: فاضل عباس الكعبي، وتقديم الطفلة أثمـار عبـاس وإخـراج عبـاس فاضـل، وهـو يعنـى بتقـديم شـعر الأطفال وأبرز القصائد في هذا المجال بطريقة فنية جميلة... جلبـت انتبـاه الأطفـال إلى هـذا البرنـامج ومتابعة ما يقدمه...

فضلاً عن ذلك فقد أسهمت الإذاعة والتلفزيون بتقديم شعر الأطفال عبر اختيار بعض القصائد وتلحينها، وتقديمها بصيغة أغان للأطفال..

2- المناهج المدرسية:

نجد في مناهج الدراسة الابتدائية ولا سيما في مادة القراءة هناك عشرات القصائد الجميلة التي اختيرت من شعر الأطفال، وقد عدت وسيلة مهمة من وسائل اتصال الطفل بالشعر.. فضلاً عن عملية التوسع بنشر شعر الأطفال بواسطة النشيد المدرسي...

أما رياض الأطفال فقد اعتمدت اعتماداً أساسياً على شعر الأطفال في دعم خططها التربوية، وتنمية اطلاعات الطفل ورغبة الحب تجاه الشعر...

3- وسائل الاتصال الجماهيرية:

ونعني بها مجموعة العلاقات الاجتماعية التي تتشكل من الطفل واختلاطه بمجموعات الأطفال الأخرى..

وعبر هذه العلاقات يستطيع الطفل أن يتطلع إلى شعر الأطفال الذي يحدث أن يردده أو يحفظه بعض الأطفال الآخرين.. فيجلب انتباهه هذا الكلام الذي يسمى بالشعر.. فيحفظه ويردده حتى يصبح هذا الاطلاع أو السماع بداية اتصاله بالشعر لا سيما بالنسبة للأطفال الذين لم يدخلوا بعد مرحلة الروضة أو المدرسة...

كذلك يتصل الطفل بالشعر بواسطة والديه، حينما يرددان بعض الشعر.. فيسارع الطفل بعد سماع هذا الشعر إلى ترديده بمجرد أن يسمعه من والديه، أو من إخوته الكبار في البيت.. فالأسرة تشكل وسيلة مهمة من وسائل الاتصال الجماهيري بالنسبة للطفل.. وتعد الوسيلة الأولى لاتصال الطفل بالعالم الخارجي.. وبعوالمه الثقافية المتنوعة..

إن كل هـذه الوسـائل الاتصـالية تشـكل عنـاصر أساسـية لمعرفـة الطفـل بالشـعر، وكلـما زاد اهتمامها بالشعر ونشره وتقديمه، انعكس ذلك بشكل إيجابي على وعي الطفل، ونمّى لديه رغبة الاطلاع على الشعر وحفظه.. والميل إلى سماعه وقراءة الشعر المناسب لمداركه.. ومن ثم يسهم بتحفيزه لكتابة الشعر أيضاً...

تجربة

شعر الأطفال في العراق

إن الحديث عن تجربة شعر الأطفال في العراق، وخصوصية هذه التجربة الفنية، التي عمقت ورسخت هذا اللون الأدبي المهم في بنية ألأدب العربي، لا بد أن يسحبنا إلى الوراء قليلاً، حيث البدايات التأسيسية الأولى لشعر الأطفال في العراق على يد مجموعة من كبار الشعراء في ذلك الوقت.. والذين أرسوا تقاليد واضحة لشعر الأطفال، فأسسوا قاعدة عريضة له.. بعد أن شعروا بأهمية هذا اللون الأدبي في حياة المجتمع.. فعرفوا - فضلاً عما أبدعوه وقدموه لحركة الشعر العربي كشعراء متميزين في شعر الكبار - كشعراء للأطفال أيضاً كالرصافي والزهاوي والكاظمي والشبيبي والأثري وأحمد حقي الحلي، إلا أن تجاربهم وكتاباتهم لم تأت إلا لغرض تربوي بحت، وهو ذات الغرض والهدف الذي سعى إليه الشعراء العرب في الأقطار العربية حين اهتموا بالكتابة للأطفال لهدف تربوي وتعليمي.

وكان الأكثر استجابة لخيال الطفل، واستخدام الأصوات والأسلوب القصصي في شعر الأطفال هو الأستاذ الشاعر أحمد حقي الحلي[1] الذي تفاعل الأطفال مع قصائده تفاعلاً كبيراً، وشكلت هذه القصائد جزءاً من محفوظاتهم وأناشيدهم في المدرسة والبيت والشارع.. والتي من أبرزها:

هـــــري هـــــري	حلـــــو الشـــــعر
ولــــــه عـــــين	عـــــين الصـــــقر
يمشي هـــــــري	مثــــل النمـــــر
ويلـــــذ لــــــه	صـــــيد الفـــــأر...

1- أحمد حقي الحلي - الأناشيد الطفلية.

وأيضاً:

أنـا عصـفور صـغير　　أنـا عصـفور صـغير

قتـل الصـياد أمـي　　لـيس لي اليـوم نصـير

أنـا في الغصـن مقـيم　　أنـا عصـفور يتـيم

ليـت لي جنحـاً قويـاً　　ليتنـي الآن أطـير

مـن تـرى يحنـو عليـا　　يرسـل الحـب إليّـا

ارحمـوني أطعمـوني　　أنـا عصـفور فقـير...

إن هذه القصائد وغيرها كانت اللبنات الأولى، التي استند إليها شعر الأطفال المعاصر في العراق، وشكلت الذخيرة الأساسية لهذا الشعر للانطلاق في تجاربه ومجالاته الحديثة والتجريبية لخلق البنية الجديدة والتقاليد الرصينة لشعر الأطفال في العراق إذ أنه (لمن الممكن القول: إن تجربة شعراء العراق في مجال شعر الأطفال، تعد تجربة عربية، غنية أدخلت عناصر التحديث والإضافة.. فبعد أن قدم لنا الشعراء، أحمد حقي الحلي، وباقر سماكة، ومحمد بهجة الثري، وعبد الرزاق عبد الواحد، وآخرون تجاربهم أثناء الخمسينيات في الكتابة للأطفال، على مستوى الأدب الابتدائي في مناهج الدراسة، جاء جيل آخر، يمكن القول إنه وضع خطواته الأساسية في السبعينيات وأثمرت نتاجاً عربياً ضخماً من الإبداع الشعري المقدم للطفولة)[1]. وأصبحت هذه النتاجات المتطورة عن النتاجات التقليدية قاعدة متقدمة لشعر الأطفال، في العراق والوطن العربي...

وكانت الانطلاقة الصحيحة والراسخة لتجربة شعر الأطفال في العراق في السبعينيات، بعد الانطلاقة التقليدية الأولى في الخمسينيات...

ويمكن الانطلاق من السبعينيات لتحديد السمات والمعالم الفنية الراسخة لشعر الأطفال في العراق لا سيما بعد إصدار مجلة أسبوعية مخصصة للأطفال في عام 1969، هي مجلة «مجلتي» وجريدة «المزمار» عام 1970، وكان لهذين المطبوعين الأثر الكبير في تنشيط وترسيخ قاعدة شعر الأطفال، وتوضح معالم حركة شعر الأطفال

1- فاروق سلوم - مقدمة ديوان «أشيائي الجميلة» للشاعر فاضل عباس الكعبي.

بشكل دقيق أثناء الأعوام (1979-1975) بعد أن تطور إصدار «مجلتي» و«المزمار» بشكل واسع، وشمل إصدار العديد من دواوين الشعر في سلاسل عديدة لأبرز شعراء الأطفال في العراق.. وبعد هذا التوسع في إدارة مجلتي والمزمار صدر قرار باستحداث «دار ثقافة الأطفال» وهي مديرية عامة بديلة عن رئاسة تحرير مجلتي والمزمار.. وأصبحت هذه الدار مدرسة كبيرة أسهمت في إعداد جيل من الشعراء الذين ألموا بشروط الكتابة للأطفال وأسهموا بتطوير قاعدة شعر الأطفال في العراق...

فمن بين الأطفال والأحداث الذين واكبوا صدور مجلتي والمزمار منذ صدور العدد الأول من مجلتي والمزمار عام 1969، وكانوا من القراء المتابعين والموهوبين والذين يترددون بشكل متواصل على إدارة مجلتي والمزمار ومتابعة سر العمل والكتابة.. برز من هؤلاء مجموعة من الكتّاب والشعراء الذين عدُّوا من التلاميذ الأوائل لمدرسة مجلتي والمزمار، منهم: شفيق مهدي، شاكر حمودي، سلام الشماع، فاضل عباس الكعبي، محمد حبيب مهدي، سلام كاظم الواسطي، وغيرهم.. وشيئاً فشيئاً بدأت المحاولات التجريبية تتوضح معالمها وتترسخ أكثر بعد نشر العديد من القصائد والدواوين الجميلة التي كتبها عشرات الشعراء.. الذين كانوا يكتبون للكبار، فبرزت ضمن تجاربهم محاولات جميلة للكتابة للأطفال، وبعض هؤلاء الشعراء كتبوا شعر الأطفال من باب الاهتمام والتخصص بشعر الأطفال، فبرزت أسماء عديدة منها: (باقر سماكة، عبد الرزاق عبد الواحد، فاروق سلوم، تركي كاظم جودة، فاروق يوسف، بيان الصفدي، مالك المطلبي، خالد يوسف، حسن دكسن، حاتم الصكر، صباح كاظم، محمد الخطاط، جمال السوداني، عبد الجبار العتابي، علي جعفر العلاق، عبد الجبار العاشور، جعفر علي جاسم، فاضل عباس الكعبي، شاكر حمودي، خيون دواي الفهد، صلاح حسن، جليل خزعل، عبد الحكيم أمين، عبد علي كاظم، محمد جبار حسن، خالد الخزرجي، كريم العراقي، هادي ياسين، محمد حبيب مهدي، جواد الحطاب، عبد الزهرة زكي، حسن عبد الحميد، حسن عبد النبي، حميد حسن جعفر، حميد قاسم، سعد محمد عباس، باسم المرعبي، عبد الإله رؤوف، عبد الرزاق الربيعي، فاضل العبودي، نزار جواد، يحيى زكي البطاط، عمار عبد الخالق، حامد عبد الصمد البصري، سعد

جاسم، جاسم التميمي، سمير علو، محمد كاظم جواد، عبد الرحيم صالح، قاسم حميد العاني، عيسى إسماعيل، نبيل ياسين، نجم عبد الله) وغيرهم.

إلا أن السنوات الأخيرة من تطور تجربة شعر الأطفال في العراق شهدت تراجع الكثير من هذه الأسماء، وابتعادها عن الكتابة للأطفال، وبقيت فقط الأسماء الراسخة في هذا المجال والتي عدت شعر الأطفال قضية أساسية ضمن القضايا المهمة التي تشكل حدود تجاربها الإبداعية وسمات هذه التجارب، وأبرزها: (عبد الرزاق عبد الواحد، فاروق سلوم، فاروق يوسف، تركي كاظم جودة، عبد الجبار العاشور، محمد الوادي، حسن دكسن، فاضل عباس الكعبي، جعفر علي جاسم، خيون دواي الفهد، جليل خزعل، محمد جبار حسن، خالد الخزرجي، كريم العراقي، محمد حبيب مهدي، سعد جاسم، محمد كاظم جواد، عبد الرزاق الربيعي، حسن عبد الحميد، نزار جواد، عمار عبد الخالق، حامد عبد الصمد البصري، سمير علو، جمال السوداني) وغيرهم...

خلصنا إلى هذه النتيجة بعد متابعة العطاء الشعر]، والنشر في المجلات المتخصصة والأنشطة الثقافية في مجال شعر الأطفال.. لسنوات عديدة، ولا سيما السنوات الأخيرة التي تجاوزت فيها تجربة شعر الأطفال في العراق.. مرحلة التجريب، وبات من الملح التنظير والتأسيس لهذه التجربة وبناء ملامحها الفنية والنقدية.. بعد أن أصبحت راسخة ضمن الواقع الثقافي..

ومن المفيد هنا الإشارة إلى نقطة مهمة في تحديد ملامح تجربة شعر الأطفال في العراق، أنها أصبحت تجربة رائدة، ومنطلقاً متقدماً للكتابة المخصصة للأطفال في الوطن العربي.. فلدى متابعتنا تجارب شعراء الأطفال في الأقطار العربية، نلمس التأثر الواضح بتجربة شعراء الأطفال في العراق وملامح قصيدة الطفل في العراق بارزة في القصيدة العربية الموجهة للطفل.. وهذا وحده أكبر دليل على أهمية ونجاح وتكامل تجربة قصيدة الطفل في العراق.. وامتلاكها شروط وعناصر نجاحها وتفاعلها مع واقع وعوامل الطفل العربي في كل مكان..

لذلك فما أنجزه شعراء الأطفال في العراق في السنوات الأخيرة، يعد نموذجاً متقدماً في طليعة التجارب والنماذج العربية الموجهة للطفل...

وما تتميز به تجربة العراق عن التجارب العربية، أنها خرجت من التقليدية والرتابة في التوجه وأساليب الكتابة، وتحررت من سيطرة الشعر القديم، وهيمنة الرواد، وأساليبهم التي ما عادت تستهوي الأطفال اليوم، فراحت تؤسس لتجربتها الخاصة، مستخدمة أساليب بنائية، وعناصر فنية جديدة في الكتابة وتوجهات جديدة، وأفكاراً مستحدثة، أهلتها أن تكون في طليعة الإبداع الجديد الموجه للأطفال...

في حين بقيت التجارب العربية الأخرى أسيرة الأنماط القديمة، والأساليب التعليمية، والأشكال الجامدة التي أوجدها الرواد.. ولم يمتلكوا روح المغامرة في التجريب والتحديث التي سادت بنية الشعر العربي بشكل عام.

ومع أننا ندين للرواد وشعرهم التقليدي الموجه للأطفال بالفضل الكبير، ونقف أمام جهودهم الرائعة، وقفة تقدير واعتزاز بشكل دائم، لما قاموا به.. وما أنجزوه، من منجزات أدبية إبداعية جعلت من شعر الأطفال، واقعاً راسخاً، ومن قصائدهم وأناشيدهم الجميلة، تراثاً غنياً... نهل منه كل المبدعين الذين أتوا بعدهم لمواصلة مسيرة أدب الأطفال، وتطويرها.. ونشهد بمنجزاتهم الرائعة التي وضعت لنا قاعدة الانطلاق، في مسيرة شعر الأطفال، فلولا تجاربهم الرائدة، لما كانت لنا تجاربنا الواضحة في هذا المسار.

مع كل ذلك.. وأمام التطور الهائل في كل مرافق الحياة، والثورات التجديدية التي شهدها الأدب العالمي بشكل عام والأدب العربي بشكل خاص، وما وصل إليه أدب الأطفال في الأقطار العربية، بوصفه جزءاً من بنية الأدب العربي، كان لزاماً على الكتاب والشعراء الذين حملوا مسؤولية التواصل ومد الحياة المتواصلة والجديدة في روح أدب الأطفال، أن ينهضوا بتجاربهم وأفكارهم وأساليبهم، ويطوروا كل ذلك باتجاه خدمة الطفل العربي، وجعله في عمق المنجز الإبداعي الموجه له.. وهذا يتطلب مواكبة التطورات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية... وإيجاد الأساليب الجديدة في الكتابة والتوجه، والوصول إلى الاستجابة الكاملة والفاعلة لدى الطفل...

وهذا ما سعت له تجربة شعر الأطفال في العراق... وحققت نسبة متقدمة لا نبالغ إذا قلنا، هي النسبة الأكبر بين النسب التي حققتها التجارب العربية في هذا

الاتجاه. (وإذا كنا ننظر إلى تجارب العقود الماضية - على أنها كانت محكومة بمفاهيم ثقافية وتربوية سطحية وبعيدة كل البعد عن الاحتكام لحاجة الطفل ولوجوده المختلف تبعاً لانعدام الفهم العلمي الصحيح لخواص الطفل - فإن ما تردد من صدى لثورات كبيرة في علمي نفس الطفل وتربيته سادت مختلف أنحاء العالم ينبغي أن يضعنا إزاء مسؤوليات جديدة، لذلك فإن إجراء تحسينات مبسطة ومنسجمة مع التعبير الراهن على النوع الشعري القديم لا يمكن أن يشكل إلا نوعاً من أنواع التبعية ويسجل تكريساً لحالات الضعف التي تعاني منها القصيدة على صعيد الاتصال بالطفل، وليس صواباً أن يقال إن أطفال اليوم يميلون إلى أشعار أحمد شوقي ومحمد الهراوي والزهاوي والرصافي كما كان يفعل أطفال الأمس مجبرين لغياب البديل.. وإذا ما كان الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي واضحاً ومحسوساً فإن هذا الصراع في قصيدة الطفل ما زال ملتبساً ويتخذ له العديد من الأقنعة التربوية والاجتماعية وأحياناً العلمية الزائفة، ولا يمكن أن يجسم هذا الصراع ما لم يتم الاحتكام إلى المعرفة العلمية بحقيقة الطفل وحقيقة وجوده وطبيعة الحاجات الثقافية التي ينطوي عليها هذا الوجود، لذلك فإن الأمر بالنسبة للشعراء يتعدى الموهبة والرغبة الصادقة إلى المسؤولية التاريخية والتأسيس لنوع ثقافي بديل)[1]. هذا النوع هو ما نسعى لأن يكون في تجربة خلاقة، وبإبداع جديد له مبررات نجاحه ومغامرته في التحديث والتجديد لخلق النص المبدع الذي ينطلق من الطفل وإلى الطفل في حالة من التوافق والتواصل.. والتفاعل، بين الطفل كنص، وبين النص كطفل، «إن صح التعبير»...

لقد أثير جدل كبير حول أهمية ما يكتبه شعراء الأطفال، ونمطية القصائد وما تضيفها إلى وعي وخيال الطفل، وهل هذه القصائد البسيطة التي يكتبها الشعراء، تصل إلى الطفل، بحيث يتفاعل معها وتصبح لغة مضافة إلى لغته وعوامل جديدة.. ومعارف مضافة إلى معالمه ومعارفه..

جرى هذا الجدل والنقاش في جلسات خاصة وندوات وحلقات دراسية عديدة، حسم بالنتيجة لصالح قصيدة الطفل، حيث أضاف لها خبرات جديدة.. وجعلها في

1- فاروق يوسف - 50 قصيدة للأطفال.

ميزان النقد والمناقشة والاهتمام وتلاشي النظرة القاصرة التي كانت تدور حول قصيدة الطفل... الأمر الذي جعل الكثير، ممن يجهلون تقنيات الكتابة للأطفال، ويظنون أنها سهلة للغاية... يعيدون النظر باعتقادهم ويتراجعون عن خوض التجربة الصعبة في الكتابة للأطفال، بعد فشلهم فعلاً في الوصول إلى لغة وأعماق الطفل ومخاطبته... لعدم توافر مستلزمات الدخول وفهم عالم الطفل... والقدرة على امتلاك الأداة التعبيرية الصادقة التي تعد إحدى الوسائل المهمة في عملية الكتابة للطفل...

ومع احتدام الصراع بين مؤيدي شعر الأطفال ومعارضيه، وأصل بعض الشعراء البارعين مشروعهم بكل صبر وتحد ونجاح، متجاوزين النظرة الضيقة والقاصرة إلى ما يكتبونه للأطفال، وتحقق وصولهم إلى الدرجة الواعية في أهمية ما كتبوه للأطفال.. بعد أن أبدعوا أجمل القصائد للأطفال.. وعدت نماذج متميزة وتجارب مبدعة أسهمت بتطور وتعميق تجربة شعر الأطفال في العراق..

إلا أن دراسة هذه التجربة من قبل الدارسين والنقاد لم تكن بحجم التجربة ومنجزاتها.. وكانت دراسات تقليدية، أخذت جانب العرض أكثر من جانب النقد والتعمق في روح القصيدة وعلاقتها بالشاعر والطفل ولم تكن هناك كتابات مهمة في هذا المجال باستثناء ما كتبه، الشاعر فاروق سلوم والشاعر فاروق يوسف والدكتور هادي نعمان الهيتي والدكتور عمر أحمد الطالب...

كذلك لم تكن هناك حركة نقدية متخصصة تواكب إنجازات شعر الأطفال، شأنها شأن الحركة النقدية التي ترافق شعر الكبار.. لو كان هناك ناقد متخصص بنقد شعر الأطفال وملاحقة إنجازاته المتواصلة.. لتوضحت معالم تجربة شعر الأطفال بشكل واضح وبرزت العلامات المتميزة في هذه التجربة وأخذت مجالها الصحيح...

كل هذه العوامل أدت إلى بطء نمو حركة شعر الأطفال، وتحركها ضمن أطر محددة في الواقع الثقافي.. فكل نتاج إبداعي، أو حركة أدبية لا تنمو، وتأخذ مسارها الصحيح، دون أن ترافقها حركة نقدية نشطة وفاعلة، تواكب تطورها، وتؤشر إلى أماكن القوة والضعف فيها.. وتجعلها في المستوى المراد لها...

وبنظرة سريعة لاستقراء ما أنتج من شعر للأطفال في العراق أثناء السنوات الماضية نستطيع أن نحدد أهم سمات وملامح هذه التجربة وإشكالاتها...

مع أن شعر الأطفال في العراق اتسم بميوله الحديثة في الكتابة، واتخاذه شكل «الشعر الحر» في بناء القصيدة، تعبيراً عن الأسلوب الحديث في الكتابة الشعرية، وبتأثير من حركة التطور الحاصلة في الشعر بشكل عام... وقد وجد هذا الاتجاه قبولاً كبيراً لدى الأطفال، فبعدما كان الاتجاه التقليدي في القصيدة العمودية سائداً وأساساً لشعر الأطفال، حتى إن بعضهم أراد لشعر الأطفال أن يخضع للأساليب التجريبية وأشكال الكتابة المعاصرة للشعر.. ففكر أن يكتب «قصيدة نثر» للأطفال، وكنت حينها وما زلت من أشد المعارضين لذلك، مع أنني فضلاً عن كتابة الشعر العمودي والشعر الحر كتبت «قصيدة النثر» أما للأطفال فلا يمكن أن نكتب «قصيدة نثر» لأن من أبرز عناصر القصيدة التي تداعب مخيلة الطفل عنصر الموسيقى.. لذلك لا يمكن أن نخضع قصيدة الطفل للأساليب التجريبية في الكتابة الشعرية دون أن تلتزم هذه الأساليب بالدرجة الأولى بعنصر الموسيقى والإيقاع.. و«الشعر الحر» عندما توجه للأطفال لم ينسف الموسيقى والإيقاع حين نسف وحدة البيت الشعري «الصدر والعجز» لهذا السبب وجد قبولاً كبيراً لدى الأطفال..

ومع أن الأكثرية العظمى من شعراء الأطفال التزموا الشكل الجديد في كتابة قصيدة الطفل.. هناك من التزم الشكل القديم.. وهناك من التزم الشكل القديم والجديد معاً.. كالشاعر عبد الرزاق عبد الواحد الذي يعد من مبدعي قصيدة الطفل في العراق وأحد مؤسسي حركة تطور شعر الأطفال في العراق.. وقد جاءت قصائده العمودية للأطفال عذبة، طيعة اللغة، والصورة الشعرية، وذات إيقاع راقص، ومؤثر، يسهل حفظها وترديدها بعد قبولها السريع من قبل الأطفال. وقد جاءت بعض قصائده العمودية التي اعتمد فيها البناء الحكائي، جاءت بقافية موحدة كما في قصيدة «البحار الصغير»[1] التي يقول فيها:

أنـــا فتـــى بحـــار   تســـحرني البحـــار
أحبهـــا لأنهـــا   تملؤهـــا الأسرار

1- عبد الرزاق عبد اواحد - ديوانه «قصاد للأطفال».

تلمــــع في قيعانهـــا　　اللآلــــئ الصــــغار

والســــمك اللـــماع　　والمرجـــان والمحـــار..

وفي قصائد أخرى يستخدم أكثر من قافية كما في قصيدة «الطفل والربابة»[1]، التي يقول فيه:

أحــكي لكــم حكايــة　　جميلـــة للغايـــة

وكنــت عمــري عامــان　　أذكرهـــا حتـــى الآن

جـــاء إلى البيـــت أبي　　يحمــل شــتى اللعــب

وبينهــــا زحافـــة　　كأنهـــا زرافـــة

شـــغلها فطقطقـــت　　وأرعـــدت وأبرقـــت...

وقد التزم الشاعر جعفر علي جاسم الشكل القديم في كل قصائده ولم يتأثر بالأساليب الجديدة في قصيدة الأطفال، فالمطالع لقصائده يعتقد أنها كتبت في الخمسينيات أو في الستينيات ضمن المدرسة الكلاسيكية وبأسلوب القصائد التعليمية..

لقد برزت في شعر الأطفال في العراق العديد من القيم والموضوعات، التي تناولها جميع شعراء الأطفال مثل، الشتاء، السماء، الدار، المدرسة، الدرس، الصيف، الأم، الأب، الصباح، البستان، العصفور، الطيور، الزهور، المطر، الرياح، الجناح، النوارس، دجلة، بغداد، الوطن، الأرض، المعلم، المعلمة، وغيرها الكثير.

إلا أننا نلاحظ عند معظم الشعراء أن هناك تشابه، أو بعض التشابه في بعض الاستخدامات في المفردات، والإيقاع، والصورة الشعرية، ويكاد المطلع يعتقد أن مثل هذه الحالة.. لم تكن عفوية. ففي سبيل المثال.. في قصيدة «أحلى الصور»[2]:

(في دفـــــــتري.. في دفـــــــتري

رســـــمت أحـــــلى الصـــــور)

1- عبد الرزاق عبد اواحد - ديوانه «قصاد للأطفال».

2- محمد جبار حسن - ديوانه «الفراشات الهاربة».

وفي قصيدة «هوايتي»[1] نقرأ:

(في دفـــــــــــــــــــــتري

جمعــــــت أحــــــلى الصـــــور)

وفي قصيدة «يسألنا المعلم»[2] نقرأ:

(طـــــــــار البلبـــــــــل

طـــــــــار.. طـــــــــار

طـــــــــار الطـــــــــير

طـــــــــار.. طـــــــــار

طـــــــــار النمـــــــــر

كـــــلا.. كـــــلا لا يطـــــير)

ونقرأ في قصيدة «الديك في السماء طار»[3]:

(طـــــار غـــــراب مصـــــطفى

نعـــــــم طـــــــار

والـــــنسر طـــــار واختفـــــى

نعـــــــم طـــــــار

والمـــــــاء والبســـــــاتين

مـــــا طـــــــارت)

وفي قصيدة «أجراس الصباح»[4] نقرأ:

(تـــرن تـــرن تـــرن تـــرات

دقـــت أجـــراس الســـاعات)

1- محمد حبيب مهدي - ديوانه «بيت السعادة».

2- كريم العراقي - ديوانه «سالم يا عراق».

3- عبد الرزاق عبد الواحد - ديوانه «الديك في السماء طار»

4- سعد جاسم - ديوانه «أجراس الصباح».

وفي قصيدة «أغنية المدرسة»[1] نقرأ:

(رن.. تـــــررن.. رن.. تـــــررن

جـــرس الـــدرس يـــرن يـــرن)

وفي قصيدة «تك تك تاك»[2] نقرأ:

(تـــك تـــك تـــاك تـــك تـــك تـــاك

صـــوت الـــوطن رن بـــــــأذني

حـــث خطـــاك حـــث خطـــاك)

وفي قصيدة «تك تك تاك»[3] نقرأ:

تـــك تـــك تـــاك تـــك تـــك تـــاك

حـــط الطـــير عـــلى الشـــباك

ونقرأ في قصيدة «تم تم تاك»:

(تـــم تـــم تـــاك

تـــم تـــم تـــاك

الســـاعة فـــوق الشـــباك)

وفي قصيدة «قصائد الصباح»[4] نقرأ:

(تـــك.. تـــك.. تـــاك

هيـــا اصـــحو.. ودعـــوا النـــوم

مـــا أحلاهـــا الشـــمس اليـــوم

مشرقـــة خلـــف الشـــباك)

وهناك العديد من هذه القصائد التي تتشكل من أجواء ومفردات وصور مشتركة ولا نقـول متشـابهة، أو مـن بـاب «تـوارد خـواطر»... وهـذه القصـائد تشـكل

1- عمار عبد الخالق - ديوانه «فراشات وعصافير».

2- عبد علي كاظم - قصيدته «تك تك تاك».

3- خالد يوسف - ديوانه «تك تك تاك».

4- حسن دكسن - ديوانه «أغان وحكايات».

مشكلة كبيرة في شعر الأطفال، آثرنا أن نناقشها في دراسة نقدية موسعة نتعرض فيها إلى الأسباب والمسببات، والحالة التي تقف وراء هذه المشكلة التي توسعت بسبب غياب النقد الجاد والمتابع لشعر الأطفال... وسنستقرئ في دراستنا النقدية التي سنقوم بها في وقت آخر.. أصل القصيدة الأولى وما جاء بعدها من القصائد المشابهة..

ونظرة أخرى لشعر الأطفال في العراق نجد إن هناك العديد من القصائد التي تخلو من الخيال وجمال الصورة الشعرية.. ويعود ذلك إلى عدم إمكانية شاعرها للوصول إلى فهم الطفل، وبسبب النظرة القاصرة للوصول إلى لغة الطفل وتقديم الجيد والجميل الذي يغني الطفل ويجعله يتفاعل مع الكتابة الشعرية...

وما نتلمسه في شعر الأطفال، عدم اهتمام الشعراء بمراحل الطفولة وكتابة قصائدهم على ضوء ذلك، فنجد معظم القصائد مخصصة للأطفال فقط.. دون تحديد السن الذي نتوجه له.. وهذا يشكل عائقاً أمام وصول القصيدة إلى مرحلتها الصحيحة.. فتبقى سائبة تدور أمام كل المراحل.. ولا تقف عند مرحلة محددة..

وهناك العديد من القصائد نتلمس فيها معانٍ وصوراً شعرية يمكن أن نعدها مخصصة للروضة ولدى تتبع هذه القصيدة نجد في صورها الشعرية الأخرى معان وصور لا تصلح لغير السنوات المتقدمة.. وهذا يجعلنا نقول: إن الشاعر عند كتابة هذه القصيدة لم يضع في فكره مرحلة عمرية محددة.. لذلك جاءت قصيدته تعبيراً عن كل المراحل.. ومع أن الشعراء لا يعون في بعض الحالات الجوانب السلبية في هذه الكتابة.. إلا أن هناك من يعتقد أن هذه الكتابة التي تستوعب مفهومات كل المراحل.. يمكن لها أن تقف عند مرحلة معينة وتستجيب لها.. ومع ذلك يجب مراجعة هذا الرأي والاهتمام بالرأي القائل: «إن لكل مرحلة كتابتها الخاصة».. ومفرداتها التي تتفاعل مع قدرتها وفهمها...

الخلاصة

بعد كل ما تطرقنا له، وما عرضناه من نماذج من شعر الأطفال، نرى من المهم جداً:

بعد أن تطورت تجربة شعر الأطفال في العراق، وأخذت مسارها الصحيح في الحياة الثقافية - أن نسعى إلى التنظير لها، ووضع الملامح الإبداعية والسمات الفنية لجوانبها لكي، تنمو إبداعياً وتشكل جانباً راسخاً من حركة الإبداع العربي بشكل عام، وحركة الشعر العربي بشكل خاص...

ومن المهم جداً:

أن نسعى إلى أن تكون هناك حركة نقدية فاعلة ترافق حركة شعر الأطفال، لكي تضع حداً للتلاعب والاستسهال الحاصل في قصيدة الطفل.

كذلك.. لا بد أن تكون هناك عناصر واضحة تمثل الأرضية الصلبة لقصيدة الطفل... ولتكن من القصيدة ذاتها.. ومن تجارب شعراء الأطفال.. لتكون السمات الصحيحة لفهم وتشكيل قصيدة الطفل ودورها في شعر الأطفال..

فقبل مدة ليست بالقصيرة جرى حديث مطول بيني وبين الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد حول قصيدة الطفل.. وطلبت من شاعرنا المبدع كتابة رؤيته وآرائه حول تجربته الطويلة في كتابة شعر الأطفال..

فحتماً ستكون هذه الكتابة مهمة معمقة لتجربة شعر الأطفال في العراق.. وستسهم إلى حد ما بوضع الملامح البارزة لقصيدة الطفل...

وبذلك نكون قد عمقنا تجربة شعر الأطفال، وجعلناها مهمة ومطلوبة في الساحة الثقافية..

وعنصراً فاعلاً ومؤثراً وأساسياً في حياة الطفل...

الفصل السابع

مدخل إلى قصص الأطفال

مرتكز القصة

في حياة الطفل

تعد القصة من المرتكزات المعرفية الأساسية في بناء شخصية الطفل، ومساعدته على اكتشاف العوالم التي تحيطه.

والارتكاز إلى القصة يشكل لدى الطفل، حاجة ثقافية كبيرة تسهم بتوسيع مداركه وزيادة معارفه، ومعلوماته، لما تحمله من نسب واضحة من هذه المعارف والمعلومات، إضافة إلى نسب الخيال والإمتاع.

والقصة بكل محتوياتها وأحداثها وشخصياتها، تشكل لدى الطفل عوالم جديدة مضافة إلى عوالمه السابقة، وتسهم بوضع الكثير من الإجابات التي يود الوصول إليها، ومعرفتها تبعاً للأسئلة الكثيرة، والألغاز التي يراها مبهمة في مجموعة من الصور والكائنات والعوالم الكبيرة والتي تقتحم مخيلته، نتيجة احتكاكه بالمجتمع الكبير..

وكل ذلك قد يجده واضحاً وسهل الوصول إلى حقيقته عبر عالم القصة المدهش..

هذا العالم الجميل.. الذي يسهم بتنمية خياله وإحساسه بالجمال، وله قدرة كبيرة بتهذيب الطفل، ومده بكل ما هو منظم وجميل في الحياة الكبيرة التي يسعى الطفل دائماً إلى معرفة كل تفاصيلها..

فالقصة الموجهة للأطفال تعد من أهم الفنون الأدبية في بنية أدب الأطفال، وكذلك تعد من العناصر الفاعلة والأساسية في نشر وتوسيع قاعدة ثقافة الأطفال وترسيخها في فكر وحياة الطفل...

ومن هنا اعتمد معظم التربويين في خططهم وبرامجهم التربوية على مرتكز القصة، بوصفه وسيلة تربوية وثقافية ناجحة في الوصول إلى الغاية المبتغاة.. وبصفته أفضل أسلوب أدبي، ومؤثر ومحبب لدى الأطفال، في أداء مهمتهم، ونشر أفكارهم وبرامجهم الثقافية والتربوية.. وترسيخها في مخيلة الأطفال...

إن المتتبع لمسيرة أدب الأطفال، ونتاجه الكبير في كل مكان من العالم.. يجد أن القصة هي الأهم.. والأكثر شيوعاً وتداولاً لدى الأطفال والمعنيين. من كل الفنون الأدبية الأخرى...

وحقيقة هذا الأمر واضحة، كل الوضوح لدى الباحثين والمتابعين لتاريخ أدب الأطفال في العالم.. فالأطفال يميلون بشكل كبير إلى القصص، أكثر من أي لون أدبي آخر.. وتبعاً لذلك، نجد في كل العالم، أن كتّاب القصص الموجهة للأطفال، أكثر من كتاب شعر الأطفال، أو مسرحيات الأطفال، أو أغاني الأطفال... بعد الوصول إلى ميول الأطفال، ومعرفة درجاتها فتوضح جانب القصة وتأثيره في اطلاعاتهم، وحاجاتهم الثقافية..

وتوضحت حقيقة في هذا المجال.. أن الفنون الأدبية الأخرى، قد ارتكزت على عناصر القصة في خصوصيتها.. فنجد أن شعر الأطفال قد ارتكز على القصة لزيادة قوته وفاعليته.. وتعميق خطابه التربوي والثقافي.. فأصبحت من العناصر الفاعلة والمؤثرة في قصيدة الطفل، العنصر القصصي الذي يجذب الطفل ويجعله طيعاً في تتبع الإيقاع والصور الشعرية...

كذلك المسرحية التي لا تكتمل أو تنجح من دون التسلسل القصصي وأحداث القصة التي تشكل عمق المسرحية.

إذاً فقصة الأطفال هي الإطار العام لأدب الأطفال، ومرتكز ثقافة الأطفال.. والوسيلة الأكثر شيوعاً وتأثيراً في تثقيف وتعليم وتربية الأطفال..

ويلاحظ أن الأطفال شديدو التعلق بالقصص، وهم يستمعون إليها أو يقرؤونها بشغف ويحلقون في أجوائها، ويتجاوبون مع أبطالها ويتشبعون بما فيها من أخيلة ويتخطون بواسطتها أجوائهم الاعتيادية، ويندمجون بأحداثها ويتعايشون مع أفكارها لا سيما وأنها تقودهم بلطف ورقة وسحر إلى الاتجاه الذي تحمله، فضلاً عن أنها توفر لهم فرصاً للترفيه في نشاط ترويحي وتشبع ميولهم إلى اللعب، لذا فهي ترضي مختلف المشاعر والأمزجة والمدارك والأخيلة، بوصفها عملية ممسرحة للحياة والأفكار والقيم)[1]. التي تشكل أساسيات تطور نمو الطفل العقلي والذهني والثقافي والحركي..

ومن هنا تشكل القصة عنصراً أساسياً، من عناصر تكوين شخصية الطفل وترسيخ قاعدتها الثقافية، وزيادة وعي وخيال الطفل..

وقبل التحديد العلمي لهذا الجانب في دراسة ثقافة الأطفال، وقبل ظهور الدراسات التربوية والسايكولوجية والثقافية التي عنيت بكل جوانب الطفل ومراحل الطفولة، كان لقصة الأطفال دورها «الفطري» في تحديد شخصية الطفل ومدها بعناصر قوتها ونضجها، إذ خضع الطفل منذ القديم إلى تأثير القصة، ففي البيت كان يتلقى القصة من الأسرة، ولا سيما من الأم أو من الجدة.. ولا نعتقد أن أحداً لا يتذكر طفولته، وعشرات القصص الخيالية والشعبية التي كان يستمع إليها ويستمتع بها من «حكايات جدتي» التي شكلت جانباً مهماً من حياته، وحاجة أساسية من حاجياته الثقافية في طفولته.. حتى أصبحت «حكايات جدتي» الأساس الكبير والمنهل الزاخر لكل ما ظهر في العصر الحديث من قصص للأطفال وقد اعتمد علم النفس في دراساته وتحليلاته لأنماط السلوك والتصرف والنمو والتطور، على القصة بشكل كبير، إذ يرى بعض علماء النفس أن القصة وما يتبعها من الحكايات تكون اللعب الإيهامي الذي يحتاجه بشدة الأطفال، وذلك لتصوراتهم وإشباع

1- د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال.

قدراتهم الخيالية على التجسيد والتمثيل.. فما يرونه في الواقع.. يرونه متجسداً في القصة.. لذلك تتطور قابلياتهم على التشخيص والتجسيد في هذا المجال، وتتطور هذه القابليات، كلما تطور تأثير القصة في شخصياتهم.. ومكوناتهم العقلية والذهنية.

خصائص

قصة الأطفال ومفهومها

إن مفهوم قصة الأطفال يتحدد من خصائص المرحلة التي يخاطبها ويتعامل معها، ومع أن خصائص القصة الموجهة للأطفال تختلف عن خصائص القصة المكتوبة للكبار، إلا أنها تشترك معها في بعض العناصر مثل الحبكة والزمان والمكان والحدث والشخصية والفكرة، وكل هذه العناصر التي تشترك في صياغة قصة الكبار، تشترك أيضاً - بعد صياغتها وتطويعها لمرحلة الطفولة - في تكوين عناصر قصة الأطفال.

وقد اختلف الباحثون في الإطار العام للقصة، وأهم عناصر القوة التي تتشكل منها القصة بشكل عام، فمن جملة العناصر الأساسية في القصة هناك من يؤكد على الحدث والشخصية، وهناك من يؤكد على الحبكة والزمان والمكان وهناك من يؤكد الفكرة والشخصية والحوار والخيال، وهناك من يعد السرد والبناء والشخصية أساسيات القصة المؤثرة...

إن قصة الأطفال تعتمد على حدث واضح يجسده كاتب القصة يدور حول شخصيات إنسانية أو حيوانية ومن النبات والجماد، ويجب أن تكتب قصة الأطفال بأسلوب سهل، وبلغة مبسطة ومشوقة تعتمد الإثارة والفائدة، وتعتمد في بنائها الفني على فكرة واضحة، وحدث محدد بزمان ومكان، وشخصية البطل..

ويجب على قصة الأطفال، أن تأخذ الجانب اللغوي وحدوده ومعانيه في نطاق فهم الطفل وداخل قاموسه اللغوي، ولا تخرج في تركيبها عن رقعة الطفل اللغوية، أي أن تكتب بجمل قصيرة واضحة. وبفقرات واضحة ومتسلسلة تخدم البناء الفني

للقصة، أما الوضوح فنقصد به (أن القارئ لا يضطر كثيراً إلى فهم ما وراء المعنى الظاهر من معنى خفي يقصد إليه الكاتب)[1]. وألا تعتمد القصة المكتوبة للأطفال على رموز صعبة على فهم الطفل.

أما بالنسبة للجمل داخل القصة فهي التي تحدد نجاح القصة ووصولها إلى وعي الطفل، عبر استيعابها دون عناء، والوصول بشكل يسير إلى تسلسلها وترابطها في تتابع الحدث، فهناك العديد من القصص التي لا تصل إلى وعي الطفل بسهولة، وتجعله غير قادر على استيعابها والتفاعل مع ذروتها، تلك القصص التي تعتمد على جمل طويلة، وجمل معقدة، وجمل اعتراضية، فالجمل الطويلة هي التي (تزيد فيها الزيادات والفضلات عن الأركان الأساسية «مبتدأ وخبر أو فعل فاعل ومفعول» أما الجمل المعقدة فهي من قبيل الجمل الشرطية والظرفية والجمل التي تقع صفة أو حالاً لشيء في جملة سابقة، وأما الجمل الاعتراضية فهي التي تشق نسيج الجملة الأساسية كجملة الدعاء وأسلوب الاختصاص وما إلى ذلك)[2]. من الزيادات التي تشتت الفكرة وتربك تسلسل القصة، الأمر الذي يجعلها غير مقبولة لدى الأطفال...

إن من خصائص قصص الأطفال الأخرى.. اعتمادها على الحيوان لتجسيد البطل.. فقد أوضح علماء النفس وعلماء التربية في دراساتهم العديدة، أن الطفل يميل أكثر إلى القصص التي تتشكل أبطالها من الحيوانات، لقربها من عالمه.. ولسهولة تقمص الطفل لشخصيات الحيوانات.. لا سيما لدى الأطفال الصغار.. لذلك نجد النسبة الأكبر من قصص الأطفال في العالم تعتمد في بنائها الفني على شخصيات الحيوانات التي يميل إليها الأطفال..

كذلك أخذ النبات والجماد مساحة كبيرة في قصص الأطفال، لقرب هذه الأشياء من عالم الطفولة، ولاستخدامها كوسيلة ناجحة لإيصال الأفكار

1- د. هدى برادة، د. السيد العزاوي، الأطفال يقرؤون.

2- المصدر السابق.

والأحداث والقيم التي يراد إيصالها إلى الأطفال بغية تعليمهم وإمتاعهم، وزيادة معارفهم وقابلياتهم وتطوير مخيلتهم، وتعد قصة (العروة المكسورة) لفاروق سلوم، من أفضل القصص التي تقمصت شخصوها. الجمادات، فقد اتخذت «الأكواب مكانها على المائدة، خمسة أكواب لكل واحد منها عروة والسادس كُسِرت عروته، وعندما جلس أحمد على المائدة اهتزت الأكواب فرَّن الكوب الذي كسرت عروته. قال الكوب الأكبر: لا تبك انتظر، وحين دقت ساعة الحائط سبع دقات التمَّ الجميع على مائدة الفطور، قالت أم أحمد: من يشرب بهذا الكوب؟ فلم يجبها أحد، قالت: نرميه إذاً... فاهتز الكوب خوفاً، لكن أبا أحمد قال: إذا انكسرت عروة الكوب فإنه سيظل كوباً، فإذا لم نشرب به فإننا سنستعمله كمحفظة سكر، فرن الكوب صاحب العروة المكسورة عندما اصطدم بالكوب الأكبر، وقال له: ألم أقل لك لا تبك، ها أنت تتسلم عملاً جديداً وستظل مليئاً بالسكر، وعاشت الأكواب الستة عيشة سعيدة»...

(إن هذه القصة الجميلة بجملها القصيرة الواضحة والمفهومة وبالحوار الشائق المغني، وبالمفهوم الكبير لتحقيق التعاون بين الشخصيات، والابتعاد عن اليأس عند الإصابة بأزمة، فهناك دائماً بديل عن الضرر الذي يصيب الشخص، فما لا يصلح لوظيفة ما يصلح لعمل آخر، هذا فضلاً عن إرشاد الأطفال للعناية بأشيائهم حتى إذا ما أصابها العطب فهناك البديل للاستعمال دائماً، يحقق الفائدة بوجه من الوجوه. لقد فرضت هذه القصة نجاحها على المتلقين لأنها تمثل بحق نموذجاً جيداً لقصص الأطفال الناجحة، بما أوتيت من تركيز واقتصاد في الكلمات، وتجانس في الشخصيات، وانسجام بين الأكواب واستعمالات البشر، وحوار مقتضب معبر ساعد على دفع الحدث إلى الإمام وتطويره حتى النهاية المرجوة له، وانبثقت التعليمية عبر القصة مفيدة ومؤثرة وبعيدة عن الوعظية والمباشرة)[1]. وأكدت بأسلوبها وموضوعها ولغتها ارتباطها الجميل

1- د. عمر أحمد الطالب، أدب الأطفال في العراق.

بالأطفال وانطلاقها من عالمها ووعيهم بعد استجابتهم لميولهم ومستوياتهم الذهنية واللغوية..

وهناك قصص كثيرة عدت نماذج متقدمة في أدب الأطفال استحق كتابها الصدارة في هذا المجال..

وقصص الأطفال (بتخطيها أبعاد الزمان تنقل الأطفال عبر الدهور المختلفة كما تتجاوز بهم الحاضر إلى المستقبل، وبتخيطها أبعاد المكان تنقلهم إلى مختلف الأمكنة وبتجاوزها الواقع تجعل الأطفال أمام حوادث ووقائع وشخصيات وأجواء خارج نطاق الخبرة الشخصية للأطفال وتهيئ لهم الطوفان على أجنحة الخيال في عوالم مختلفة.. ويجد الأطفال في بعض القصص متنفساً لما يشعرون به من رغبات مكبوتة، إضافة إلى أنها تساعدهم في إنماء ثروتهم اللغوية، فالأطفال يمكن أن يفهموا القصة عبر تكوين صورة عامة عن حوادثها ومضمونها على الرغم من جهلهم ببعض معاني كلماتها، وبواسطة السياق يتعرفون إلى معاني كلمات كثيرة.. وللقصة طواعية في أن تكون مقروءة أو مروية أو ممثلة على المسرح أو مقدمة عبر الإذاعة والتلفزيون أو السينما، وهي تكتسب عبر كل طريقة أبعاداً فنية جديدة)[1] تجعلها أكثر طواعية أمام الأطفال وسهلة الدخول إلى عالمهم وتلبية ميولهم.. فتصبح جزءاً من حياتهم.

والطفل بطبيعته دائماً متمركزاً حول ذاته، وينظر إلى الأشياء والكائنات بواسطة ذاته، فيحاول إسقاط كل مشكلاته ومشاعره على كل مدركاته، فيعتقد أن هذا العالم المتحرك الذي تحركه الأحداث والأفعال إنما تقف خلفه قوة سحرية، فتكون ثقته بالواقع ثقة عمياء فيحاول إخضاع الأشياء والأحداث لرغباته واحتياجاته، فيجعل الكائنات والشخصيات التي تبتكرها خيالاته طوع أمره.. يحركها كيفما يشاء، مع أن قدراته العقلية لا تميز بين الأشياء والكائنات

1- د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال.

لقصورها في الوصول إلى حقيقتها، ولكنه عندما يألفها ويتعايش معها.. يستطيع أن يميزها ويبتكر لها خصائص في خياله.. والقصة تساعده، مساعدة كبيرة في هذه المهمة..

وعبر هذا الأفق الواسع من الخيال، تتوسع مدارك الطفل وينمو خياله..

فيبدأ بابتكار شخصيات وأحداث وعوالم من خياله.. ويضع لها قوة خارقة.. وتسميات تنسجم وطبيعته ورغباته وتمنياته..

وعندما يبلغ الطفل الثالثة أو الرابعة يتصادم الواقع بخيال الطفل ويتحول الطفل عن فكرته في «إحيائه المادة» إلى فكرته عن «اصطناعية المادة».. وتستمر هذه الفكرة مسيطرة عليه حتى سن السابعة أو الثامنة من عمره.

ونعني باصطناعية المادة اعتقاد الطفل في أن كل شيء في هذا العالم إنما هو نتاج صانع ماهر فهناك من وجهة نظر الطفل:

صانع النجوم والسماء وصانع للقمر.. وصانع للبحار وهذه محاولة جديدة من الطفل.. يتآلف بها مع الطبيعة ومع دنيا الواقع الذي يعيشه ويعيش أحداثه...

وفي هذه المدة من العمر نلاحظ عامة شيئاً من عدم الاستقرار بين واقع الطفل وخياله الجامح.. ولهذا ينبغي أن نحذر من اتهام الأطفال بالكذب في هذه المدة لأنهم يتخيلون أحداثاً يعتقدون أنها حدثت فعلاً.. وهذا الجنوح إلى الخيال يسيطر على الطفل (اللعب الإيهامي) حتى سن السابعة أو الثامنة من عمره، ثم لا يلبث هذا الخيال أن ينحسر عن المجالات الأخرى، ويتركز في المجال اللفظي فقط..

أن هذه السمة تفسر إلى حد بعيد تذوق الطفل للقصص التي تسرد على مسامعه وسهولة تأليفه وابتكاره بعضها ولا سيما عندما يبلغ الحادية أو الثانية عشرة من عمره.. أي عندما يكتسب الصغير خبرة شخصية واجتماعية تنظِّم إلى حد

بعيد فكره الموضوعي)[1] وتطور خيالاته تجعل القصة في ذهنه معلقة، لا تنتهي أحداثها، فخيالاته تبقى شرحة تقوده إلى ما لا نهاية.. في كل ما يتخيله.. وشيئاً فشيئاً بعد تقدمه في العمر.. يصبح التركيز والتشخيص عنده أكثر استقراراً.. وعلى القصة المقدمة له أن تجعله مبدعاً لا قارئاً أو مطلعاً فقط.. وعندما تجعله هكذا تصبح بحق قصة ناجحة للأطفال.

1- د. عواطف إبراهيم، قصص أطفال في دور الحضانة.

الجوانب التربوية في قصص الأطفال

تعتبر العملية التربوية من الأهداف الواضحة في قصص الأطفال، فسعى كتّاب قصص الأطفال إلى تجسيد هذه الأهداف في قصصهم لتساعد الطفل على كسب المعارف والمهارات، وتعليمه القيم النبيلة.. والمسالك الصحيحة ليشق طريق حياته بسلام وتطور.. مع الأخذ بالحسبان، تقديم هذه الأهداف بأسلوب شيق تؤطره المتعة والخيال الواسع.. وجعله يستمتع بالقصة ويسعد بها إلى جانب تعلمه وحصوله على بعض المعارف والخطط التربوية.

وكلما وضعنا القصص الجميلة للأطفال، التي تتسم بالجوانب التربوية الناجحة، نكون قد حققنا هدف التربية بنجاح، واستطعنا تقويم سلوك الطفل وتطور شخصيته وقدراته وابتكاراته.. شرط ألا تستخدم هذه القصص أسلوب الوعظ والتعليم السطحي المباشر.. الذي لا يحفز في روح الطفل الخيال والمتعة..

وتأخذ عملية سرد القصص حيزاً كبيراً في التأثير، أكثر من قراءة القصص مباشرة من قبل الأطفال، (ولما كان الطفل بطبيعته مرهف الحس وجداناته تغمر تصرفاته وسلوكه وتؤثر في مدركاته، فلا بد للمدرسة من احترام مشاعر الطفل وهذا يتطلب منها أن تتجنب الأحداث العنيفة في القصص التي تختارها، وتسردها على مسامع الصغار، ولهذا يمكنها حذف الأحداث التي يمكن أن تثير مخاوف الطفل أو تلك التي تقوض أمنه وطمأنينته وإذا لم يتيسر لها ذلك، فعليها أن تستبعد القصة كلية ومن أمثلة هذه القصص «عقلة الصباع، القطة التي أكلت صغارها»، كذلك أن تبتعد عن السوقية: وإذا كانت القصص التهذيبية تعطي للأطفال القدوة الحسنة في السلوك، فينبغي للمدرسة الابتعاد كلية عن المواعظ التي يعتقد بعضهم

خطأ أنها مفيدة للأطفال فيركزون عليها في نهاية القصة، كذلك يجب تجنب كل ما يثير انفعالات الأطفال القوية أو ما يثير اضطرابهم أو قلقهم، لأن بعض الأطفال يتأثرون بالأحداث الاجتماعية التي تمر بها أسرهم «شقاق، حرمان، طلاق، موت».. ويجب استبعاد الأحداث الساذجة التي تمتهن عقلية الطفل.. كما يتعين على المدرسة أن تكيف محتوى القصة لطبيعة نمو الأطفال الذين تقدم لهم القصة.. ويتطلب سرد القصة ذاكرة قوية من الراوي، وخيالاً مبدعاً، ومعلومات واسعة، وقدرة لفظية على التعبير مع استخدام أسلوب سلسل بسيط، وصوتاً واضحاً متزناً، محبباً إلى النفس، ومعبراً، مع استخدام إيماءات وحركات يدوية لتدعيم المعاني وتقريبها إلى ذهن الأطفال)[1]. ويؤدي الراوي الدور الكبير في جعل الأطفال يعيشون في واقع القصة...

وينبغي أن يكون تفكيرنا دائماً هو: ألا نعنى بسرد القصص للأطفال فقط، بل نسعى إلى جعل الأطفال يبتكرون عوالم القصة ويسهمون بتمثيل أحداثها، وتمكينهم من وضع القصص والعمل على كتابتها لتنمية قدرة الكتابة والموهبة في ربط الأحداث وسردها وتكثيفها في كتابة مبتكرة تسمى قصة..

وقد حدث في بلدان عديدة، أن اهتمت الدوائر التربوية والإعلامية والثقافية المعنية بثقافة وتربية الأطفال، بتنمية مواهب الأطفال وتشجيعهم على الكتابة... فقد أرسل عدد من الأطفال في العالم بعض القصص التي كتبوها إلى مجلة الأطفال السوفيتية «ميشا» وقد قام أطفال سوفييت برسم صور لها.. وقد ترجم هذه القصص إلى العربية القاص العراقي شفيق مهدي[2]. وللاطلاع على مهارات الأطفال وقدرتهم الخيالية في التعبير، نرى من المناسب أن ننقل بعض هذه القصص هنا، لندعم ما ذهبنا إليه في هذه الدراسة..

فالقصة الأولى من كولومبيا كتبتها الطفلة «ماريا سوليداد» بعنوان «قرطا أمي» جاءت هكذا:

1- د. عواطف إبراهيم، قصص أطفال في دور الحضانة.

2- شفيق مهدي، قصص من رسائل الأصدقاء.

«يوماً ما اقترب الهر «فليز موندو» من قيثارة ذات اثني عشر وتراً، وعندما لمس الـوتر الأخـير، بدأت القيثارة تعزف. لقد كانت آلة سحرية...

وحصل الهر - عندما أقام الحفلة - الموسيقية العامـة الأولى - عـلى مـا يكفـي مـن النقـود لشراء كمية كبيرة من السردين المعلب، وبيـنما كـان عائـداً لبيتـه، رأى فتـاة صـغيرة تـبكي. أخبرتـه «كريستينا» أنها فقدت قرطين، كانا هدية من أمها.. أقسم «فليز مونـدو» إنـه سـيجدها حتـى لـو جال في كل بلدان العالم لسنوات.

ذهب الصديقان إلى المطار، واختفيا في حمولة تحملهـا طـائرة، وعنـدما أقلعـت الطـائرة مـس ذيله، مصادفة مقبض الباب الأفقي الموجود في الأرضية، فانفتح الباب، وتداعى المسافران خارجاً. ومـن حسن الحظ أن «كريستينا» كانت حاضرة الذهن، فأسرعت بفتح مظلتهـا، فهبط الاثنـان عـلى الأرض، وسط الصين. شد «فليز موندو» الأوتار، فبدأت قيثارته السحرية تعزف ألحانـاً صـينية، اسـتمتع النـاس الذين تجمعوا هنا وهناك، بها كثيراً جداً، وساعدوا الصديقين، كثيراً جداً، في البحث عن القرطين، لكنهم لم يعثروا على شيء للأسف الشديد...

البلد الآخر الذي ذهب إليه صديقانا هو «غرينلاند»، فقد وصلا إلى هناك بوساطة مذنب مار، هناك عزفت القيثارة ألحاناً من الاسكيمو، ومع ذلك لم يظهر القرطان، للعيان...

زار الهر وصديقته العديد من الأماكن الأخرى، لكن النتيجة هي نفسـها. ولكـن عنـدما عـادت «كريستينا» إلى البيت، وذهبت إلى فراشها مساء، شاهدت فجأة، قرطيها على الفراش...

هذه الأشياء تحدث، كما تعرف إذا أنت تظل تبحث عن شيء في كل مكان، بينما هـو ينتظـرك في البيت».

القصة الثانية بعنوان «غيمة ذات ضفيرتين» من كوبا كتبتها الطفلـة «جوديـث كوسـبنيراروك» تقول القصة:

«بيـــنما كانـــت «الينـــا» وأخوهـــا «مـــانولو» عائـــدين إلى البيـــت، اســـتغرقا في الحديث، لدرجـة أنهـما لم يعرفـا كيـف وصـلا إلى غابـة غريبـة. خافـت «الينـا» وبـدأت

تبكي. وعلى حين غرة، عم الضوء الغابة التي حولهما. ونزلت من السماء فتاة غيمة، ترتدي بدلة طويلة وتاجاً تتدلى منه تحته ضفيرتان.. قالت الفتاة:

- أنا ملكة الغيوم. لا تخافا مني. سنعود طائرين إلى البيت، معاً يمكن أن تشاهدا أشياء كثيرة من فوق...

أمسكت الملكة الطفلين من يديهما، وطارا في الهواء.

- آه!...

صرخت «الينا» عندما حاول بعض الوحوش البشعة، أن ينشب براثنه في «مانولو»..

- ماذا حدث؟. لماذا تصرخين؟

سمعت صوت أمها، فنهضت «الينا» من الفراش وقالت:

- كان حلماً إذن يا أمي!.. أين «مانولو»؟ ألم يحن وقت الذهاب إلى المدرسة»...

وأما القصة الأخرى كتبتها الطفلة «سيلفيا فرانكه» من ألمانيا الديمقراطية بعنوان «كمين في شجيرات العرعر»:

في إحدى المرات، ذهب أربعة خنانيص لقطف الفراولة، ويدعون: «شارلي» و«بنيامين» و«سوني» و«شيفركل». شاهدوا شيئاً ما يتحرك في شجيرة العرعر، عند جانب الطريق، ارتعبت «شيفركل»، وجاء «بنيامين»، و«سوني» إلى الشجيرة.. قالا:

- يوجد أحد في الداخل..

تساءل «شارلي»:

- من هو يا ترى؟ نحن لا نعرف. تعالا لنلقي نظرة...

التحق «شارلي» بالخنوصين الآخرين، وفجأة سمعوا صوتاً يطلب النجدة... استدار الأصدقاء حول المكان، بسرعة. هل تعرفون ماذا شاهدوا؟

ثعلباً عجوزاً ماكراً. جذبت خشخشته انتباههم، وكان يمسك بالمسكينة «شيفركل». تدبرت الخنانيص الأمر وأنقذوها، لكن الأمر كان شديد الوطأة..

وأما القصة الأخرى فقد كانت بعنوان «الغراب يحرس» كتبها الطفل «س. سامو ديانا» من الهند تقول:

يوماً ما، كانت غربان الغابة تنهض من النوم متأخرة جداً. فكانت آخر من تصل المدينة صباحاً. وكثيراً ما تذهب جائعة، إذ أن الذين يستيقظون مبكراً، يلتقطون كل الطعام.. وفي مرة من المرات، بينما كانت غرابة عجوز تبحث في شوارع المدينة عن شيء تأكله، شاهدت قطعة نقود تلمع. ولكن لا.. لم تكن قطعة نقدية، بل ساعة يدوية. وضعت الغرابة أذنها قرب الساعة - لا شيء.. ولكن ليس من السهولة أن تثبط همة الطير العجوز. وبعد دقائق قليلة، كان جناحان يخفقان بالقرب من باب ساعاتي.. وعندما عادت الغرابة إلى الغابة، كانت تحمل معها ساعة تعمل كما يرام...

صارت الغربان تستيقظ في الوقت المحدد. وبالطبع، فإن صاحبة الساعة كانت أول من يستيقظ. وكان صوتها العالي في أنحاء الغابة، فتشاركها بقية الطيور، في الجلبة. وكانت الضوضاء عالية لدرجة أنها تطغى على صفارة معمل.. بعدها تطير الغربان إلى المدينة. ومن يومها لم تتأخر عن إفطارها.

وأخيراً قصة «الصندوق السحري» التي كتبها «جوبيل» من إنكلترة.. التي تقول:

«خرجت للنزهة، فتعثرت فوق صندوق، فتحته، وشاهدت داخله سلماً، نزلت إلى أسفل السلم، فوصلت إلى كهف غامض. كان هناك وحش، قدم نحوي، تسلقت السلم بسرعة.. لم يكن عندي من الوقت إلا ما يسمح بأن أصفق غطاء الصندوق، وأغلقه..

السحر لا يفيد، بل من الأسلم أن تعرف ما تفعل».

إن هذه القصص البسيطة والجميلة التي كتبها الأطفال، تعبر عن التقاطات رائعة للأحداث اليومية الاعتيادية وتصعيدها، وقد عبَّرت عن موهبة فائقة في التجسيد القصصي.. والصدق في التعبير الذي جاء ببساطة متناهية جسدت ما يدور في مخيلة هؤلاء الأطفال - الكتَّاب - وجعلتهم بحق يعبرون عن دواخلهم وطاقتهم بإحساس مرهف، يتمتع بقدرة رائعة على إدارة الحدث وتسلسل السياق القصصي وتنامي الأفعال مع الشخصيات، الأمر الذي يجعلنا نعترف أمام هذه النصوص القصصية أننا نطالع إبداعات متكاملة لكتّاب متمكنين..

إن حصول هؤلاء الأطفال - كتاب هذه القصص - على القدرة الفائقة في التعبير، وتمكنهم من كتابة القصص التي توفرت فيها عناصر القصة الكاملة.. إنما يجعلنا نعي تماماً أن مواهبهم لم تنمُ هكذا.. وتصل إلى ما وصلت إليه من مستوى ما لم تقف خلفها قدرات مدرسية، وخبرات تعليمية ناجحة ومتمكنة من صقل مواهبهم وتطوير قدراتهم.. بالدرجة التي نسعى جميعاً لتحقيقها لكل الأطفال الموهوبين.

إن هذا يقودنا حتماً إلى الوقوف عند أهمية الجوانب التربوية في قصص الأطفال، وقدرتها على تحفيز قدرات الأطفال على التعبير والكتابة، فمطالعات الأطفال، وزيادة اهتمامهم بقراءة القصص التي كتبت لهم، إضافة إلى استماعهم المتواصل لسرد القصص، حتماً سيفعل فعله في دواخلهم.. ويفجر كل طاقاتهم باتجاه كتابة القصص، وشيئاً فشيئاً سيصبحون من المبدعين المهمين في مجال أدب الأطفال بعد تواصلهم مع الكتابة وتطوير خبراتهم وقدراتهم التعبيرية التي لا تصل إلى المستوى الجيد من التعبير ومعرفة العناصر الأساسية لكتابة القصة الناجحة فحسب، إنما تجعلهم يسعون إلى الابتكار، وتطوير الأساليب، ليخلقوا الإبداع الجيد والجديد، الذي لا يستنسخ الأساليب القديمة، أو ينسفها بالمرة، بل يستند إليها.. ويطورها، ويضيف لها.. في تواصل المسيرة الرائعة لأدب الأطفال..

أنواع

قصص الأطفال

تنقسم قصص الأطفال - حسب موضوعاتها وشخصياتها ودوافعها وعلاقاتها الواقعية والخيالية - إلى أنواع عديدة يمكن درجها هكذا:

1- الحكايات الشعبية.

2- قصص الحيوان.

3- القصص العلمية.

4- القصص الفكاهية.

5- قصص الخيال العلمي.

6- قصص البطولة والمغامرات.

7- القصص التاريخية.

8- قصص الأساطير والخرافات.

ولكل نوع من هذه القصص مزاياه الخاصة وتوجهاته التي ينطلق منها لمخاطبة الطفل..

1- الحكايات الشعبية:

تعتمد الحكايات الشعبية على السرد القصصي الشفاهي، وهي نوع من أنواع الأدب الشعبي تعارف عليه المجتمع، وتناقلها الناس جيلاً بعد جيل، والحكايات الشعبية كانت تسرد دون ذكر لمؤلفها أو كاتبها.. ولكل شعب من شعوب العالم حكاياته الشعبية، التي توارثها الناس وأصبحت الجزء المهم في تراث هذه الشعوب، ولدى تطور المجتمعات والأساليب التعبيرية تم استخدام هذه الحكايات والاستناد إليها في كتابة القصص للأطفال.. بل قدمت هذه الحكايات

التي لم تسرد للأطفال أصلاً، وتم تطويعها وإعادة صياغتها لتصلح لمستوى الأطفال...

وفي مجتمعنا العربي كنز كبير من هذه الحكايات المهمة.. والتي برز عشرات الكتّاب للأطفال في عصرنا الحالي لكتابة أو إعادة صياغة هذه الحكايات بأسلوب جديد، وطريقة تنسجم ومخيلة الأطفال في وقتنا الحاضر.. وقد برز في العراق كتّاب مبدعون في هذا المجال منهم القاص حسن موسى، الذي وظف الأسطورة أو الحكاية الشعبية والخرافة داخل العمل القصصي الجديد للأطفال، ثم ابتدأ في مرحلته الأخيرة بأسطرة الحكاية الشعبية، أي بوضع الأسطورة للحكاية الشعبية بأسلوب الأسطورة، وذلك يتوضح عبر قصصه (الصافرة.. كلام كبار.. الوصول.. المكان الأجمل.. رأسان لثعبان واحد.. السمكة الذهبية.. المرأة الماعز.. الطائر الغريب.. مسار والأرنب القمري.. الطيف والثور المجنح.. سر الأيل.. الطاقية.. نور.. الأميرة نور.. النخلة المسكونة.. أبناء الشمس.. والسر..) وغيرها من القصص التي صدرت لهذا الكاتب في كتب دار ثقافة الأطفال، وضمن منشورات الطلائع.

وقد تنوع هذا الكاتب في تناول الأساليب المختلفة في الكتابة للأطفال.. فإضافة إلى ما كتبه من قصص ضمن باب الحكاية الشعبية والأسطورة.. كتب في مجال قصص الخوارق. وقد أشارت العديد من الدراسات عن هذه القصص، فقد ذكر الدكتور عمر الطالب في كتابه «أدب الأطفال في العراق) إلى قصة حسن موسى (زينب وعلاء الدين). وأشار الناقد ياسين النصير في كتابه (دلالة المكان في قصة الأطفال في العراق) إلى قصتي (المكان المتحول ونور) للكاتب نفسه.. كما أشار الكاتب عادل غضبان والكاتب أنور عبد العزيز وسليمان خليفة إلى قصة (الوصول). كما أشار الكاتب عبد التواب يوسف إلى قصة (المكان الأجمل). وكل هذه القصص التي تدخل ضمن قصص (الخوارق) في الحكاية الشعبية وجدت صداها الطيب لدى القراء من الأطفال والكبار لأهميتها في إرساء دعائم قصة الأطفال والحكاية الشعبية في العراق...

وأيضاً من الكتاب المبدعين البارزين في مجال الحكاية الشعبية في العراق القاص والكاتب المبدع عبد الرزاق المطلبي الذي استخلص الكثير من الحكايات الشعبية وشذبها وأضاف إليها روحاً جديدة وجعلها صالحة في أسلوبها وتوجهاتها لمخاطبة الطفل...

وهناك الكثير من القصص والمؤلفات لهذا الكاتب في مجال الحكاية الشعبية لا مجال لحصرها هنا لكثرتها، ويمكن الإشارة بشكل إجمالي إلى عشرات الحكايات الشعبية التي نشرها الكاتب عبد الرزاق المطلبي في أعداد مجلة «مجلتي» بشكل متتابع تحت عنوان «حكاية شعبية»، حيث كُتِبَت بأسلوب حديث وشيق وبمهارة عالية استهوت القراء الصغار وجعلتهم ينشدون إلى هذه الحكايات المهمة، وبالتالي نجح الكاتب المطلبي بواسطة حكاياته الشعبية في جذب الأطفال وربط عقليتهم وفكرهم بما هو مشرق وقيم وبليغ من تراث أمتهم وكنوز بلادهم من الحكايات الشعبية المهمة..

إن الحكاية الشعبية مهمة جداً في نقل التراث والعودة إلى الماضي العريق بدروسه وأفكاره، وقد اعتمد الناس والكتّاب في نقل الحكايات الشعبية، عبر ألسنة الناس وأحاديثهم في المجالس، وعبر حكايات «الجدات» وحكايات «كان يا ما كان في قديم الزمان» و«قال الراوي». وغيرها من الوسائل التي تم بواسطتها التعرف على الحكايات الشعبية..

وبعد تطور وسائل الاتصال، وطرائق الترجمة الحديثة، نجح الكثير من المترجمين في نقل الحكايات الشعبية إلى مختلف اللغات، وحدث اطلاع واسع على الحكايات الشعبية القديمة للشعوب الأخرى.. كما اطلعت الشعوب الأخرى على آثارنا من الحكايات الشعبية العربية.. بل إننا بواسطة الاطلاع الواسع على حكايات الشعوب، وجدنا الكثير من التقارب بين حكاياتنا الشعبية والحكايات الشعبية العالمية.. بل هناك تأثير واضح للحكايات الشعبية العربية في الحكايات الشعبية العالمية..

وقد تفنن الكتّاب في نقل الحكايات الشعبية، فتارة ينقلونها على ألسنة الحيوان، وتارة على ألسنة الطير... وتارة على ألسنة الإنسان.. كل ذلك من أجل إيصالها إلى الطفل بأسلوب شائق أقرب إلى فهمه ومداركه...

وعادة تدور موضوعات الحكايات الشعبية حول أحداث وأشخاص هي من إبداعات خيال الشعوب، يرتبط معظمها بأفكار وتجارب إنسانية وأزمنة قديمة تنسجم مع ما هو سائد في الحياة، وتلتزم بعض القيم التي تهدف إلى تأصيلها وإشاعتها في علاقات المجتمع، وتتحدد بمعانٍ كثيرة لا تخرج عن العرف العام، وأنماط السلوك السوي.. وكان يراد بها نقل العبر والمواقف والأفكار التي يمكن لها أن تنظم العلاقات الاجتماعية والترابط الإنساني بين البشر والمجتمعات.. ونقل المواقف الإنسانية العامة التي تتجسد فيها معاني البطولة والخير والتسامح والشهامة وغير ذلك من القيم النبيلة التي تشترك في السير على هديها والتمسك بها كافة الشعوب...

وعلى الرغم من أن الحكايات الشعبية لها قيمتها التاريخية والموضوعية، إلا أن الكثير من الكبار قد أهملها... وراح الناس ينظرون إليها نظرة قاصرة (وأصبح تناقلهم لها نادراً إذ تركوا الكثير من الحكايات الشعبية للأطفال وللمختصين الذين يتناولونها بالدراسة وإهمال الكبار للحكايات الشعبية ليس دليل عافية.. لأننا في عصر يسمونه واقعياً ومادياً، لذا يظل الإنسان في أشد الحاجة إلى كل الأنواع التي تحمل القيم والمعايير الأخلاقية الرفيعة التي تتطلبها «واقعية ومادية» العصر.. ونحن إذ نشير إلى هذا نسلم بأن الحكايات الشعبية كانت وليدة حياة وعادات ومعتقدات وعواطف الناس في أزمنة بعيدة ولكن الحكايات التي اكتسبت الخلود منها تشير إلى أن عادات ومعتقدات وعواطف كثيرة ظلت تلازم الإنسان حتى اليوم، أي أنها اكتسبت صفة الخلود أيضاً.. وعلى هذا فإن من بين الحكايات الشعبية ما يمكن أن يصلح للأطفال ومنه ما ينبغي إبعاده عنهم لما يحمله من أضرار، ومنه ما يمكن إعادة كتابته في

مضمون وشكل قشيب)[1]. لهذا يجب توخي الدقة في الاختيار والتدوين لهذه الحكايات.. حيث ما زال البعض يسرد هذه الحكايات كما هي وبلهجة عامية غير متناسقة، فلو تم اختيار مجموعة من الكتّاب البارعين لإعادة صياغة هذه الحكايات والمحافظة على قيمها الصحيحة التي تناسب الأطفال لأصبحت زاداً مهماً لأدب الأطفال..

2- قصص الحيوان:

تعتبر قصص الأطفال من أشد القصص إثارة للأطفال وتجلب اهتمامهم بشكل كبير، وذلك لطبيعة الأطفال، لا سيما الصغار منهم، الذين يولعون بالتعلق بالحيوانات.. لا سيما منها الأليفة التي تؤدي دور البطولة في القصص أو الحيوانات المساعدة للإنسان.. أو الحيوانات التي تحيا في بيئة الإنسان وتشكل جانباً من حياته.. بل تكون صديقة له في البيت.. كالقط والكلب وغيرهما.. وكثيراً ما يتعاطف الطفل مع الدجاجة ضد الثعلب في قصصه.. فيعي تماماً أن الثعلب هو الشرير.. والدجاجة هي الوديعة.. (ويتعلق الأطفال بالقصص التي تقوم الحيوانات بأداء الشخصيات فيها وليس في هذا ما يدعو إلى الدهشة إذ يبدو أن هناك نوعاً من الصلة بين الأطفال وبين الحيوانات، كما قد يرجع ذلك إلى السهولة التي يجدها الأطفال في تقمص أدوار الحيوانات أو رغبتهم في قيام ألفة مع بعضها، أو في السيطرة على بعضها الآخر، كما أنها تتيح للأطفال أن يمارسوا التخيل والتفكير دون عناء لاعتمادها على الصور الحسية في التعبير، لا سيما وأن شخصياتها في العادة قليلة، وأفكارها خالية من التعقيد.. ويبدو أن الإنسان قد وجد في الحيوان عفوية، فاستساغ أن يجعله في مخيلته صنيعة يسبغ عليه ما يشاء أو يظهره بالكيفية التي يريد، فهو يظهره ذكياً أو بليداً أو طيباً أو شريراً أو قوياً أو ضعيفاً، أو وفياً أو غادراً)[2]. وقد أظهر الكثير من الكتّاب الحيوان وهو يفكر ويتحدث مثل البشر.. وهذا التطويع جعل الأطفال في ألفة مع الحيوانات، يحبونها، ويقلدونها، ويتلهفون

1- د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال.

2- المصدر السابق.

لسماع وقراءة القصص التي يمثل أحداثها الحيوانات وقد أخذت الحيوانات في قصص الأطفال جانباً كبيراً، الأمر الذي جعل الكثير من المجلات القصصية للأطفال تختار أسماء لهم من شخصيات الحيوانات التي أصبحت مشهورة ومحبوبة عند جميع الأطفال في العالم... كشخصية الفار «ميكي» التي أوجدها «والت ديزني»...

3- القصص العلمية:

هي القصص التي تتعرض إلى خصائص الكون وظواهره وتعاقب الليل والنهار وتوالي الفصول.. والظواهر الغربية التي تحدث أثناء هذه الفصول.. فيقف الطفل حائراً.. متسائلاً عن هذه الظواهر.. فتأتي القصة العلمية لتجيب عن أسئلة الأطفال بشكل علمي دقيق.. تجعله يصل إلى حقيقة هذه الظواهر بأسلوب قصصي سلس وغير مباشر... وتجعله في حالة من الخيال الذي يوسع مداركه ومعارفه.. وتحفزه على الاكتشاف والبحث عن معارف أخرى. لظواهر وشواهد أخرى. (ويمتلك الأطفال قدرة كبيرة على التخيل، ولكن هناك تخيلاً إنشائياً أو تكوينياً وآخر هداماً، ويؤدي الأول إلى البناء بينما يؤدي الثاني إلى الهدم، لأن الأخير يبعد الطفل عن عالم الحقائق إلى عالم الأوهام كتخيل العفاريت والأشباح وما إلى ذلك.. وتستهدف القصص العلمية، بين ما تستهدف، حفظ اتزان خيالات الطفل والحيلولة دون انزلاقها إلى الاتجاه الثاني)[1]. وتأخذ القصص العلمية أشكالاً مختلفة، كأن يكون حدثها صراع بين كوكبين، أو حديث بين الليل والنهار وكيف يتعاقبان ومن أين يأتيان.. وإلى أين يذهبان.. أو كيف يطل الهلال والقمر.. وما شابه ذلك من القضايا العلمية إضافة إلى دخول الخيال العلمي في هذا المجال.. وقد استطاعت القصص العلمية تنمية مدارك الأطفال وجعلهم يتعرفون إلى حقائق الكون وظواهره بشكل يسير..

1- د. هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال.

4- القصص الفكاهية:

من مهمات القصص التي تكتب للأطفال أن تخلق المرح والطرافة في روح الأطفال، لـذلك أخـذ هذا الجانب اهتماماً خاصاً لدى كتاب قصص الأطفال فأوجدوا نوعاً خاصاً من قصصهم، يختص بالقصص الفكاهية..

والقصص الفكاهية هي التي تعنى بإضحاك الأطفال وتقديم الطرائف والنوادر، حيث ينجذب الأطفال إلى هذا النوع من القصص الذي يجدون فيه متعتهم وإسعادهم.. فسعت معظم مؤسسات ثقافة الأطفال في العالم إلى تخصيص المجلات والكتب العديدة التي تقدم قصص الأطفال الهزلية...

ويجب أن نميز في هذا الأمر بين القصص التي تحاول إضحاك الطفل فقط.. وبين القصص التي تضحك الطفل وتمده بالخيال والمتعة وتجعله يصل إلى القيم والمبادئ الأخلاقية التي تستخدم الفكاهة وسيلة للدخول إلى إحساس الطفل..

وتعد القصص الفكاهية من العوامل المهمة في تنمية حواس الطفل وتكوينه الجسماني والعقلي.

وتعد الحكايات الشعبية المصدر الأساس للقصص الفكاهية.. وفي هذا المجال نعرض هنا إحدى هذه القصص من حكايات جحا بعنوان «حمار جحا»، تقول الحكاية:

(كان يا ما كان في قديم الزمان.. رجل اسمعه جحا.. وفي يوم من الأيام، راح جحا إلى سوق القرية، فلما رأى الناس تبيع وتشتري حاجاتها وحيواناتها، فكر أن يبيع هو الآخر حميره في السوق..

رجح جحا إلى البيت ليأخذ الحمير ويبيعها في السوق.. وقبل أن يسير في طريقه إلى السوق، وقف جحا أمام باب داره ليعد الحمير، واحد.. اثنين.. ثلاثة.. عشرة، قال مضبوط.. على بركة الله، وركب جحا أحد الحمير، وسار إلى السوق ووراءه بقية الحمير..

وفي الطريق إلى السوق توقف جحا في الطريق وأخذ يعد مرة أخرى حميره: واحد... اثنين.. ثلاثة.. تسعة.. فصاح: تسعة فقط.. تسعة فقط.. كيف يكون ذلك؟..

وقد نسي جحا أن يعد الحمار الذي يركبه.. وجن جنونه.. ونزل من على حماره، وهو يتعجب لاختفاء الحمار العاشر.. ويقول: ترى أين رحل الحمار العاشر؟.. يمكن يكون قد نزل يشرب من الترعة...

ونزل جحا إلى الترعة ليبحث عن حماره، فلم يجد شيئاً، وعاد يعد الحمير للمرة الثالثة فوجدها عشرة بالتمام والكمال..

عند ذلك قرر جحا بينه وبين نفسه أن يمشي بسرعة.. حتى لا يضيع عليه حماراً دون سبب..

ولما وصل إلى السوق، وقف مع التجار، وبعد أن اتفق معهم على الثمن، باعهم الحمير وقبض الثمن وعاد جحا بعدما باع الحمير إلى البيت... ولما فتحت له زوجته الباب.. قص عليها قصة ضياع الحمار العاشر.. مؤكداً لها أنه لولا شطارته لكان قد ضاع عليه الحمار وثمنه.. فضحكت زوجته من كلامه.. هل تعرفون سبب ضحكها، يا أطفالي الأعزاء؟)..

5- قصص الخيال العلمي:

يعتمد هذا الأسلوب من القصص على محاور عديدة، هناك الخيال العلمي التعليمي الذي يعتمد الخيال من أجل تقديم المعلومة بشكل شيق بعيداً عن الأسلوب الجاف والمباشر، وبطريقة تجذب اهتمام الأطفال وتحفز فيهم حب المعرفة، وتوسع مداركهم باتجاه المعرفة المفيدة...

وهناك أيضاً الخيال العلمي الخرافي الذي يمزج بين العلم والخرافة على الرغم من التناقض بين هذين المتناقضين، إن هذا النوع الذي ينسب إلى الخيال العلمي إنما جاء بشكل سلبي ودخل عالم الأطفال.. وهذا النوع من الأدب المشوه لا يثير أي نزعة إيجابية نحو الإبداع والتفكير العلمي لدى الأطفال.. وتشكل آثارها جوانب سلبية على الأطفال، وذلك بواسطة العنف الذي تحمله وما تثيره من رعب وخوف في نفوس الأطفال...

وهناك أيضاً الخيال العلمي الفنتازي الذي يعتمد على فرضيات خيالية غير مبررة علمياً مقبولة بالنسبة للطفل كأساس مفترض تعتمد عليه لعبة التخيل،

وتعتمد نماذج كثيرة من أدب الخيال العلمي على هذا النوع، مثل عملية اختراق الزمن، أو افتراض وجود كائنات حية غريبة في كوكب ما...

أما النوع الآخر من الخيال العلمي، فهو الخيال العلمي المستقبلي، ونقصد بهاذ النوع من الأدب (أدب الخيال العلمي بمواصفاته الدقيقة.. الأدب الذي ينطلق من حقائق الواقع ليرسم احتمالات المستقبل في التطور العلمي والحضاري والإنساني، ومن أعمال الخيال العلمي الجيدة التي عرضها التلفزيون العربي للأطفال الفيلم الكارتوني (من الأرض إلى القمر) الذي قدم رواية (جول فيرن) للطفل العربي كنموذج من نماذج أدب الخيال العلمي)[1]. الذي أثار اهتمام الأطفال ونقلهم إلى أجواء الفضاء والتفكير والتخيل المستقبلي الذي منحهم الخيال الجامح...

(ومن الطريف حقاً أن القصص الخيالية كثيراً ما تكتب للكبار، لكنها سرعان ما تجد شعبيتها عند الصغار فـ «كليلة ودمنة» كانت بالأصل قصصاً سياسية رويت على ألسنة الحيوان نَّفس بواسطتها المقهورون عن أفكارهم وعرُّوا الظلام والطغاة والمستبدين، وكشفوا المنافقين والوصوليين، وسخروا من الحمقى والمغفلين، لكن كليلة ودمنة سرعان ما انتهت إلى قصص مسلية للأطفال، يتبارى الكتَّاب في تبسيطها وتقديمها لهم... أيضاً الأساطير الشهيرة والحكايات الشعبية التي عبرت عن تطلعات الإنسان وتراث الشعوب وجدت طريقها إلى قصص الأطفال واستقرت في وجدانهم، فتفاعلوا معها واستمتعوا بأجوائها الخيالية الرائعة البديعة.. وكذلك قصص الخيال العلمي اليوم.. إنهم ورثتها المعلنون منذ اللحظة على الرغم أن أكثرها للكبار بلغة الكبار.. فما السبب يا ترى؟.. إن الخيال بالنسبة للطفل ضرورة نفسية وفكرية لأنه بمثابة المنظار الذي يرى بواسطته العالم المحيط به، ويفسر الظواهر، ويقربها إلى وعيه.. إنه الوسيط المقنع الذي يرمم الفجوة بين مدركات الطفل وخبراته المحدودة وبين ظواهر العالم المعقدة التي يبدأ بملاحظتها منذ أن يتفتح وعيه على العالم من حوله، وحتى ينضج تفكيره ليواجه الحياة بحقائقها الواضحة الصريحة.. وعندما يصل الإنسان إلى النضج المطلوب يبدأ

1- د. عماد زكي، أدب الخيال العلمي.

باستخدام الخيال كمسير يتلمس بواسطته طريق المستقبل، ويرسم به صورة لعالم أفضل)[1]، ومن هـذا المنطلق علينا أن نشجع الأطفال على متابعـة قصـص الخيـال العلمـي.. ونسـاعدهم عـلى الوصـول إلى أفضل النماذج في قصص الخيال العلمي.. فقد قال المـربي الإنكليـزي المشـهور ولتـون: «إن رقـي النـوع الإنساني من ألفه إلى يائه يرجع إلى شيئين هما: تخيل أمور أفضل من تلك التي في بيئتنا، وبذل الجهود في سبيل إبرازها إلى عالم الحقيقة. وما الكنوز التي ورثناها عن الماضي إلا صور مجسمة للتخيلات سواء في العلوم، أم الآداب أم الموسيقى أم القانون أم الأنظمة الاجتماعية أم الأخلاق أم العقائـد الدينيـة، إذ إنه من المستحيل أن يتصور الإنسان كائنـاً أعـلى منـه منزلـة مـن دون قدرتـه عـلى التخيـل».. ويقـول الشاعر الإنكليزي كريستوفر فراي: «إن أول حاسة يجب علينـا أن نهـتم بهـا كي لا تصـدأ بسـبب عـدم الاستعمال هي الحاسة السادسة المتمثلة بالخيال.. فالخيال هو الذي يجعل العالم يبدو جديداً لنـا كـل يوم».

إذاً فالخيال العلمي هو الجانب الأهم الذي يجب الاعتماد عليه في الزاد الثقافي المقدم للأطفال بصيغة قصص أو في أدب الأطفال بشكل عام..

6- قصص البطولة والمغامرات:

يعتمد هذا النوع من القصص على القوة والشجاعة أو المجازفات والمغامرات المثيرة التي يقوم بها ألأفراد أو البطل لمواجهة الأخطار والقوى الشريرة.. وبعض هذه القصص ما هـو واقعـي.. ومـا هـو خيالي.. ويدخل بضمنها القصص البوليسية التي تعتمد على مطاردة اللصـوص والمجـرمين وتتخـذ هـذه القصص شكل «البطل» وقيم البطولة في جذب اهتمام الأطفال إلى مضامينها وتعليمهم الشجاعة، مـما يجعلهم يتمنون القيام بدور البطل والبطولة في واقعهم ضمن ملتقياتهم.. أو يتخيلون مواقف يقومون بتمثيلها.

وقد أدت قصص البطولـة دوراً مهـماً بتنميـة إحسـاس الطفـل وهممـه وجعلـه أكـثر شـجاعة وتحملاً في مواجهة الصعوبات والمواقف المحرجة في حياته...

1- د. عماد زكي، أدب الخيال العلمي.

ومع ذلك نجد العديد من قصص المغامرات البوليسية والمطاردات مشحونة بالقتل والعنف والرعب مما يشكل جانباً سلبياً على سلوك ونفوس الأطفال، لا سيما إذا ما عرفنا أن الأطفال يميلون دائماً إلى الاقتداء بأبطال هذه القصص ويسعون إلى تقليدها... فضلاً عن أنها تظهر المجرمين واللصوص والجواسيس لا سيما وهم ينعمون بحياة رغيدة، ويرتدون أردية أنيقة ويرتادون الأندية الراقية، ويتناولون الأغذية الشهية، فيكون لهذا كله أثر في بعث الدوافع النفسية لدى بعض الأطفال نحو التشبه بأولئك المجرمين)[1] وعدهم قدوة للبطل القوي...

7- القصص التاريخية:

يعتمد هذا النوع من القصص على سرد الأحداث والبطولات التاريخية التي تستمد من واقع الحياة، ويقوم بها أبطال وقادة وشخصيات وطنية لها دورها التاريخي في أحداث الشعوب...

وقد جسدت معظم هذه القصص وقائع معروفة لمعارك تاريخية أو بطولات لفرسان عرفوا في المجتمع.. إلا أن معظم هذه القصص لا تجد ميلاً لدى الأطفال لأنها أشبه بسرد الأحداث والوقائع بأسلوب تقريري لا ينحو منحى الخيال في العمل القصصي الذي يعتبر مهماً في العمل الأدبي لجذب اهتمام الطفل...

والهدف من القصص التاريخية تعليم الطفل بحقائق المجتمع ووقائعه ونقل سير الأحداث التاريخية، وسيرة حياة الأبطال..

وقد عمل الكثير من كتاب قصص الأطفال على كتابة القصة التاريخية وبعضهم اعتمد أكثر من غيره على وقائع التاريخ في كتابة قصصه للأطفال وأبرزهم القاص العراقي جاسم محمد صالح والقاص حسن موسى وغيرهما...

1- د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال.

8- قصص الأساطير والخرافات:

يعتمد هذا النوع على سرد الأحداث والمواقف المأخوذة من الأساطير والخرافات التي تدخل في بطولتها شخصيات خارقة غير مرئية كالجان والعفاريت والكائنات المسحورة.. وقد أدت دوراً كبيراً في إيجاد القصص الجميلة التي عدت من روائع أدب الأطفال في العالم.. (ويرجع تعلق الأطفال بالخرافات إلى أسباب عديدة منها، كونها تنطوي على خيال وأعمال سحر وخوارق، لذا يجد الأطفال فيها سبيلاً لتحقيق كثير من الرغبات النفسية الحبيسة في جو خيالي، كما أنهم يجدون لذة في انتصار الأبطال الأخيار الذين يتحدون ما يعترضهم من صعوبات بمعاونة شخصيات غير آدمية. ويجدون فيها عجائب وغرائب ومشاعر وأمثلة للصدق والعدل والتضحية والوفاء.. ومن هذا فإن كثيراً من الخرافات تعد عسيرة الفهم على الأطفال لأنها ترتبط بالأفكار المجردة، لذا يعنى عند اختيار الخرافات للأطفال أن تكون أفكارها وحوادثها واضحة)[1].

وتعد المجالس الشعبية التي تجمع الكبار هي المعين الذي لا ينضب لهذه القصص المتوارثة عبر الألسن بين الناس.. والتي أخذ منها كتاب قصص الأطفال فسعوا إلى تطويرها وتقديمها للطفل بأسلوب جديد يبعد عنها كل ما هو سلبي وغير محبب لدى الأطفال.. إلا أن هذه القصص بحاجة إلى تدوين واهتمام للحفاظ عليها من الضياع والنسيان، فما زال القسم الأكبر منها بعيداً عن أدب الأطفال فقط يدور في ألسنة الناس.. لا سيما في القرى والأرياف ولدى رجال البادية.. لأن المدن المتحضرة انشغلت بقصص أخرى وقضايا، أنستها حتى الكثير من الحكايات الشعبية التي تتداول بين الناس.. وتعد مصدر ثقافتهم واتصالهم بالتاريخ والأزمنة القديمة.. ومن المفيد تسجيلها جميعاً واختيار الصالح منها وتطويره ليكون في متناول الأطفال وجزءاً من أدبهم الراقي...

1- د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال.

تجربة

قصة الأطفال في العراق

إن الحديث عن واقع قصة الأطفال في العراق، وآفاق تطورها، وتقصي البدايات الحقيقيـة لهـا، يقودنا إلى استقراء ما توصل إليه الباحثون في جهودهم الكبيرة، وما وصلوا له من نتائج ونماذج واضحة حددت بموجبها المراحل التاريخية لتطور قصة الأطفال ونشأتها في العراق...

فنشير هنا إلى جهـود الباحـث الـدكتور هـادي نعـمان الهيتـي الـذي تعـرض إلى سـمات قصـة الأطفال في العراق ومراحل تطورها في كتابه القيم (أدب الأطفـال، فلسـفته، فنونـه، وسـائطه)، وبعـده يأتي الباحث القاص جعفر صادق محمد الذي أعطى صورة واضحة ودقيقة لبـدايات قصـة الأطفـال في العراق، وآفاق تطورها، عبر بحوثه التي جاءت في المقدمة منها كتابه (قصص الأطفال في العراق 1968-1922) ودراسته المعنونة (بدايات قصة الأطفال في العراق وتطورها)...

وعـبر هـذه الدراسـات يتضـح لنـا أن البدايـة كانـت عـام 1922 بواسـطة مجلـة «التلميـذ العراقي» التي كانـت أول مجلـة مخصصـة للأحـداث والتلاميـذ، وصـدر العـدد الأول منهـا في 1 / تشرين الثاني/ 1922، وقد قدمت على صفحاتها محاولات في كتابة القصة للأطفـال، كتبهـا مشـتاق طالب ومحمود أحمد وعبـد المجيـد يوسـف والـدكتور مصـطفى جـواد[1]... وحـين توقفـت مجلـة «التلميذ العراقـي» (فقـدت قصـة الأطفـال منـبراً مهـماً ونافـذة واسـعة كانـت تطـل عبرهـا عـلى قرائها)[2]...

1- يوم كان الدكتور مصطفى جواد طالباً في دار المعلمين عام 1923.

2- جعفر صادق محمد، بدايات قصة الأطفال في العراق وتطورها.

وشهدت هذه المرحلة ميلاد مجلة جديدة هي «الكشاف العراقي» وهي مجلة موجهة إلى الأحداث والفتيان ممن ينتظمون في تنظيمات الكشافة أو من هم في سنهم وهي بذلك تماثل مجلة «التلميذ العراقي» في انتخابها الفئة العمرية التي تتوجه إليها. وقد صدر عددها الأول في 15 /حزيران/ 1924.

وعند هذه المرحلة نتوقف قليلاً لنستطلع ما قدمته مجلة «التلميذ العراقي» ومجلة «الكشاف العراقي» من محاولات ونماذج قصصية.. وبوصفها الركيزة الأساسية لقصة الأطفال في العراق، ولا سيما ما قدمه مشتاق طالب ومحمود أحمد وعبد المجيد يوسف والدكتور مصطفى جواد...

يقول الباحث القاص جعفر صادق محمد «إن بواكير نتاج الأدباء العراقيين المكتوب للأطفال جاء نسجاً على منوال ما حفل به ديوان شوقي المرسوم «الشوقيات» من حكايات شعرية مخصصة للأطفال، وكان من الطبيعي أن تجد محاولات شوقي فيما كتبه الأطفال أصداء من لدن هذا الشاعر أو ذاك بدافع التمثل أحياناً والتقليد أحياناً أخرى»...

فمثلاً محاولات الدكتور مصطفى جواد التي كانت تجد لها صدى واسعاً بين أوساط المثقفين والمربين، ومن المستغرب أن تأتي هذه المحاولة من طالب شاب في دار المعلمين في حين لم يقدم عليها شيوخ الشعر وأعلامه المرموقون، فالرصافي مثلاً لم يقدم على نظم حكاياته الشعرية للأطفال إلا في عام 1932، تلك المحاولات التي جمعت فيما بعد في ديوانه «تمائم التعليم والتربية»[1].

ولتعميم الفائدة نورد هنا ما كتبه الدكتور مصطفى جواد، مع أنها تدخل في باب الشعر، إلا أنه أراد منها القصة أو الحكاية الشعرية...

- حكاية الهر والفئران

قد استبد الهر بالبيوت
إذ منع الفأر اختلاس القوت
فهاجت الفئران جوعاً وعطش
ومن حظي بخبزه قد انتعش

1- جعفر صادق محمد، بدايات قصة الأطفال في العراق وتطورها.

فاجتمعـــت يومـــاً بوســـط النـــادي

مـــن غـــير جاســـوس ولا معـــادي

فقـــال شـــيخ لهـــم يـــا قـــومي

إلى متـــى بقاؤنـــا في الضـــيم

فـــإنني أرشـــدكم ســـبيلاً

لعيشـــة طيبـــة كفـــيلا

مـــن يـــأتني مـــنكم بلحـــم وأبـــر

فـــذلك شـــهم وفينـــا معتـــبر

فجـــاءه صـــغيرهم بمـــا طلـــب

لـــكي يـــذيقوا الهـــر أنـــواع العطـــب

وقـــد رماهـــا في طريـــق الهـــر

حتـــى رآهـــا الهـــر في الممـــر

فظنهـــا كأكلـــة غريبـــة

وهـــي لعمـــري حيلـــة عجيبـــة

بليلـــة داهيـــة مصـــيبة

قـــد أعقبتـــه موتـــة كئيبـــة

لمـــا أتـــوه قطعـــوه إربـــاً

فـــانظر إلى المفـــتر كيـــف انقلبـــا

إن القـــوي يغلـــب الضـــعيفا

فاجتهـــد ولا تكـــن نحيفـــا[1]

اللقلق والعصفور

تخاصـــم اللقلـــق والعصـــفور

والحكـــم العـــدل هـــو الـــزرزور

1- مصطفى جواد، مجلة التلميذ العراقي، العدد (22)، نيسان، 1923.

العصـفور: أنـا لطيـف الشـكل والأعضـاء

ومنظـــــري يعجـــــب كـــــل رائي

أطـــير كـــالريح خفيـــف الجســـم

ذو حيـــــل دل عليهـــــا اســـــمي

أنـــت طويـــل الســـاق قـــم الرقبـــة

تحـــار في جســـمك عنـــد العصـــبة

اللقلق: أنت ضعيف الجسم يا عصفور

تأكلـــــك الحيـــــات والصـــــقور

بطـــول ســـاقي قـــد أخـــوض المـــاء

لأقتـــــنص الأســـــماك والبـــــواء

ورقبتـــــي تعيننـــــي في ذلـــــك

فـــأقتني رزقـــي مـــن المهالـــك

الحكـــم: يـــا أيهـــا العصـــفور لا تمـــار

وانظـــر إلى حكمـــة خلـــق البـــاري

قـــد قلـــت هـــزلاً قبـــل أن تنظـــر في

جسـمك مـن عيـب ومـن وصـف خفـي

فمـــن يـــذم الغـــير فالـــذم لـــه

يرجـــع وقـــولي فيـــه مـــا أجهلـــه

فـــاحترم النـــاس وكـــن أديبـــاً

ولا تقـــل إن لم تكـــن مصـــيبا)[1]

لقد استخدم مصطفى جواد البناء الشعري في إطار قصصي لإيصال ما يريد إلى الأحداث والأطفال.. بلغة مبسطة تكاد تفقد سمة القصة، إلا أن الكتابات السائدة في تلك المدة هي التي أحكمت هذين النموذجين.

1- مصطفى جوا، المصدر السابق، العدد (26)، في مايس، 1923.

وإذا ما أردنا التطرق إلى القصص الأخرى فسنقف عند قصة ((حكاية» المنشورة في مجلة «التلميذ العراقي»، العدد (2)، الصادر في 16 تشرين الثاني، عام 1922، والذي كتبه مشتاق طالب، وملخص الحكاية: إن تلميذاً اسمه صبيح يطلب من أمه وهما على مائدة الطعام أن تناوله قدحاً من الماء بما يشبه صيغة الأمر، فتمتعض الأم وتحاول أن تنبهه إلى خطأ سلوكه هذا، فتقص عليه حكاية رجل يعود إلى بيته بعد غربة طويلة، حاملاً معه الكثير من الأشياء الطريفة والنادرة، ومخزوناً من الحكايات العجيبة فيبدأ الناس بزيارته لرؤية ما عنده، والاستماع إلى أحاديثه، وكان كلما طرق أحدهم الباب سأله الرجل: من بالباب؟ يصيح الطارق: أنا فلان افتح الباب يا هذا. فيرفض الرجل أن يفتح بابه حتى فتحه أخيراً لرجل زاد كلمة واحدة على جمل الآخرين هي: «من فضلك» فيفهم صبيح المغزى من حكاية أمه ويعدها بألا يعاود فعلته بعد ذلك)[1]. إن هذا النص الذي احتوى على حبكة واضحة وحوار متسق وهدف تربوي مباشر جعلها محاولة ناضجة في مخاطبة الأطفال، وقد شجعت الكثير من الكتّاب للكتابة على منوالها.. فكتب محمود أحمد حكاية بعنوان «ابن الدلال» التي تطرح خصلة التواضع وتمجيد العمل في موضوعة تختتم بخاتمة مأساوية. وجاءت هذه القصة بلغة تقف بين أسلوب الكتابة للأطفال وأسلوب الكتابة للكبار.. وكتب أيضاً عبد المجيد يوسف قصة «شعور الأطفال» بمضمون مغاير كما عرف من مضامين قصص الأطفال في تلك المرحلة. حيث أعطى المضمون الوطني بعده في سياق القصة.. وجعل حب الوطن والانتماء إليه محور القصة.. وقد عدت قصة جيدة ضمن قصص تلك المدة.. ونشر عبد المجيد يوسف قصة أخرى هي «سلوى المحبوبة».. وهي تحكي عن الفتاة سلوى التي يعاقبها أهلها بحبسها في غرفة مظلمة ولا يقدمون لها من الطعام سوى كسر من الخبز الجاف جراء ممارستها عادة غير مستحبة هي «دس إصبعها في أنفها» فيرق لها قلب جدها العجوز الذي يدس لها علبة من الحلوى ويعترض أهلها على سلوك الجد

1- جعفر صادق محمد، بدايات قصة الأطفال في العراق وتطورها.

محملين إياه تهمة إفساد الفتاة بتدليلها فيعترف الجد بذنبه، ويقترح أن يحبسوه بدلاً من الطفلة وفي نهاية موفقة جميلة للقصة تعطف سلوى على جدها وتقول له بحنان: لا بأس عليك سأوافيك بعلبة حلوى.. والقصة في خاتمتها تنطوي على مفارقة جميلة «تطمين الفتاة لجدها بأنها ستأتيه بعلبة حلوى مثلما فعل هو معها.. وهي قصة كان من الممكن أن تكون ذات أجواء أكثر مرحاً فيما لو اختار للفتاة ذنباً يتناسب وعقوبتها القاسية، إن وقوع القصة في كثير من التفصيلات غير الضرورية، ولجوء الكاتب إلى الجمل التقريرية والخطابية على غير ما ألفناه في قصته السابقة «شعور الأطفال» لا ينفي عن العمل كونه إضافة جديدة لمسار قصة الأطفال في العراق»[1]..

ويعد كتاب «الكشاف العراقي» الذي ضم عشر قصص وحكايات للأطفال وأصدرته مجلة «الكشاف العراقي» أول كتاب قصصي للأطفال في العراق لناشره «محمود نديم». وقد جاء في مقدمة الكتاب «للغربيين عناية واضحة بكتابة القصص الأخلاقية والروايات الأدبية المفيدة.. الملائمة للأحداث ونشرها بينهم، ولهم في ذلك صحف ومجلات كثيرة بين شهرية وأسبوعية ويومية يضيق نطاق الوقت عن حصرها وإن الدافع الوحيد الذي جعلهم يعتنون بالقصص بهذه الدرجة هو ما حصلوا عليه نتيجة الاختبار والتجربة من أن للقصص تأثيراً كبيراً في نفوس الأطفال، وإنها أقصر طريقة لاحتلال مشاعرهم وسوقها إلى جهة التهذيب والإصلاح»[2]. (غير أنه من المناسب أن نشير إلى أن الكتاب الذي احتوى عشر قصص وحكايات بعضها منقول حرفياً عن مجلة «الكشاف المصري» وبعضها معرب عن الفرنسية، لم يضم بين حكاياته ما يمكن عده نصاً عراقياً خالصاً ولعل قصة «عاقبة البغي» تقترب من صفة المحلية في كونها جاءت إعداداً عن حكاية شعبية تدخل فيها الكاتب صياغة وتعديلاً لتكون متلائمة ومدارك قارئ المجلة الحدث)[3].

1- جعفر صادق محمد، بدايات قصة الأطفال في العراق وتطورها.

2- كتاب «الكشاف العراقي» القصصي، عثر عليه القاص جعفر صادق محمد في المكتبة الوطنية ببغداد، ضمن مجلد يحتوي على أعداد مجلة «الكشاف العراقي» للأعوام 1924-1926.

3- جعفر صادق محمد، بدايات قصة الأطفال في العراق.

وفي عام 1929 يعاود سعيد فهيم إصدار مجلته «التلميذ العراقي» من جديد باسم مجلة «التلميذ» ونشرت عدداً من القصص. وفي هذه المدة نشطت الترجمة فقام عدد من الكتاب بترجمة العديد من الحكايات وقصص الأطفال من الأدب العالمي إلى اللغة العربية.

وفي عقد الخمسينيات كتب العديد من الكتاب الكثير من قصص الأطفال أبرزهم عبد الخالق ثروة وشاكر محمود الهيتي، وعبد الستار القره غولي.

وفي الستينيات كتب علي حسن السعودي وحسين عبد الحافظ العديد من قصص الأطفال حتى صدور مجلة «مجلتي» عام 1969 أول مجلة للأطفال في الوطن العربي والعراق.. وفي عام 1970 صدرت جريدة «المزمار» أول جريدة للأولاد في العراق.. وبهذه المرحلة تكون البداية الحقيقية لقصة حقيقية للأطفال في العراق.. إذ كانت المرحلة السابقة هي المرحلة التمهيدية أو التجريبية التي وضعت محاولات عديدة ناجحة وغير موفقة لقصة الأطفال في العراق.. إلا أن المرحلة المتقدمة التي وصلت إليها قصة الأطفال في العراق تنطلق من مجلة «مجلتي» التي ما زالت تصدر، وقد وضعت تقاليد جديدة، وصيغ وأساليب متطورة في كتابة قصة الأطفال، وبرز فيها العديد من كتاب القصة الذين يشار إليهم بالإبداع والفضل في تطور قصة الأطفال في العراق ومن أبرزهم طلال حسن، عبد الرزاق المطلبي، جعفر صادق محمد، فاروق سلوم، فاروق يوسف، صلاح محمد علي، حسن موسى، زهير رسام، سعيد جبار، رياض السالم، حمد شمسي، شفيق مهدي، عبد الستار ناصر، عبد الإله رؤوف وغيرهم..

وقبل الحديث عن المرحلة الحالية المرحلة المتطورة - لقصة الأطفال في العراق لا بد من تقديم بعض النصوص القصصية القديمة - مرحلة البداية - ليطلع القارئ على أساليب التعبير القديمة في قصة الأطفال ومرحلة تطورها وما وصلت إليه قصة الأطفال في العراق...

فنشير هنا إلى بعض هذه القصص كما نشرت في مجلات الأطفال الأولى..

فقد نشرت مجلة «التلميذ العراقي» في عددها الثامن الصادر في 28/1/1922 قصة بعنوان «شعور الأطفال» للكاتب عبد المجيد يوسف يقول فيها:

«رأيت طائفة من الأطفال مجتمعين يضحكون، كانوا كلهم تقريباً بيض الألوان شقر الشعور.. وكانت شمس لطيفة تلمع فوق شعرهم الذهبي، كان إحسان الصغير يلعب في الصحراء مع رفيقته رشيد وصادق وهما من الكسالى، لعب الاستعراض واللعب بصف النخيل، كان قلب إحسان يمتلئ سروراً، كانوا ثلاثتهم نشيطين.

وفي يوم من الأيام كانوا مجتمعين على عاداتهم يلعبون في الصحراء فمر عليهم مدرس القرية يتوكأ على عصاه فسألهم:

- أيها الأطفال أي شيء تحبون أن تمزقوه؟

فأجاب - صادق بسرعة - لحم الثور بأسناني..

- وأنت يا رشيد؟

فأجابه:

- كتابي!...

- وماذا تقول أنت يا إحسان؟

فأجابه بحماسة:

- راية العدو.

حبذ المدرس فكرة إحسان وسار في وجهه علامة السرور والارتياح».

ونشرت مجلة «الكشاف العراقي» في عددها الخامس الصادر في تشرين الأول عام 1924 قصة «الكشاف في الليلة المقمرة»، بقلم: علي الغربي - عبد الستار.. تقول القصة:

«في تلك الساعة عندما كان القمر في عنفوان بزوغه كان أحد الكشافة يتمشى على ضفة النهر ليتمتع برؤية هاتيك المناظر البديعة فاستجلب نظره كلمات نقشت على سطح الماء بحروف واضحة هي:

النجدة... النجدة..

ارتاع الكشاف لأول وهلة ثم لم يلبث أن تبسم أمام هذا الخطر ملبياً نداء الواجب وما قطعه على نفسه من العهد، وبينما هو يقلب الطرق ليفتش عن مخبأ يلتجئ إليه أو محل يلوذ به إذ سمع طلقات نارية كدرت صفو تجواله، فلم ينس

الكشاف تلك الكتابة فاضطرب وحبس بكفه على قلبه وأصغى ملياً فسمع صوتاً رخيماً يئن قائلاً:

- النجدة.. النجدة..

فثارت عواطف نخوته، وتقدم بقلب ثابت لناحية النهر وتمكن من رؤية زورق صغير مربوط بحبل عند شجرة فوثب بجسارة وجأش رابط وسط القارب فشاهد فتاة في الرابعة عشرة تضاهي أخاها البدر بحسنها مرسلة شعرها الذهبي على وجناتها الفضية، مضرجة بالدماء. فأسندها إلى متكأ الزورق وأخرج من جيبه منديلاً فضمد الجرح الذي كان بيدها اليمنى، ولما أسعفها ورش قليلاً من الماء على وجهها ثاب إليها رشدها فطمأنته بكلماتها الرقيقة المنبعثة عن قلب صادق لما عرفت أنه منقذها.. طلبت منه أن يبحث عن أساورها..

ولحسن الحظ أنه لما نزل الكشاف من الزورق رأى آثار أقدام المجرم وقد لطخت بقعة يابسة من الأرض وقد كان برجل المجرم طيفاً لطيفاً. فدفعته هذه الحجة على تعقيب الخائن فاقتفى أثره دون أن يضيع أقل فرصة، فانتهى الأثر عند بيت قريب من الشاطئ فلما تأكد من محل المجرم ذهب راكضاً إلى مركز الشرطة، وبعد أن قص الحادثة على المدير أسرع معه بصحبة عدد من رجاله.. هذا وقد أخذوا الأهبة والاستعداد التام فطرقوا باب المجرم ففتحته امرأة عجوز فدخلوا وفتشوا بغرف البيت غرفة غرفة فلم يعثروا على أحد.. وذهب كل أمل في إلقاء القبض على المجرم لولا أن تقدم الكشاف نحو رجل مضطجع بزاوية من زوايا البيت متلفع بمعطف فأزاح عنه معطفه ونادى المدير قائلاً:

- ها قد عثرنا على ضالتنا.

فرأوا آثار الطين على قدميه مع بعض الشواهد الدالة على إثبات التهمة عليه فسيق المجرم إلى السجن، وحملوا الفتاة إلى المستشفى، وشكروا الكشاف النبيل الذي لولاه لذهبت الفتاة ضحية ذلك المارد المشؤوم».

إن البساطة والمباشرة في هذه القصة والقصة التي سبقتها جاءت بطريقة فقيرة، قد لا تصلح كقصة للأطفال في وقتنا الحاضر.. لما تفتقر له من خيال يشد الطفل وجمال في التعبير واختيار المفردات والمعاني.. إلا أنها عبرت عن الأسلوب الذي

كان سائداً في تلك المرحلة، فلو استقرأنا قصص الأطفال في المرحلة الحالية لوجدنا اختلافاً كبيراً بين ما هو سائد في المرحلة السابقة، بل لاعتبرت معظم قصص المرحلة السابقة غير صالحة من ناحية التعبير والأسلوب وتقنيات القصة..

ولمعرفة التمايز وأوجه التطور الذي وصلت له قصص الأطفال في العراق.. نقدم هنا بعض النماذج الجديدة لقصص الأطفال.. وهي كثيرة نعرض بعضها: فتحت عنوان «الأسد العجوز» نشرت مجلة «مجلتي» قصة للقاص طلال حسن يقول فيها:

«ضعف أسد، وتقدم به العمر، حتى عجز عن الصيد، وألح به الجوع وذات يوم، مر بضبع عجوز يأكل من بقايا فريسة عافها أسد فتي، فنظر إليه الضبع العجوز، وقال: «تفضل يا مولاي»...

توقف الأسد العجوز لحظة، ورمق الضبع العجوز بغضب مشوب بالمرارة، فأطرق الضبع العجوز برأسه، وقال: «آسف يا مولاي، لقد ظننت أن بك حاجة إلى بعض الطعام... رفع الأسد العجوز رأسه وتحامل على نفسه ومضى قدماً من غير أن يذوق شيئاً»[1]...

ومن قصص الكاتب الراحل عزي الوهاب اخترنا قصته المسماة «رد الجميل» التي يقول فيها:

«همت فتاة برمي فضلات الطعام، لكنها تذكرت العصافير فصعدت إلى السطح ورمتها هناك، رأت العصافير تلك الفضلات فنزلت والتقطت حبات الرز المتناثرة وشكرت الفتاة على كرمها...

وفي يوم آخر.. حين كانت الفتاة تحاول نشر الملابس المغسولة على الحبل... هبت ريح فارتبكت الفتاة لأنها لم تكن قد أحضرت (القراصات) عندها جاءت العصافير وثبتت الملابس بأظافر أرجلها حتى تمكنت الفتاة من إحضار القراصات وقالت للعصافير: شكراً»[2].

وللكاتب فاروق يوسف نختار قصة «الديك الصغير» التي يقول فيها:

1- طلال حسن، قصته «الأسد العجوز»، مجلة مجلتي، العدد (31).

2- عزي الوهاب، قصته «رد الجميل»، مجلة مجلتي، العدد (14).

«ديك القرية مات، فحزن سكان القرية عليه، البشر والبقر، والخراف، والدجاج والسلاحف، والبط، والماعز حتى الضفادع كانت هي الأخرى حزينة.. ذلك لأن هذا الديك قضى زمناً طويلاً وهو يصيح فجر كل يوم:

إن الشمس قد طلعت، والنهار قد بدأ...

الديك الصغير هو الوحيد الذي لم يشغله الحزن عن التفكير.. كان حزيناً وكان يفكر في الوقت نفسه.

في صباح اليوم التالي فهم سكان القرية ما الذي كان يشغل تفكير الديك الصغير... حين سمعوا صوته الرقيق وهو يقول: الشمس طلعت والنهار بدأ»[1]..

وللكاتب عبد الستار ناصر اخترنا من قصصه الموجه الأطفال قصة «الغابة البعيدة» حيث يقول فيها:

«ثلاثة أطفال، أحب الأول رؤية «الغابة» وأراد الثاني رؤية «القرد» في حين قرر الثالث أن يسافر في القطار...

عمر، وياسر، وناصر، أذكياء في المدرسة، وكل واحد منهم يعشق المغامرة، واكتشاف أسرار الدنيا، لكن «الغابة» بعيدة عنهم، والقرد لا يظهر في الزقاق وليس من سبب يدفعهم إلى ركوب القطار إذا لم تسافر الأسرة كلها..

قال ياسر: رؤية القرد أمرها بسيط، سأذهب إلى حديقة الحيوانات..

قال ناصر: وهناك قطار صغير في مدينة الألعاب..

في حين سكت عمر وهو يفكر في الغابة، كيف يراها؟ بل أين هي الغابة حتى يمضي إليها؟ راح من فوره إلى أمه يسألها:

- أين أرى «الغابة» يا ماما؟ هل توجد غابة في بغداد؟

سألته أمه:

- وهل تعرف ما «الغابة» يا عمر؟

أجاب عمر بسرعة:

1- فاروق يوسف، قصته، «الديك الصغير»، مجلة مجلتي، العدد (26).

- بطبيعة الحال أعرفها، إنها أشجار كثيرة وزرع كثير وعندما تأتي العاصفة تتحرك الأشجار بقوة، ويكون صوتها جميلاً جداً...

سأله ياسر:

- وأين رأيت «الغابة» يا عمر وأنت تعرف كل هذا عنها؟..

قال عمر:

- رأيتها في التلفزيون...

قال ناصر:

- وهل كانت هناك عاصفة أيضاً؟..

أجاب عمر:

- نعم، عاصفة قوية جاء، من البحر..

سأله ياسر:

- وهل رأيت البحر أيضاً؟..

أجاب عمر وهو يشعر بسعادة:

- نعم رأيت البحر، كان أكبر من النهر مئات الأضعاف وكاد أحد الزوارق يغرق عند هبوب العاصفة..

وهنا سأله ناصر بشوق كبير:

- وهل رأيت الزوارق أيضاً يا عمر؟..

قال عمر ضاحكاً:

- لقد رأيت كثيراً منها وهي تهبط وتصعد مع أمواج البحر...

وهنا صاح ياسر مدهوشاً:

- ورأيت الأمواج أيضاً؟.

أجاب عمر:

- نعم، كانت تعلو وترتفع كما الشلال.

وهنا نظرت الأم إلى ابنها «عمر» بعد أن غمرته السعادة وقالت:

- لقد رأيت الكثير جداً يا عمر، بل رأيت أكثر من ياسر وناصر.. فهل تريد أن نذهب الآن إلى «الغابة»؟.

وهنا صمت «عمر» قليلاً بعد أن شعر بالراحة والفرح وهو يحكي عن الغابة والبحر والأمواج والزوارق، فقال: سنذهب إلى «الغابة» جميعنا، ولكن ليس هذا اليوم، فقد شعرت بأنني كنت هناك ولا بد من وقت كي أنساها قليلاً.. وضحك الجميع بصوت واحد وهم يتذكرون «الغابة» التي كانوا فيها منذ قليل»[1].

إن قصة الأطفال في العراق بدأت مرحلتها الجديدة، والمتطورة منذ بداية السبعينيات، حيث صدرت عن «دار ثقافة الأطفال» مجموعة كبيرة من الكتب القصصية عبر سلاسل الدار الخاصة بكتب الأطفال، منها القصص التي كتبها قصاصون عراقيون، ومنها الحكايات الشعبية، ومنها المترجمة...

وقد تنوعت هذه القصص بأساليبها في التعبير، واستخدامها للرموز، والأنواع المختلفة في قصص الأطفال، إضافة إلى امتلاكها لآفاق واسعة من الخيال الذي يجذب الأطفال إلى قصصهم... فبرزت في قصص الأطفال الكثير من القيم التي تربى الأطفال عليها، وصولاً إلى التربية السليمة، مثل قيم العمل والتعاون وحب الوطن والدفاع عنه، والشجاعة والبطولة.. والحفاظ على الممتلكات العامة. والصدق. وغيرها.. وقد توضح ملامح وسمات هذه القصص، في كمال التجارب الواضحة والمتميزة لكتابها الذين ذاع صيتهم ووصل إبداعهم إلى مختلف الأقطار العربية.. كما حصل الكثير من كتاب القصة في العراق على جوائز عربية ودولية عديدة...

وقد استلهمت تجربة قصص الأطفال في العراق التراث في جوانب عديدة من إبداعات الكتاب العراقيين، كما كانت قصة الأطفال حاضرة في جميع المناسبات والموضوعات المختلفة للأطفال..

ومن الموضوعات الأخرى، (كان موضوع الحرب، الموضوع الأكثر مساحة في قصص الأطفال وباستثناء عدد قليل من القصص التي انطوت على

1- عبد الستار ناصرن قصته «الغابة الصغيرة»، مجلة مجلتي، العدد (43).

قدر لا بأس به من الفنية وبالأخص ما نشر منها ضمن سلسلة «حكايات المعركة» نجد أن معظم النتاجات لا تعدو كونها نقلاً أميناً لحكايات معاشة أو مسموعة.. ومع تنوع الكتاب واختلاف المهارات الفنية والحرفية لهم، نجد أن هناك تشابهاً غير مبرر في الأساليب وطرائق السرد والتناول.. وربما عمد البعض إلى التقليد انطلاقاً من فهم خاطئ يرى في ما هو منشور نموذجاً صالحاً لأن يحتذى.. وفي هذا المجال برز الكثير من النتاج الواضح لقصص الأطفال التي تجسد موضوعة الحرب. ولا مجال هنا لتحليل هذه النصوص والوقوف نقدياً عندها.. ولكنه لا بأس أن نشير إلى بعض الكتاب الذين كتبوا في هذا المجال.. وجسدوا الكثير من المواقف والأحداث والحالات الإنسانية في قصص الأطفال منهم: ميسلون هادي، عبد الجبار ناصر، حنون مجيد،.. شفيق مهدي.. حسن موسى، أحمد مصطفى، شريف الراس، فاروق يوسف، جاسم محمد صالح، جعفر صادق محمد، معد فياض، كريم العراقي، زهير رسام وغيرهم)[1]...

إن استقراء تجربة قصة الأطفال في العراق نقدياً يدعونا إلى متابعة النماذج الإبداعية الكثيرة.. وتحليلها.. إلا أننا في هذه الدراسة لسنا بصدد هذا الجانب.. الذي سنقوم به في مجالات أخرى...

المهم في الأمر إن تجربة قصص الأطفال في العراق تجربة غنية بعطائها وأساليبها التجديدية وإضافاتها المتميزة لواقع قصص الأطفال في الوطن العربي.. وهي تجربة تستحق من النقاد والباحثين الدراسات النقدية العديدة والمتواصلة مع تواصل هذه التجربة المتميزة..

وأخيراً لا يفوتنا هنا أن نذكر بعض التجارب البارزة في كتابة قصة الأطفال في العراق.. كتجربة القاص جعفر صادق محمد والقاص حسن موسى، وهناك تجارب أخرى متميزة سنتناولها في مجال قادم...

1- جعفر صادق محمد، انعكاسات الحرب في أدب الأطفال.

فعن تجربته في مجال قصة الأطفال يقول القاص جعفر صادق محمد: عندما كنت طالباً في كلية التربية بجامعة بغداد ما بين عامي (72-68) أتيحت لي فرصة الاختلاط بعدد كبير من الشعراء والقصاصين، وقد كانت لي وقتها محاولات في القصة القصيرة، إلا أنها لم تكن موفقة وذلك لأنها - في قناعتي - لا تشكل إضافة أو صوتاً خاصاً يمكن أن تميزني عن الأصوات القصصية المعروفة، والواقع أن اتجاهي إلى قصة الأطفال لم يكن بفعل تلك القناعة، وإنما نتيجة مصادفة قد تبدو مضحكة، كنت طالباً «مفلساً»، وكان لي زميل يعمل محرراً في مجلتي فطلب مني أن أكتب قصة للأطفال، لكي أسد بعض «الفراغ» في جيبي، وعندما اعترضت بكوني لست مؤهلاً لذلك، قال لي «إن الأمر يسير، كل ما في الأمر مجموعة من الأرانب تتصارع حول مشكلة بسيطة وعليك أن تجد حلاً مناسباً لها» وعلى ذلك كتبت أولى محاولاتي، وكانت قصة عنوانها «البطة العجوز». وقد نشرت في المزمار عام 1972، لكنني بعدها بدأت أفكر جدياً في «قصة الأطفال» وقد أتيح لي الاطلاع على مختلف التجارب العالمية في هذا المجال فاتضح لي أن الكتابة للأطفال ليست مجرد «أرانب تتصارع حول مشكلة بسيطة» إنها فن صعب.. صعب للغاية)[1].

أما القاص حسن موسى، فقد ذكر عن تجربته في مجال قصة الأطفال مع أنه قد أبدع في أكثر من مجال للأطفال حيث يقول: (كانت سنة 1971 هي السنة التي شهدت نشر أول قصة كتبتها للصغار كان عنوانها «يوم ريفي» نشرت في المزمار، ولقد أثارت في حينها أكثر من ملاحظة وحوار بين الأصدقاء.. ومنذ ذلك الحين اتجهت في الكتابة للأطفال.. وبدأ انحيازي لأدبهم يتضح، حتى وجدت نفسي في آخر المطاف أضع كل طاقتي وقدرتي - مع محدوديتها - في هذا الاتجاه.. وبت لا أكتب إلا للصغار.. وإن أردت الحق أنا فخور بذلك.. وعموماً إن للأطفال عالماً جميلاً وغريباً.. مرغوباً ومرعباً.. لكي تصل للأطفال ينبغي أن تكون طفلاً.. لا أن تتطفل.. الفرق شاسع بين الطفل والمتطفل.. الطفل مخلوق واقعي بطريقته

1- جعفر صادق محمد، قصتي مع قصة الأطفال.

الخاصة - حتى الفنتازية - بالنسبة له - نوع من الواقع - واقع علمي - إن صح التعبير)[1]..

وهكذا مر القاص حسن موسى بمراحل عديدة في كتابة قصة الأطفال، ففي البداية استخدم البيئة - بيئة الطفولة.. فتناول طفولته في محافظة ميسان، فكتب (يوم ريفي) و (النخلة المسكونة) التي مسرحت وفازت في الجائزة الأولى للمهرجان القطري العام للمسرح والموسيقى عام 1974 وسجلت تلفزيونياً... ثم (الإقطاعي) و (ليالي الحصاد) و (المشحوف الآخر) وغيرها.. ثم انتقل إلى مرحلة الحكاية الشعبية وبناءها بناء قصصياً جديداً، فكتب «كلام كبار».. و (الصافرة).. و (بنات الحارس) التي مسرحت وفازت بالجائزة الأولى للمهرجان العام للمسرح والموسيقى لعام 1975. ثم (الريح) التي مسرحت أيضاً وفازت بجائزة المهرجان القطري لعام 1976... ثم جاءت مرحلة أسطرة الحكاية الشعبية فظهرت له (المكان الأجمل) التي صدرت عن درا ثقافة الأطفال. وقد تميزت بين القصص العربية المكتوبة للأطفال... ثم (الحنين) و (المرأة الماعز) و (السمكة الذهبية) وغيرها... ثم كتب عن البيئة بطريقة جديدة تختلف عن المرحلة الأولى... ثم انتقل إلى مرحلة استخدام الآلة والمكائن في قصة الأطفال، فظهرت له (العطش) التي نشرت ضمن مجموعته (كلام كبار) الصادرة عن دار ثقافة الأطفال، و (الانتخاب) ونشرت في معظم الصحف العربية.. و (القلابة العجوز) التي صدرت عن دار ثقافة الأطفال. وكتب حسن موسى قصصاً كثيراً.. نختار منها هنا قصته الجميلة (المرأة الماعز) والتي يقول فيها:

(قالت أمي من حقكم أن تصدقوا أو لا تصدقوا حكاية المرأة الماعز.. غير أنها موجودة وحكايتها تستحق الإعجاب. وحين سألها: وكيف تبدو المرأة الماعز يا أمي وما حكايتها؟ أجابت: إنها كائن بهيئة نصف امرأة ونصف ماعز.. وجهها جميل كبدر تام، بعينين ملونتين وحاجبين مقوسين مثل هلالين.. وعلى رأسها نبت

1- حوار مع القاص حسن موسى، جريدة المرفأ.

قرنان ذهبيان قويان، ينسرح خلفهما شعر بني متموج.. حتى يغطي الكتفين.. وجسدها جسد ماعز جبلي قوي..

أما حكايتها كما وصلتنا نحن الناس الذين نسكن السهول في هذه البطاح البعيدة فهي: حتى هذه اللحظة لم يعلم أي منا من الذي جعل المرأة الماعز تحب الإنسان وحيواناته الأليفة كل هذا الحب ولم يعلم أي من مخلوقات الأرض من الذي جعلها تتعلق بالأطفال وتحبهم حباً ما استطاع رجل ولا امرأة أن يصل إلى مثله، ولأنها تحب الأطفال، كانت تقضي نهارها تدور هنا وهناك تبحث عنهم وتظل يقظة وحذرة خوفاً من أن يصيبهم مكروه أو يعتدي عليهم حيوان شرير أو وحش كاسر، كانت تختبئ وهي تحرسهم بعيداً عن العيون حتى عيون الأطفال لأنها كانت تظن أن هيأتها الغريبة قد تخيفهم وما كانت تعلم أن الناس الكبار قد أخبروا أطفالهم عنها وأنهم صاروا يحبونها ويحلمون برؤيتها..

وفي يوم، كانت مختبئة قريباً من قطيع أغنام يرعاه راع طيب. كان الراعي يصحب معه طفله الصغير ذا الأعوام الخمسة.. ولأنه طفل صغير زاغ في غفلة عن أبيه وانحدر مع انحدار المرعى حتى غيبه مربع من الأرض.. وفجأة وكان الأرض انشقت وأفرزت كائناً جباراً مرعباً.. سد على الطفل الطريق.. كان كائناً بهيئة إنسان وبلون أزرق مخضر عيناه تقدحان شرراً، وثمة سلسلة حديدية تصدر صليلاً عالياً تلتف على صدره وخصره.. وبصوت كالرعد صاح بالطفل:

- إلى أين؟

غير أن الطفل لم يفهم هذا، صحيح أنه جفل في أول الأمر، لأن الصوت أفزعه لكنه على الرغم من ذلك استمر يلعب. لكن الكائن الأزرق صاح به مرة أخرى: توقف.. رفع الصغير رأسه وتأمل هيئته.. هذا الشخص الغريب، جسد هائل ضخم طويل، سلسلة وصليل.. كل ذلك كان مثيراً للدهشة..

ومرة أخرى قال له: إلى أين؟... لم يفهم الصغير ما الذي يعنيه.. وأراد أن يستمر.. لكن الشخص صاح: سآكلك، ضحك الصغير، وقبل أن يكمل

ضحكته امتدت اليد الجبارة الزرقاء ذات المخالب المعقوفة إليه.. وفي هذه اللحظة بالذات وقبل أن تلمس اليد جسم الصغير، لمع قرنان ذهبيان بين اليد والصغير.. وتدحرج الوحش بعيداً.. لكنه انتصب من جديد.. وابتدأ القرنان الذهبيان يقاتلان بضراوة..

انتبه الراعي للجلجلة الآتية من خلف المرتفع، وحين لم يجد ابنه بقربه هب فزعاً، فقد أيقن أن صغيره فيها.. فأسرع ليدخل المعركة..

بعد أن انقشع الغبار، وقف الراعي والمرأة الماعز قبالة بعض. وصار كل منهما ينظر للآخر بامتنان. وكان الطفل الصغير يصفق لهما.. لقد انتصرا.. انتصرا أخيرا...)...

كيف

نعلم الأطفال كتابة القصة؟

في هذا العنوان الكبير، لا نريد الخوض بشكل دقيق في الجانب التقني والعلمي لكتابة القصة المتكاملة، وفق شروطها الفنية المتعارف عليها من الحدث والزمان والمكان والسرد والحبكة والذروة والنهاية، كما لا نقصد بهذا العنوان الدخول في التفصيلات المتشعبة الكبيرة لعملية البناء القصصي المتكامل.. وإيجاد كتّاب قصة من الأطفال.. إنما خلاصة ما نقصده هنا، ونسعى إلى تحقيقه في هذا الاتجاه يهدف أساساً إلى:

1- تهيئة الطفل، تهيئة نفسية وفكرية ولغوية لتقبل عالم القصة والتفاعل معه، بعد وضعه في جو القصة بطريقة ميسرة، عبر سرد القصة - أي قصة نختارها - أمامه مرة.. وثانية.. وثالثة، وترك الطفل يقرأ هذه القصة وحده. ثم دعوته لقراءة هذه القصة وسردها أمام الجميع، وتشجيعه على تفسيرها وشرح معانيها وأحداثها، وإثارة النقاش والأسئلة حول أهدافها ومضامينها ومواقفها... ثم دعوة هذا الطفل إلى تمثيل مواقف هذه القصة، بالاستعانة ببعض الأطفال بحسب ما تتطلبه القصة.. بعدها يقوم المعلم بإثارة جملة من الأسئلة أمام الطفل موضع الدراسة، تتركز هذه الأسئلة حول بداية القصة وأحداثها وأبطالها ونهايتها.. وحول الفوارق التي تحصل بين القصة في شكلها المكتوب وبين القصة في شكلها التمثيلي، وأي الواقعين أو الطريقتين للقصة كان الأقرب إلى وعي الطفل وتفاعله..

وفي كل ذلك يعمد المعلم إلى مراقبة الطفل وقياس درجة تقبله وتفاعله.. ومدى تعمق جو القصة وانسجامه مع مخيلة وفكر وطاقة الطفل وبيان

قدرة الطفل على تقمص جو القصة وسرد أحداثها دون مبالغة في هذا التوجه... وجعله يعمل ذلك بشكل تلقائي.. بعد اختباره في جملة من الأسئلة المستقاة، من القصة، والإجابة عنها.. لتحديد سعة موهبته واستجابته لخيال القصة وأفقها الواسع، ومدى انعكاس ذلك على خياله ووعيه وحواسه وسلوكه وبالتالي على لغته وكلامه وحركاته الانفعالية مع جو القصة..

2- إعادة العملية الأولى مع الطفل بالطريقة نفسها ومع قصة أخرى مغايرة في أحداثها ومواقفها.. والطلب من الطفل إبداء ملاحظاته العامة حول القصتين وأيهما كان أقرب إلى فهمهم وذوقه الجمالي والنفسي.. وأيضاً دعوة الطفل إلى إعادة صياغة أحداث القصة الأولى وأحداث القصة الثانية بالاستعانة بخياله وذاكرته عن أحداث ومواقف هاتين القصتين..

3- دعوة الطفل إلى سرد قصة أو حكاية قديمة أو حديثة سمعها أو قرأها.. أمام الجميع.. ثم الطلب منه كتابة ما سرده من أحداث ومواقف لهذه القصة أو الحكاية... بعد ذلك يطلب من الطفل إعادة صياغة أو إعداد أو تكوين قصة جديدة أو حكاية أخرى انطلاقاً من تلك القصة أو الحكاية التي سمعها أو قرأها سابقاً وبقيت في ذاكرته.. ثم الطلب من الطفل كمرحلة أخرى متقدمة الاعتماد على نفسه في كتابة قصة من خياله وكيفما يشاء دون زجه في المواصفات العلمية والشروط الفنية للقصة.. وحثه على هذا العمل مرة أو مرتين وثلاثة..

4- حث الطفل على كتابة مشاهداته لحالة ما وملاحظاته وأفكاره أو خواطره.. وبأي أسلوب كان.. بعدها يتم قراءة ما كتبه وإعادة ما كتبه من قبل المعلم وأمام الطفل، وتكون قراءة المعلم لما كتبه الطفل على شكل قصة مبسطة. وتكرار ذلك في أكثر من موضوع، وأكثر من مشاهدة وأكثر من فكرة ليجد الطفل نفسه بعد حين، أنه قد مرن نفسه على كتابة القصة، أو على كيفية كتابة القصة.. وهذا بالطبع يعتمد على مقدرة المعلم في هذا الاتجاه..

وبطبيعة الحال يسعى المعلم أو الأب إلى توفير كتب القصص أمام الطفل وتشجيعه على القراءة... ففي القراءة المتواصلة للطفل العون الكبير لتنمية مواهب وقدرات الطفل على الكتابة...

وكما قلت في البداية وأكرر القول هنا:

نحن بهذا الاتجاه لا نريد أن نصنع كتاب قصة وليس همنا أن نصنع كتاباً بهذا الاتجاه..

إن همنا الأول، هو أن نجعل الأطفال يتفهمون القصة كلون جميل من ألوان الأدب، فهماً وتذوقاً يساعدهم في ذلك على تنمية حب المطالعة والقراءة المتواصلة وتذوق ألوان الأدب الأخرى والتي تخص أعمارهم..

وفي حالة ظهور وبروز بعضهم، كأطفال موهوبين بهذا الاتجاه فإننا نكون قد كسبنا مرتين..

الأولى جعلنا الأطفال محبين للأدب بشكل عام وللقصة بشكل خاص.

والثانية قد ساعدنا على تفتح ما كان كامناً من مواهبهم..

وبالتالي جعلنا هذه المواهب في الطريق الصحيح لتنميتها وتطويرها لتأخذ مجالها في المستقبل بشكل تدريجي كأدباء وكتاب قصة مبدعين..

وبهذا الاتجاه جرى حديث مباشر بيني وبين الصديق القاص (حسن موسى)[1] تلخص في أبرز النقاط التي يمكن بواسطتها تطوير وتنمية طاقات وقابليات الأطفال في مجال القصة، حيث سألته من وجهة نظره عن طاقات الأطفال وكيفية التعامل معها لتطويرها فقال:

"في حدود تجربتي المباشرة مع الأطفال وقصصهم عبر إشرافي مدة طويلة على صفحات الأصدقاء في «مجلتي» و«المزمار»، وجدت أن الأطفال فيهم ميل عظيم لكتابة القصة، غير أن قصتهم هذه فيها تقليد كبير لما يكتبه كتاب الأطفال الراشدين، وهذا ليس عيباً بالطبع، غير أن هذا يحتاج إلى تشذيب وتعديل وتلخيص في معظم الأحيان.. وقد لا يتم هذا مباشرة مع الكتاب الأطفال، لأن الكاتب الطفل قد يكون بعيداً عمن يمتلك التجربة والقدرة على التشذيب والتعديل

1- حوار خاص بين الكاتب والقاص حسن موسى.

والتلخيص، وإبقاء الهدف والخطوط.. وهذا لا يعول عليه كثيراً.. والخطوة التي قد تخدم الكاتب الصغير في أن تمنحه الفرصة للالتقاء بكاتب أطفال راشد معروف، أو متمكن من صنعته إن اعتبرنا كتابة القصة صنعة صاحبها.."

في كتابات هؤلاء الأطفال، هل من الممكن أن نجد كتابات متميزة أو ذات خطوات جادة ومتقدمة يمكن عدها ضمن باب القصة الجيدة؟..

- الحق أنني وجدت بعض الأصوات - إن جاز التعبير - من هؤلاء الصغار الذين يكتبون قصة الأطفال، أصواتاً رائعة وحتى كبيرة أحياناً ولا تحتاج إلا للأخذ بيديها، وإزالة بعض عثرات الطريق أمامها... ولقد عملت جاهداً للوصول إليها بواسطة الاتصال المباشر بها وبأسرها أو في البحث عن عناوينها، في محاولة للوصول إليها، ولقد رأيت أن جميع هذه الأصوات الموهوبة شغوفة بالقراءة والدرس والمتابعة والإصرار على الوصول..

هذا يعني أن القراءة المتواصلة لكتب الأطفال من أسباب نمو المواهب والقدرات وتطوير القابليات باتجاه الكتابة.

- نعم.. بل إنني كنت أسأل الأطفال أنفسهم مثل هذا السؤال فكان الجواب، إنها القراءة المستمرة لكتب الأطفال التي كانت تصدرها دار ثقافة الأطفال بالدرجة الأولى يضاف إلى ذلك ما يقدمه المعلم من نصائح والأب من توفير لما يحتاجه الطفل من هذه المصادر الثقافية في القصة والقصيدة وغيرهما...

وفي هذا الاتجاه يبرز الدور الكبير للأب والمعلم في إنضاج وبروز المواهب لدى الأطفال كيف ترى هذه المسؤولية؟

- بالتأكيد إن للأب والمعلم دور كبير وأساسي في بروز المواهب الفتية والجديدة دائماً، بواسطة التعلم والنصح والإرشاد والتوجيه وعرض ما ينتجه الصغار على الكتاب الكبار وأصحاب التجارب المعروفة في الأوساط الثقافية...

غير أن النقطة الأهم في ظهور هذه المواهب تتعلق بالأطفال أنفسهم.. بأحلامهم ورغباتهم وتفكيرهم في المستقبل وبذل الجهود من أجل الوصول إلى ما يحلمون به.

وكيف يتعامل الأب بشكل محدد أمام بروز مواهب أطفالهم والوقوف على قدرات هؤلاء الأطفال في الكتابة.. وكيفية السعي إلى إطلاق قدرات هذه المواهب والتعريف بها بعد اكتشافها من قبل الأب الذي تقع عليه مسؤولية كبيرة في التعريف بها بعد رعايتها وتثمينها؟

- أن هذا ما حصل فعلاً مع ابنتي الصغيرة «شمس» بعد أن وجدت اندفاعها في كتابة القصة.. وجدت أنها تكتب القصة بتلقائية عالية... فما كان مني إلا قراءة هذه القصص بترو وهدوء تام، ومن غير أي انفعال أبوي، ثم أجلستها معي وشذبت بعض قصصها بحذف الزائد منها وتعديل ما وجدته غير مستقيم ومتوافق مع الحدث.. ثم اتصلت بصديقي العزيز الكاتب الكبير صلاح محمد علي وأخبرته فما كان من صلاح محمد علي إلا طلب القصص لقراءتها ومن ثم نشر ما نراه صالحاً للنشر..

إنني أسوق هذه التجربة فقط لعي أكون قد وضعت نموذجاً لكيفية التعامل مع أطفالنا حين نجد عند بعضهم موهبة ما في مجال ما.. وطبعاً ينبغي أن يقترن هذا مع إرشاد الصغار إلى ما يجب قراءته من دون أن يسبب ذلك خللاً أو تأثيراً سلبياً في دراستهم وسيرهم المدرسي اليومي..

بعد كل ذلك ومن وجهة نظركم كيف السبيل إلى إبراز هذه الموهبة والانطلاق بها من المكان الضيق إلى المكان الأوسع ونشرها لتجد الرعاية الأوسع والتشجيع المحفز؟

- إن إيصال موهبة الطفل من المكان الضيق، البيت إلى المكان الأوسع نسبياً، المدرسة، يتم هذا بين البيت والمدرسة، الأب والمعلم، الأم والمعلمة، وحين نريد أن نوسع دائرة انتشار هذا الموهوب نحاول إيصال ما ينتجه من أدب وفن إلى قنوات الإعلام الخاصة بالطفولة من مجلات الأطفال وصحفهم وصفحاتهم الخاصة في جرائد الكبار.. ثم البحث عن وسائل أوسع مثل قنوات التلفزيون

وغيرها.. مع الحث المستمر على التثقيف والقراءة، والدعوة للنجاح في الميدان الدراسي دائماً.. فكلـما كان الطفل ناجحاً في دراسته كان أقرب إلى الانتشار في موهبته...

الخلاصة

عبر ما تقدم البحث فيه، يمكننا في خلاصة ذلك، التأكيد مجدداً على أن القصة الموجهة للأطفال، من العوامل الأساسية المساعدة على تربية الطفل وتنمية قدراته وقابلياته وبناء شخصيته.. فتفاعل الطفل مع القصة أو الحكاية التي يقرأها أو يسمعها إنما يتفاعل مع العالم ومكوناته بشكل تدريجي وواضح يساعد على إثراء أفكاره ومعارفه.. حيث ينتج عن هذا التفاعل نمو خيال الطفل، وتطور قدراته على التصور والاكتشاف، وكل ذلك يؤدي إلى إثراء مخيلته ومعارفه ومده بعناصر النمو والتطور واستيعاب ما كان مجهولاً له.. فتجد الطفل بهذه المقدرة، يطلب المزيد من القصص، بعد إن وجد فيها حلولاً واضحة لبعض الألغاز التي كانت تدور في مخيلته.. كذلك ينمو إحساسه بأهمية القصة التي وجد فيها ذاته، ووجد فيها الإجابة الواضحة عما تكتنفه من أسئلة عفوية تراوده دائماً حول العالم المحيط به والواقع الذي يعيشه..

وهكذا ينمو فكر الطفل، وتتطور مخيلته بالاتجاه الإيجابي، الذي سيجعل قدراته تنمو وتتطور خيالاته، فالقصة التي تزيد خياله سعة، وتزيد معارفه لا تقل أهمية عن الدرس في كتبه المدرسية، إن لم تكن هذه القصة المؤثرة والفاعلة أكثر تأثيراً وفاعلية من الدرس التقليدي الذي لا يستجيب لقدرة الطفل ومخيلته في بعض جوانبه،

ولا يتفاعل معه الطفل، لخلوه من قدرة الجذب التي تعد الأساس في شد الطفل إلى ماهية الدروس التعليمية..

لذا من المفيد والمهم جداً تعويد الطفل مطالعة القصة وسماعها بشكل دائم لتكون عاملاً مساعداً على جذب الطفل إلى الدرس ووسائل التعليم الأخرى.. إضافة إلى كون القصة - في عالمها الخاص - أفقاً واسعاً يتيح للطفل التحليق والانطلاق إلى

مساحات أوسع من الخيال والاكتشاف والمعارف... وبالنتيجة تظهر كل تلك القيم والمعارف على سلوك الطفل وتصرفاته وأفكاره.. وهو بذلك يتهيأ إلى النضوج والتطلع إلى بناء شخصيته وتكامل فكره.. بعد الاعتماد على وسائله الثقافية ومنها القصة التي لا بد منها في تثقيف وتربية وتنمية الطفل...

المصادر و المراجع

الفصل الأول: مدخل إلى ثقافة الأطفال:

1- جمال حسين الالوسي، علم النفس العام، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1988.

2- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988 الكويت.

الفصل الثاني: مدخل إلى فهم الاندماجية الفن-أدبية:

1- فاضل عباس الكعبي، جوانب من تجربة الكتابة للأطفال، مخطوطة.

2- هادي نعمان الهيتي، راجع ثقافة الأطفال.

الفصل الثالث: مدجل إلى مسرح الأطفال:

1- فاضل عباس الكعبي، التوجيه والتخاطب في مسرح الأطفال، مجلة الطفولة، العدد الثاني، 1995، بغداد.

2- وينفريد وارد، مسرح الأطفال، ترجمة: محمد شاهين الجوهري، مراجعة: كامل يوسف، الدار العربية للتوزيع والنشر، عمان، الطبعة الرابعة، 1986.

3- محمد شاهين الجوهري، الأطفال والمسرح، الهيئة المصرية للكتاب.

4- فاضل عباس الكعبي، مدخل ثقافي لتربية الطفل، مسرح الأطفال وأهميته في شخصية الطفل، جريدة الجمهورية 1993.

5- سعدون العبيدي، زهرة الأقحوان ومسرح الطفل، مجلة المسرح والسينما، العدد (13)، كانون الثاني، 1975.

6- عزي الوهاب، ضمن استطلاع كتبه فاضل عباس الكعبي بعنوان (مسرح الأطفال - الواقع والطموح)، جريدة العراق، 1979.

7- علي مزاحم عباس، المصدر السابق.

8- يعقوب الشاروني، الأطفال كمشاهدين لمسرح وسينما الأطفال حلقة خاصة ببحث سينما ومسرح الطفل عقدت في القاهرة من 20-17 حزيران، 1974.

9- عبد الفتاح أبو معال، في مسرح الأطفال، دار الشروق لنشر والتوزيع، 1984.

10- أحمد فياض المفرجي، مسرح الطفل بحث نشرته المؤسسة العامة للسينما والمسرح، عام 1979.

11- فاضل عباس الكعبي، مسرح الأطفال في العراق، الواقع والطموح، دراسة، مجلة الطليعة الأدبية، عدد خاص عن المسرح، العدد التاسع، عام 1980.

12- ياسين النصير، مسرح الأطفال في العراق وسبل إنهاضه، مجلة المسرح والسينما، العدد (13)، كانون الثاني، 1975.

الفصل الرابع: مدخل إلى سينما الأطفال:

1- فاضل عباس الكعبي، سينما الأطفال ووعي الطفل، دراسة مخطوطة.

2- رضا الطيار، السينما والصغار، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1986.

3- يعقوب الشاروني، الأطفال كشاهدين لمسرح وسينما الأطفال، حلقة خاصة ببحث سينما ومسرح الطفل، عقدت في القاهرة من 20-17، حزيران، 1974.

4- لواء عبد الأمير المحاويلي، سينما الأطفال متى تبدأ، مجلة المسرح والسينما، العدد (13)، كانون الثاني، 1975.

5- فاضل عباس الكعبي، الأطفال والسينما والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، مجلة وعي العمال، العدد (513)، 12 /أيار/ 1979.

6- فرانسيس ل. ايلغ - لويزب. ايمز، سلوك الطفل، ترجمة: فاخر عاقل، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987.

الفصل الخامس: مدخل إلى أغنية الأطفال:

1- مدحت عبد الرزاق، سايكولوجية الطفل في مرحلة الروضة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، الموسوعة الصغيرة، (44)، 15 /تموز/ 1979.

2- موسى زناد سهيل، أفكار في تربية الطفل، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1986.

3- حسين قدوري، التعليم في الكتاتيب العراقية، بغداد، نقابة الفنانين العراقيين، 1992.

4- حسين قدوري، أصل الموسيقى، نشرة الموسيقى. بغداد 1980.

5- فاضل عباس الكعبي، أغنية الأطفال وأثرها في الخطاب التربوي، مجلة الطفولة، بغداد، العددان: الثالث والرابع، آب، 1995.

6- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال - فلسفته فنونه، وسائطه، دار الحرية للطباعة، 1978، بغداد.

7- منير بشير، نشرة الموسيقى، بغداد. 1980.

8- فاروق سلوم، الكتابة على صفحة بيضاء، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1986.

9- فاضل عباس الكعبي، أغنية الأطفال، مفهومها، وأثرها في السلوك، جريدة الثورة، 1993.

10- معالجة، الطفل والموسيقى، مجلة العصفور، العدد الثاني، بغداد، دار ثقافة ألأطفال.

الفصل السادس: مدخل إلى شعر الأطفال.

1- فاروق سلوم، الكتابة على صفحة بيضاء، وزارة الثقافة والإعلام، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1986.

2- جان بياجيه، التطور العقلي لدى الطفل، ترجمة: سمير علي، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1986.

3- فاضل عباس الكعبي، رأي في أدب الأطفال، جريدة الجمهورية 1994.

4- علي الحديدي، في أدب الأطفال.

5- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978.

6- سليمان العيسى، الموقف الأدبي، عام 1974.

7- عبد العزيز المقالح، الوجه الضائع، دراسات عن الأدب والطفل العربي، الطبعة الثانية، 1986، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

8- سليمان العيسى، ديوان الأطفال، دار مكتبة النوري، 1969.

9- سليمان العيسى، غنوا يا أطفال، دار الآداب، بيروت.

10- سليمان العيسى، الشعراء يقدمون أنفسهم للأطفال، دار الآداب، بيروت.

11- سليمان العيسى، الأعمال الكاملة، دار الآداب، بيروت.

12- فاروق يوسف، 50 قصيدة للأطفال، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1986.

13- عبد التواب يوسف، ديوان شوقي للأطفال، دار المعارف، القاهرة 1984.

14- باقر سماكة، قصيدته «هل تعرف»، 50 قصيدة للأطفال، دار ثقافة الأطفال.

15- عبد الجبار عاشور، قصيدته «أنا الشجرة»، المصدر السابق.

16- عبد الرزاق عبد الواحد، ديوانه «قصائد للأطفال»، دار ثقافة الأطفال، السلسلة الشعرية، بغداد، 1990.

17- فاروق سلوم، ديوانه «قصائد لأطفال النهار»، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1991.

18- فاضل عباس الكعبي، قصيدته «طائرتي الورقية».

19- سهير أحمد، تربية الطفل عن طريق اللعب.

20- طلال حسن، مقابلة مع فاروق سلوم، مجلة الجامعة، العدد (3)، 1979.

21- فاروق سلوم، ديوانه «قصائدي للأطفال»، وزارة الثقافة والإعلام، دار ثقافة الأطفال، السلسلة الشعرية، بغداد، 1993.

22- حسن دكسن، ديوانه «أغان وحكايات»، وزارة الثقافة والإعلام، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995.

23- خالد يوسف، قصيدته «قال الدش»، 50 قصيدة للأطفال.

24- فاضل عباس الكعبي، ديوانه «أغنية القطار»، وزارة الثقافة والإعلام، دار ثقافة الأطفال، سلسلة «نبتكر ونبدع رغم الحصار»، بغداد، 1995.

25- تركي كاظم جودة، ديوانه «ماذا تقول الأشياء»، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995.

26- كريم العراقي، قصيدته «1+1 = 2».

27- محمد حبيب مهدي، ديوانه «بيت السعادة»، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995.

28- عبد الرزاق عبد الواحد، ديوانه «الديك في السما طار»، دار ثقافة الأطفال، بغداد.

29- فاروق سلوم، مقدمة، ديوان «أشيائي الجميلة»، للشاعر فاضل عباس الكعبي- تحت الطبع -.

30- فاضل عباس الكعبي، قصيدته «السمكة الذكية».

31- خالد يوسف، ديوانه «تك تك تاك» السلسلة الشعرية، مكتبة الطفل، دار ثقافة الأطفال، بغداد.

32- عمر أحمد الطالب، أدب الأطفال في العراق، دار ثقافة الأطفال، سلسلة دراسات، بغداد، 1989.

33- جون ايكن، كيف تكتب للأطفال، ترجمة: كاظم سعد الدين، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1988.

34- جليل خزعل، ديوانه «عصافير»، دار ثقافة الأطفال، سلسلة «نبتكر ونبدع رغم الحصار»، بغداد، 1995.

35- لجنة من المربين، أشعار حلوة، دار الفكر ومؤسسة مصري للتوزيع، الطبعة الأولى، 1988.

36- اريك جي بولتون، كتابة الشعر في المدارس، ترجمة ياسين طه حافظ، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1987.

37- تيد هيوز، صناعة الشعر، ترجمة: مي مظفر، مراجعة وتقديم: سلمان الواسطي، الطبعة الأولى، 1987، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار ثقافة الأطفال.

38- فيرنر لندهمان، كتابة الشعر للأطفال، ترجمة: عزي الوهاب، مجلة «ثقافة الأطفال»، كتاب (1)، 1989، بغداد، دار ثقافة الأطفال.

39- كاظم سعد الدين، مترجم، «نحن كتبنا هذه القصائد»، المصدر السابق.

40- أحمد حقي الحلي، الأناشية الطفلية.

41- عبد الرزاق عبد الواحد، ديوانه «قصائد للأطفال»، دار ثقافة الأطفال بغداد.

42- جعفر علي جاسم، قصيدته «العصفور والحرية»، مجلتي، العدد (24)، 15/10/1994.

43- جعفر علي جاسم، قصيدته «دجاجتي»، مجلة مجلتي، العدد (8)، 21/2/1994.

44- محمد جبار حسن، ديوانه «الفراشات الهاربة»، وزارة الثقافة والإعلام، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1985.

45- كريم العراقي، ديوانه «الم يا عراق»، وزارة الثقافة والإعلام، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1985.

46- سعد جاسم، ديوانه «أجراس الصباح»، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995.

48- عمار عبد الخالق، ديوانه «فراشات وعصافير»، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995.

48- عبد علي كاظم، قصيدته «تك تك تاك»، 50 قصيدة للأطفال.

49- حميد قاسم، قصيدته «تم تم تاك»، المصدر السابق.

50- خالد يوسف، ديوانه «يحيا بلدي»، دار ثقافة الأطفال، السلسلة الشعرية، بغداد.

51- فاروق يوسف، قصيدته «يا فجرنا»، ديوان مشترك، دار ثقافة الأطفال، مكتبة الطفل، بغداد.

52- هدية عبد الهادي، قصيدتها «جيشكم منصور»، المصدر السابق.

53- شاكر حمودي، قصيدته «الغارة»، المصدر السابق.

54- خيون دواي الفهد، قصيدته «بيتنا الحبيب»، المصدر السابق.

55- حسن عبد الحميد، ديوانه «الفرح يطرق الأبواب»، وزارة الثقافة والإعلام، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1985.

56- عبد الحكيم أمين، ديوانه «النجمة المسافرة»، وزارة الثقافة والإعلام، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1986.

57- جاسم التميمي، ديوانه «أزهار وعصافير»، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995.

58- خالد الخزرجي، ديوانه «قوس قزح»، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995.

59- سمير علو، ديوانه «جدائل»، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995.

الفصل السابع: مدخل إلى قصص الأطفال:

1- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، عالم الفكر، آذار، 1988.

2- هدى برادة، السيد العزاوي، الأطفال يقرأون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

3- عمر أحمد الطالب، أدب الأطفال في العراق، دار ثقافة الأطفال، سلسلة دراسات، بغداد، 1989.

4- عواطف إبراهيم، قصص الأطفال في دور الحضانة، مطبعة النصر، القاهرة، 1984.

5- شفيق مهدي، قصص من رسائل الأصدقاء، مجلة «ثقافة الأطفال»، كتاب (1)، 1989، بغداد.

6- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978.

7- عماد زكي، أدب الخيال العلمي، في أدب الطفل العربي، إصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، عمان.

8- جعفر صادق محمد، بدايات قصة الأطفال في العراق وتطورها، مجلة «ثقافة الأطفـال»، كتـاب (1)، 1989، بغداد.

9- مصطفى جواد، مجلة التلميذ العراقي، العدد (22)، نيسان، 1923، والعدد (26)، مايس، 1923.

10- طلال حسن، قصته «الأسد العجوز»، مجلة مجلتي، العدد (31)، 30/7/1990.

11- عزي الوهاب، قصته «رد الجميل»، مجلة مجلتي، العدد (14)، 8/7/1991.

12- فاروق يوسف، قصته «الديك الصغير»، مجلة مجلتي، العدد (26)، 15/12/1994.

13- عبد الستار ناصر، قصته (الغابة البعيدة»، مجلة مجلتي، العدد (43)، 26/10/1992.

14- جعفر صادق محمد، انعكاسات الحرب في أدب الأطفال، مجلة العصفور، العدد (2)، تموز، 1985.

15- جعفر صادق محمد، قصتي مع قصة الأطفال، مجلة الجامعة، العدد الثالث، خاص بمناسـبة العـام الدولي للطفل، 1979.

16- حسن موسى، حوار مع القاص حسن موسى، جريدة المرفأ، العدد (81)، 1979.

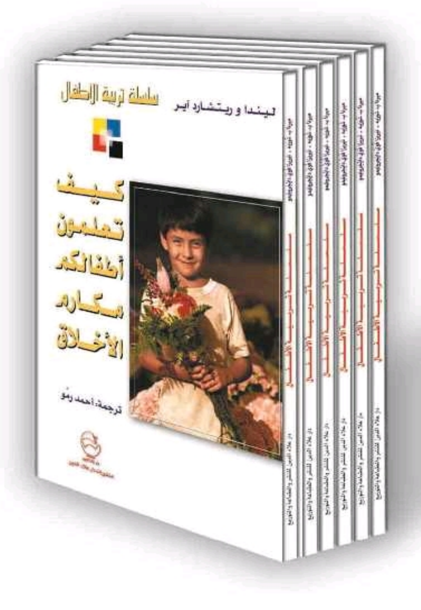
الفهرس

مدخل إلى سينما الأطفال

مدخل إلى أغنية الأطفال



المداخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال



إن هذا الكتاب القيم والبالغ الأهمية جاء دقيقاً في مادته العلمية، رصيناً في محتواه، سلساً في أسلوبه، مترابطاً ومنطقياً في أفكاره وعرضه... وفيه إضافة جديدة إلى المعرفة والمكتبة العربية... فهو يطرح قضية حساسة فيها من الجدة الشيء الكثير، ألا وهي قضية مرتكزات التجانس المعرفي

بشكل عام، فهو يوفر للقارئ معرفة مرتكز الثقافة في شخصية الطفل، وخصائصها، وتفرعاته من هنا تأتي أهمية الكتاب والجدوى منه، فهو يعطي فرصة لجميع الذي يتعاملون مع الطفل في مختلف مجالات التربية والتعليم والثقافة والفنون، من أجل معرفة أن ثقافة الأطفال تعتبر عاملاً أساسياً ومهماً في تكوين شخصية الطفل، ونموها بالشكل الذي يكفل نجاحها وتأثيرها في المجتمع



يطلب الكتاب على العنوان التالي: دار علاء الدين-سورية-دمشق.ص.ب ٣٠٥٩٨ هـ ٥٦١٧٠٧١ ف ٥٦١٣٢٤١

الموقع الالكتروني www.zoyaala-addin.com البريد الالكتروني ala-addin@mail.sy